

TIGHT BINDING BOOK

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190332

UNIVERSAL
LIBRARY

OUP—880—5-8-74—10,000.

OSMANIA UNIVERSITY LIBRARY

Call No.

949542

Accession No.

A 2

Author

ن

Title

نعمان محمد البازم
ادب ان العرب في الجبل

This book should be returned on or before the date last marked below

أدبنا في العرب في الجاهلية

ش. النيف

محمد زعمان الجارم

القاضي بالمحاكم الشرعية

—•••—

✽ الطبعة الأولى ✽

١٣٤١ هـ - ١٩٢٣ م

✽ حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ✽

أهداء الكتاب

الى خذن الشباب ومن أراه
ومن لبس المحامد سابغات
ومن يولى الصديق الود صفوا
لمن يخشى الأله ويتقيه
الى خير الصحاب ولست اغلو
الى اخل الوفى الى (الودينى)
لمن ترهى بمدحته القوافى
أحب الى من عهد الشباب
وحل من الفضيلة فى الباب
كأن نميره ماء السحاب
ويرجو عنده حسن الثواب
اذا سميته خير الصحاب
سديد القول ذى الرأى الصواب
(لاحمد عارف) اهدى كتابى
محمد نعمان الجارم

A 2



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله تقدست ذاته وتعالى اسماءه وصفاته والشكر له عز فضله وتوالت
آلاؤه استوجب سبحانه وتعالى الحمد الجزيل الجميل ذاته واستحق جل جلاله
عظيم الثناء لسنى صفاته وجب أن تذلل الجباه لذاته لانه مصدر الموجودات
وحق أن تعنو الوجوه اليه وتخصه بالعبادة لانه فاطر الأرض والسموات لا
معبود بحق سواه قل لو كان فيهما آلهة الا الله ارسل رسوله محمداً بالهدى
ودين الحق ليظهره على الدين كله فبين مناهجه ووضح طرائقه ووضع له
الصوى (١) والأعلام حتى لا تمشى أمته من بعده فى ظلام فعليه أفضل الصلاة
وازكى السلام وعلى آله واصحابه منار الاسلام (وبعد) فهذا كتاب اسهبت
فيه القول على أديان العرب قبل الاسلام وبينت فيه ما ابتدعوا من جهالة
وأوهام حتى تغير دين الهدى وطمس الطريق اليه وخفى الحق وعز الطالب
له ونشأ بعد المختلقين قبيل عاشوا فى ظلمات بعضها فوق بعض فلم يدركوا نور
الهدى ولم يشوقهم مشوق اليه ثم طمست ظلمة الضلالة عقولهم فأعرضوا عن
الحق حتى مع وجود الدال عليه اللهم الا بعض أفراد لمحو نور الاهتداء ولم
يقيد فكرهم لتعليم الأمهات ولا تقليد الآباء فتركوا للفكر العنان حتى ظهر
لهم الحق بالدليل والبرهان وتجلت لهم الحقيقة تجلى الشمس فى وسط النهار
فاختل صرح الكفر لديهم وانهار وهذا الكتاب هو جزء من أجزاء كتابى
(العرب فى الجاهلية) يرشدك الى معتقدات العرب فى الجاهلية وأوهامها التى
هدمها الاسلام والله أسأل أن يجعله مقبولا لديه فان الامر كله منه واليه انه
اكرم مسئول ويبيده القبول

(١) الصوة بالضم حجر يكون علامة فى الطريق جمعة صوى

مقدمة

الإنسان يمتاز عن سائر الحيوان بالنفس الناطقة وبقوة التفكير فيها تستدل بالأثر على وجود المؤثر ثم ينتهى بها البحث الى أن المؤثر فى الأكون لابد أن يكون واجب الوجود لذاته تلك فطرة فى الإنسان ولذلك ذهب الأمام الأعظم أبو حنيفة النعمان ومن تابعه على ما هو الصحيح الموافق لظاهر الرواية الى أن التكليف منوط اما ببلوغ دعوة الرسل واما بمضى مدة يتمكن العاقل فيها أن يستدل بالمصنوعات على وجود صانعها وذلك لأن الدين من خواص النفس الناطقة كما تقدم — وذهب علماء الأخلق الى أن الدين ليس

من لوازم النفس الناطقة لأن بعض الأمم والقبائل لا دين بدين هذا والدين قديم وجد مع الإنسان أما عند اهل الأديان السماوية فلأن آدم أبا البشر كان نبياً واما عند غيرهم فلأن الناس فى أطوارهم الأولى كانوا يعتقدون باليوم الآخر وان للإنسان نفساً خالدة فكانوا يدفنون مع الميت أمتعته ومقتنياته ليقتفع بها فى العالم الآخر وهذا من المبادئ الدينية وجميع الأمم والقبائل الآن تعتقد بعالم الأرواح والمتوحشون منهم يسبون الموت والمرض للروح وهذه عندهم كالنفس الا أن الروح أقوى واكثر دخلا فى أحوال الناس ومصالحهم فينسبون اليها الموت والمرض والمحن والخطوب لذلك ترى المتوحشين يحرضون على دفع غضب الأرواح الشريرة باسترضاء الأرواح الصالحة التى هى غالباً نفوس السلف الصالح من آباءهم وأجدادهم الذين لهم فى القبيلة أثر محمود ومقام مشكور لانهم يرون أن نفوسهم أقوى وأقدر على جلب المصالح ودفع المضار فعظموهم لذلك بعد الموت ونصبوا لهم التماثيل ولجئوا اليها يستعينون بهم عند نزول الخطوب وهذا أصل عبادة الأجداد .

هذا وان الدين من غير نظر الى الوحي ابتداءً باعتقاد الإنسان ان له موجدأ

أوجده وغيره من الممكنات وان له نفساً أو روحاً خالدة تصير بعد الموت في عالم آخر ذلك مبدأ اعتقاده بالروح والروحانيات ثم توسع في عالم الروح فاعتقد أن لكل كائن من الكائنات روحاً تدبره حيواناً كان ذلك الكائن أو جماداً وهذه الروح تكون قوية اذا كان الكائن المتصلة به من عظيم المخلوقات وما زال يرتقى في الوهم حتى تخيل بعض الارواح آلهة فعبدها بعبادة المادة المتعلقة بها ومن ذلك عبادة الهنود انهر الكنج والمصريين القدماء انهر النيل والجوس للنار والصابئين للكواكب وعبادة أهل الهند وافريقية الغربية للأفاعى وما عبادة الشمس وغيرها مما عبد من دون الله الا من هذا القبيل

والأديان تنقسم قسمين — أديان الهية وهي ما أنزله الله سبحانه وتعالى على رسله الكرام . وأديان وصعية وهي ما ليس كذلك كدين الجوس عباد النار والبراهمة والبوذيين واشباههم — والأديان السماوية كثيرة وهي من حيث ذاتها قبل افسادها بالتحريف والتبديل تتضمن توحيد الله جل ثناؤه ووصفه باوصاف الكمال وتنزيهه عن مشابهة الحوادث وتحت على مكارم الأخلاق والاداب والفضائل وتنص على الأحكام التي تكفل نظام المجتمع وتناسب الزمان الذي أنزلت فيه والذي يليه الى أن تنسخ بشرع رسول آخر فيصبح الناسخ الذي جاء به الرسول المتأخر هو الحق الذي يجب اتباعه ويصبح ما تقدمه من الدين منسوخاً وذلك سر ما يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غضب حينما رأى بعضهم يقرأ ورقة من التوراة وقال لو كان موسى حياً ما وسعه الا اتباعى وقوله تعالى ومن يتبع غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين . والذي يوحى اليه من الله تعالى نبى أو رسول ويطلق النبى عرفاً على رجل سليم من منفر معصوم عن كل رذيلة اكمل معاصريه غير الرسل اصطفاه الله من بين عباده وأوحى اليه بشرع سواء أمره بتبليغه أم لا ولو أمر بتبليغه فرسول سواء كان له كتاب أم لا نسخ بعض شرع من قبله أو لم ينسخ ولا جزم في عدد الانبياء صلوات الله وسلامه عليهم قال أبو البقاء في الكليات « وأول رسول ارسله الله الى أهل الارض

نوح عليه السلام أخرج ابن أبي حاتم عن قتادة في قوله تعالى كان الناس أمة واحدة انه قال ذكر لنا انه كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الهدى وعلى شريعة من الحق ثم اختلفوا بعد ذلك فبعث الله نوحاً . لكن الاكثرون على عد آدم من المرسلين

والاديان السماوية كثيرة ولم يبق منها الآن سوى اليهودية المبعوث بها سيدنا موسى الكليم عليه السلام ويعتقها ثمانية ملايين ونصف من الانفس والنصرانية المبعوث بها سيدنا عيسى عليه السلام ويدين بها نحو اربعمائة وثلاثة وسبعين مليوناً من الأنفس والاسلام المبعوث به سيدنا محمد خاتم الأنبياء والمرسلين ويعتقه نحو مائتي مليون من الانفس تقريباً

واكثر ديانات العالم اتباعاً الديانة البوذية وهي مدسوبة الى بوذا رجل كان في سنة ستمائة واثنين وعشرين قبل المسيح قصد بها في الاصل اصلاح الديانة البراهمية (١) وتهذيب عالمها ولكن نشأت بين معتنقي الديانة البراهمية والبوذية منافسات ومناظرات انتهت اخيراً بفوز الديانة البوذية وانتشارها على الديانة البراهمية واكبر انتشارها في الصين واليابان وكوريا ومنشوريا وتبت ومنغوليا ويعتقها نحو خمسمائة مليون من الأنفس

ولقد كانت العرب في جاهليتها تدين بأديان شتى كما ستراه مفصلاً في هذا الكتاب فمنهم عباد الاصنام والشمس والكواكب وغير ذلك ومنهم الموحدون الذين كانوا يستضيئون بهدى الانبياء الذين أرسلهم الله لهم أو لغيرهم من الأمم

ولقد بعث الله في العرب قديماً انبياء فبعث هوداً (٢) عليه السلام لعاد وكانت ديارهم بالدو والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان والى حضرموت بين اليمن وعمان وبعث صالحاً عليه السلام للثود وكانوا يسكنون بالحجر ووادي القرى بين الحجاز والشام وبعث شعيباً لمدين وكانت منازلهم تجاور

(١) نسبة الى براهمة كبير آلهة الهند

(٢) علماء الانساب يسمون هودا عابراً أو عبيراً على وزن جعفر

ارض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز فكان من العرب من يدين بدين هؤلاء النبيين واكثر العرب كانوا على دين أبيهم ابراهيم عليه السلام وسبب كثرة الاديان عندهم مجاورتهم لكثير من الأمم المتدينة فتيسر لهم بالرحلة والتجارة معرفة اديان مجاوريهم وناهيك ببلاد الشام وهى الارض التى بورك فيها لكثرة من أرسل لها من النبيين فنقلوا تعاليم هذه الديانات الى بلادهم واعتنقها من اعتقدها منهم . وكان التوحيد دين اكثر العرب ثم غلبت الوثنية عليه حتى طمست معاملته وراجب عبادة الاوثان فارسل الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم بالتوحيد وما زال يغالب الكفر ويهزم جيشه ويفصل شعائر الدين ويدعو الخلق لعبادة الله وحده ويحض على مكارم الاخلاق ويبين الاحكام المتكفلة بسعادة الدنيا والآخرة حتى ردت جيوش النوحيد كتاب الكفر والزيف مهزومة واصبحت أبطال الضلال والاحاد صرعى مكسرة ولم ينزل به الموت حتى اكمل الله للناس دينه وأتم عليهم نعمته ورضى لهم الاسلام ديناً وختم به الانبياء والمرسلين فمن ادعى بعد محمد صلى الله عليه وسلم انه يوحى اليه من الله تعالى بشرع فهو ضال كافر

ابراهيم الخليل واسماعيل عليهما السلام

نسب القول فى تاريخهما لان اكثر العرب تدين بدينهما فنقول . ولد ابراهيم عليه السلام بارض بابل بالعراق ونشأ بها فى دولة حمورابى الدولة البابلية الأولى التى هى من سنة الفين واربعمئة وستين قبل الميلاد الى سنة الفين وواحد وثمانين قبل الميلاد وكانوا يعبدون الاصنام ولم يكن بينه وبين نوح نبي الالهود وصالح فدعا قومه لعبادة الله وحده فلم يؤمنوا فطفق يسهه أحلام قومه ويظعن على آلهتهم ثم انتهر فرصة خروجهم فى يوم عيد لهم ولم يخرج وخالف الى اصنامهم فكسرها فلما رأوا منه ذلك أمر نمرود حاكمهم بأحراقه والتقى فى النار فجعلها الله برداً وسلاماً فلما نجاه الله أجمع امره والذين اتبعوه على فراق قومهم ومعهم لوط عليه السلام ابن أخيه فنزل

ابراهيم بالسبع من ارض فلسطين ونزل لوط بالموتفة وبينهما مسيرة يوم وليلة ثم ولد لابراهيم من هاجر اسماعيل عليه السلام . وروى أبو هريرة خبر وصول هاجر لابراهيم عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لم يكذب ابراهيم عليه السلام قط الا ثلاث كذبات ثنتين في ذات الله قوله انى سقيم وقوله بل فعله كبيرهم هذا وواحدة في شأن سارة فانه قدم ارض جبار ومعه سارة وكانت أحسن الناس فقال لها ان هذا الجبار ان يعلم انك امرأتى يغلبنى عليك فان سألك فاخبريه انك أختى فانك أختى فى الاسلام فانى لا أعلم فى الأرض مساماً غيرى وغيرك (١) فلما دخل أرضه رآها بعض أهل الجبار فأتاه فقال لقد قدم أرضك امرأة لا ينبغي لها ان تكون الا لك فارسل اليها فأتى بها وقام ابراهيم الى الصلاة فلما دخلت عليه لم يمالك ان بسط يده اليها فقبضت يده قبضة شديدة فقال لها ادعى الله ان يطلق يدى ولا أضرك ففعلت فمادت فقبضت يده أشد من القبضة الاولى فقال لها مثل ذلك فمادت فقبضت يده أشد من القبضتين الأوليين فقال ادعى الله أن يطلق يدى ولا أضرك ففعلت فطاقت يده ودعا الذى جاء بها فقال له انك انما جئتني بشيطان ولم تأتني بانسان فأخرجها من أرضى وأعطاها هاجر قال فاقبلت تمشى فلما رآها ابراهيم انصرف فقال مهيم (٢) فقالت خيراً كفى الله يد الفاجر وأخدم خادماً قال أبو هريرة فملك أمكم يا بنى ماء السماء « (٣) وانما كانت هاجر أم العرب لأن سارة ملكتها لأبراهيم فولدت له اسماعيل أبا العرب ولم يكن لسارة ولد فأنها ولدت اسحاق بعد ولادة اسماعيل فيما رووا بأربع عشرة سنة . قال ابن أبى زيد فى نوادره وهاجر أول امرأة ثقت أذناها وخفضت من النساء وأول من جرت ذيلها وذلك أن

(١) أى فى الارض التى يحكمها ذلك الجبار والا فقد آمن به ابن أخيه لوط وآمن به جماعة من قومه (٢) كلمة استفهام بلفظة أهل اليمن أى ما حالك وما شأنك أو ما وراءك (٣) يقال للعرب بنو ماء السماء لكثرة ملازمتهم للقلوات التى بها مواقع المطر

سارة غضبت (١) خلفت أن تقطع ثلاثة أعضاء من أعضائها فأمرها إبراهيم أن تبرقسمها بثقب أذنيها وخفاضها فصارت سنة في العرب وأوحى الله لإبراهيم أن يحمل اسماعيل وأمه الى مكة . وكان من أمرهم ما رواه البحارى في صحيحه . بسنده عن ابن عباس قال أول ما اتخذت النساء المنطق (٢) من قبل أم اسماعيل اتخذت منطقاً لتعفى أثرها على سارة ثم جاء بها إبراهيم وبابنها اسماعيل وهي ترضعة حتى وضعهما عند البيت عند دوحة (٣) فوق زمزم في أعلى المسجد (٤) وليس بمكة يومئذ أحد وليس بها ماء فوضعهما هنالك ووضع عندهما جراباً فيه تمر وسقاء (٥) فيه ماء ثم قمى إبراهيم منطقاً (٦) فتبعته أم اسماعيل فقالت يا إبراهيم أين تذهب وتتركنا في هذا الوادى الذى ليس فيه أنيس ولا شيء فقالت له ذلك مراراً وجمل لا يلتفت اليها فقالت له الله امرك بهذا قال نعم قالت اذاً لا بضيعتنا ثم رجعت فانطلق إبراهيم حتى اذا كان عند الثنية (٧) حيث لا يروونه استقبل بوجهه البيت ثم دعا بهؤلاء الدعوات ورفع يديه فقال (ربنا انى أسكنت من ذريتى بواد غير ذى زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى اليهم وارزقهم من الثرات لعلمهم يشكرون) وجعلت أم اسماعيل ترضع اسماعيل وتشرب من ذلك الماء حتى اذا نفذ ما فى السقاء عطشت وعطش ابنها فجعلت تنظر اليه يتلوى او قال يتلبط (٨) فانطلقت كراهية ان تنظر اليه فوجدت الصفا أقرب جبل فى الأرض يليها فقامت عليه ثم استقبلت الوادى تنظر هل ترى أحداً فلم تر أحداً فهبطت من الصفا حتى اذا بلغت الوادى رفعت طرف درعها ثم سعت سعى

(١) روى انها أخرجت هاجر غيرة منها لا غضبا (٢) المنطق بكسر فسكون ففتح ازار له حجرة (٣) الدوحة الشجرة الكبيرة (٤) أى مكان المسجد لانه لم يكن بنى (٥) السقاء بكسر اوله (٦) قرية صغيرة (٧) الثنية الجبل (٨) يتلبط يتمرغ ويضرب بنفسه الأرض

الانسان المجهود (١) حتى جاوزت الوادى ثم أتت المروة فقامت عليها فنظرت هل ترى أحداً فلم تر أحداً ففعلت ذلك سبع مرات . قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم فذلك سعى الناس بينهما فلما أشرفت على المروة سمعت صوتاً فقالت سمعته (٢) تريد نفسها ثم تسمعت فسمعت أيضاً فقالت قد أسمعت ان كان عندك غواث (٣) فاذا هى بالملك عند موضع زمزم فبحث بعقبه أو قال بجباحه (٤) حتى ظهر الماء فجعلت تحوضه (٥) وتقول بيدها هكذا (٦) وجعلت تغرف من الماء فى سقائها وهو يفور بعد ما تعرف . قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم يرحم الله أم اسماعيل لو تركت زمزم اوقال لو لم تغرف من الماء (٧) لكانت رمرم عينا معينا (٨) قال فشربت وارضعت ولدها فقال لها الملك لا تخافوا الضيعة (٩) فان هاهنا بيت الله يبنيه هذا الغلام وأووه وان الله لا يضيع أهله وكان البيت مرتفعاً من الأرض كالرابية تأبى السيول فأخذ عن يمينه وشماله فكانت كذلك حتى مرت بهم رفقة من جرحهم (١٠) مقبلين من طريق كداء فترلوا فى أسفل مكة فأروا طائراً عائفاً (١١) فقالوا ان هذا الطائر ليدور على ماء لعهدنا بهذا الوادى وما فيه ماء

(١) المجهود هو الذى أصابه الجهد بفتح الجيم وتضم المشقة (٢) بفتح المهلة وسكون الهاء وبكسرهما منونة كأنها خاطبت نفسها فقالت لها اسكتى (٣) بفتح أوله للأكثر وتخفيف الواو وليس فى الأصوات فعال بفتح أوله غيره — وجزاء الشرط محذوف تقديره فاغنى (٤) شك من الراوى

(٥) بجاء مهلة وضاد معجمة وتشديد أى تجعله مثل الحوض

(٦) هو حكاية فعلها وهذا من إطلاق القول على الفعل (٧) شك من الراوى (٨) عينا معينا أى ظاهراً جاريماً (٩) الضيعة بضاد أى الهلاك (١٠) جرحهم هو ابن قحطان . وفى رواية عطاء بن السائب وكانت جرحهم يومئذ بواد قريب من مكة (١١) العائف هو الذى يحوم على الماء ويتردد ولا يمضى عنه

فارسلوا حريا أو جريين (١) فاذا هم بالماء فرجعوا وأخبروهم فأقبلوا .
 قال وأم اسماعيل عند الماء فقالوا اتأذنين لنا أن نزل عندك قالت نعم ولكن
 لاحق لكم في الماء قالوا نعم قال ابن عباس قال النبي صلى الله عليه وسلم
 فالفى (٢) ذلك أم اسماعيل وهى تحب الانس (٣) فزولوا وارسلوا الى أهليهم
 فزولوا معهم حتى اذا كان بها أهل أبيات منهم وشب الغلام وتعلم العربية منهم
 وأنفسهم (٤) واعجبهم حين شب فلما أدرك روجه امرأة منهم (٥) وماتت
 ام اسماعيل فجاء ابراهيم بعد ما تزوج اسماعيل يطالع تركته (٦) فلم يجد
 اسماعيل فسأل امرأته عنه فقالت خرج يبتغى لنا (٧) ثم سألتها عن عيشهم
 وهيمتهم فقالت نحن بشر نحن فى ضيق وشدة فشكت اليه قال فاذا جاء زوجك
 أقرئ عليه السلام رقبلى له يغير عتبة بابه (٨) فلما جاء اسماعيل كأنه آانس
 شيئا فقال هل جاءكم من أحد قالت نعم جاءنا شيخ كذا وكذا فسألنا عنك
 فاخبرته وسألنى كيف عيشنا فاخبرته أنا فى جهد وشدة قال فهل أوصاك بشئ
 قالت نعم أمرنى ان أقرأ عليك السلام ويقول غير عتبة بابك قال ذاك أبى
 وقد أمرنى أن أمارقك الحقى باهلك فطلقها وتزوج منهم امرأة اخرى (٩)

(١) بفتح الجيم وفتح الراء ولشديد الياء أى رسولا وقد يطلق على
 الوكيل وعلى الأجير قيل سمي به لانه يجرى مجرى مرسله أو موكله
 (٢) الفى أى وجد (٣) الأانس بضم الهمزة ضد الوحشة
 (٤) أنفسهم بفتح الفاء بلفظ افعل التفضيل من النفاسة أى كثرت
 رغبتهم فيه (٥) روى ان اسمها عمارة بنت سعد بن اسامة وحكى
 السهيلي ان اسمها جدى بنت سعد (٦) بكسر الراء أى يتفقد حال
 ما تركه (٧) يبتغى لنا أى يطلب لنا الرزق (٨) عتبة بابه كناية
 عن المرأة - وقد كانت العرب ترى طلاق النساء كأبيهم ابراهيم
 (٩) ذكر الواقدي ان اسمها سامة بنت مهلهل بن سعد وذكر الدارقطني
 ان اسمها السيدة بنت مضاض

فلبت عنهم ابراهيم ماشاء ثم اتاهم بعد فلم يجده فدخل على امرأته فسألها عنه فقالت خرج بيتننى لما قال كيف أنتم وسألها عن عيشهم وهيئتهم فقالت نحن بخير وسعة واثنت على الله عز وجل فقال ما طعماكم قالت اللحم قال فما شرابكم قالت الماء قال اللهم بارك لهم في اللحم والماء قال النبي صلى الله عليه وسلم ولم يكن لهم يومئذ حب ولو كان لهم دعا لهم فيه قال فهما لا يخلو (١) عليهما أحد بغير مكة الا لم يوافقاه قال فاذا جاء زوجك فاقرى عليه السلام ومريه يثبت عتبة بابه فلما جاء اسماعيل قال هل أتاكم من أحد قالت نعم أنا أنا شيخ حسن الهيئة وأثنت عليه فسألني عنك فاخبرته فسألني كيف عيشنا فاخبرته أنا بخير قال فاوصاك بشيء قالت نعم هو يقرأ عليك السلام ويأمرك ان تثبت عتبة بابك قال ذاك أبى وأنت العتبة أمرنى أن أمسك ثم لبث عنهم ما شاء الله ثم جاء بعد ذلك واسماعيل يرى نباله (٢) تحت دوحة قريبا من زمزم فلما رآه قام اليه فصنعا كما يصنع الوالد بالولد والولد بالوالد (٣) ثم قال يا اسماعيل ان الله أمرنى بامر قال فاصنع ما امرك ربك قال وتعيننى قال أعينك قال فان الله أمرنى أن أبني هاهنا بيتا وأشار الى أكمة مرتفعة على ما حولها قال فعند ذاك رفعوا القواعد من البيت فجعل اسماعيل يأتى بالحجارة وابراهيم يبني حتى اذا ارتفع البناء جاء بهذا الحجر (٤) فوضعه له فقام عليه وهو يبني واسماعيل يناوله الحجارة وهما يقولان ربنا تقبل منا انك انت السميع العليم قال فجعلا يبنيان حتى يدورا حول البيت وهما يقولان ربنا تقبل منا انك أنت السميع العليم ربنا واجعلنا مسلمين لك (٥) ومن ذريتنا (٦) أمة مسلمة لك وأرنا مناسكنا (٧) وتب علينا انك أنت التواب الرحيم ربنا (١) حلوت بالشئ واختليت اذا لم أخلط به غيره ويقال أخلى الرجل الابن اذا لم يشرب غيره (٢) « النبل » السهم قبل أن يركب فيه نصله وربشه وهو السهم العربى (٣) يعنى من الاعتناق والمصافحة وتقبيل اليد ونحو ذلك (٤) بهذا الحجر يعنى مقام ابراهيم (٥) مسلمين أى خاضعين (٦) يعنى واجعل من ذريتنا (٧) أرنا مناسكنا أى عرفنا متعبداتنا في

وابعث فيهم رسولا (١) منهم يتلو عليهم آياتك ويعلمهم الكتاب والحكمة (٢) ويذكهم (٣) انك أنت العزيز الحكيم . ولما فرغا من بناء البيت أمر الله ابراهيم ان يؤذن في الناس بالحج فاجاب دعاء ربه ونادى أيها الناس كتب الله عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج ابراهيم واسماعيل ومن معهما من المسلمين . وقد أمر الله ابراهيم بذبح ولده فامثل أمر ربه ولما هم بذبحه فداء الله بذبح عظيم . ولقد اختلف في أى ولديه الذبيح أهو اسماعيل أم اسحق وقد قال بكل من القولين جماعة من المسلمين . قال أبو البقاء في الكليات واتفقت الأحاديث الصحيحة وتضافرت نصوص العلماء على ان العرب من عهد ابراهيم عليه السلام على دينه لم يكفر أحد منهم قط ولم يعبد صنما الى عهد عمرو بن لحي الخزاعي فانه أول من غير دين ابراهيم عليه السلام وعبد الاصنام وسيب السوائب - وذكر السهيلي (٤) ان اسماعيل نبي مرسل أرسله الله الى اخواله من جرهم والى العماليق الذين كانوا بارض الحجاز فأمن بعض وكفر بعض - وحكى الحلبي في سيرته ان اسماعيل ارسل الى جرهم والى العماليق والى قبائل اليمن في زمن أبيه ابراهيم وكذا بعث أخوه اسحق الى أهل الشام وبعث ولده يعقوب الى الكنعانيين في حياة ابراهيم فكانوا أنبياء على عهد ابراهيم عليه السلام وتوفى اسماعيل عليه السلام بمكة ودفن بالحجر عند قبر أمه هاجر . أما الشرع الذي بعث به اسماعيل فهو شرع أبيه ابراهيم

✽ المختلف في نبوتهم من العرب ✽

لقد أوحى الله دينه لمن ارتضى من خلقه فان لم يأمرهم بتبليغ فهم الانبياء وان أمرهم به فهم المرسلون ومن الانبياء المختلف في نبوته وعدمهم أبو البقاء

الحج أو بصرنا بها (١) منهم أى من انفسهم وقد استجيب دعاؤه فلذلك قال رسول الله انا دعوة أبي ابراهيم (٢) الحكمة الشريعة وبيان الاحكام (٣) يذكهم يطهرهم من الشرك وسائر الانجاس . (٤) مانقله عن السهيلي فن كتابه الروض الأثف

في كلياته فقال (والمختلف في نبوتهم نيف وعشرون لقمان وذو القرنين والخضر وذو الكفل وسام وطالوت وعزير وتبع وكلب وخالد بن سنان وحنظلة بن صفوان والاسباط وهم أحد عشر وحواء ومريم وأم موسى وسارة وهاجر وآسية — ولم يشتهر عن مجتهد غير الشيخ أبي الحسن الأشعري القول بنبوة امرأة والواحد لا يخرج الاجماع على انه تعالى لم يستنبئ امرأة بدليل وما ارسلنا من قبلك الا رجالا) ولنتكلم على العرب منهم وهم تبع وخالد بن سنان وحنظلة بن صفوان فنقول

اه اتبع فهو لقب ملك اليمين لا يلقب به حتى يملك اليمين والشجر وحضر موت ولا أدري أى التبايع المختلف في نبوته أهو الرأش وهو تبع الأول أو ابو كرب تبان اسعد (١) وهو تبع الآخر أو غيرهما . وتبع الآخر هو الذى عمر البيت الحرام وكساه وجعل طريقه حين أقبل من المشرق على المدينة فر بها ولم يهج اهلها وخلف بين أظهرهم ابنه فقتل غيلة فقدمها وهو مجمع على خرابها واستئصال اهلها وقطع نخلها فقال له أحد اخبار اليهود من أهلها . الملك أجل من أن يطير به نزع أو يستخفه غضب وأمره اعظم من أن يضيق عاهاته أو نحرم صفحه مع أن هذا البلد مهاجر نبي يبعث بدين ابراهيم فاعتقد صدقه وتهود وادخل اليهودية بلاد اليمين وكان دينهم الوثنية

وأما خالد بن سنان بن غيث العبسى فذهب بعضهم الى انه كان مؤمنا ولم يكن نبيا والكثيرون على نبوته قال الحلبي في سيرته قال بعضهم لم يكن في بى اسماعيل نبي غير خالد بن سنان قبل محمد الا انه لم يبعث بشريعة مستقلة بل بتقرير شريعة عيسى وكان بينه وبين عيسى ثلاثمائة سنة وخالد هذا هو الذى اطفأ النار التى خرجت بالبادية بين مكة والمدينة كادت العرب تعبدها كالجوس كان يرى ضوءها من مسافة ثمان ليال وربما كان يخرج منها العنق فيذهب في الارض فلا يجد شيئا الا أكله فأمر الله تعالى خالد بن سنان باطفائها (١) تبان اسعد اسمان جعللا اسما واحدا فان شئت أضفت كما تضيف

معدى كرب وان شئت جعلت الاعراب في الاسم الآخر

وكانت تخرج من بئر ثم تنتشر فلما خرجت وانتشرت أخذ خالد يضربها ويقول
 بدا بدا (١) كل هدى (٢) وهى تتأخر حتى نزلت الى البئر وهو خلفها
 فوجد كلاباً تحمها فضربها وضرب النار حتى اطفأها . وقيل انه كان السبب فى
 خروجها . فانه لما دعا قومه كذبوه وفاقوا له انما نخوفنا بالنار فان تسلى علينا هذه
 الحرة ناراً اتبعناك فتوضأ ثم قال اللهم اذ قومى كذبونى ولم يؤمنوا بى الا
 أن تسلى عليهم هذه الحرة ناراً فأرسلها عليهم ناراً فخرجت فقالوا يا خالد
 ارددها فأنا مؤمنون بك فردها قيل وكان خالد بن سنان اذا استسقى يدخل
 رأسه فى جيبه فيجئ المطر ولا يقلع الا أن يرفع رأسه روى ان ابنته قدمت
 وهى عجوز على النبی فأكرهها وبسط لها رداءه وقال مرحباً بابنة اخى مرحباً
 بابنة نبى ضيعه قومه فأسمت (٣) وهذا الحديث مرسل رجاله ثقات وفى
 البخارى أنا اولى الناس بابن مريم فى الدنيا والآخرة وليس بى وبيمه نبى
 (٤) قال بعضهم وبه يرد على من قال كان بينهما خالد بن سنان . وقد يقال
 مراده صلى الله عليه وسلم بالنبى الرسول الذى يأتى بشريعة مستقلة وحينئذ
 لا يشكل هذا لما علمت انه لم يأت بشريعة مستقلة

وأما حنظلة بن صفوان فحكى الحلبي ان الله ارسله لاصحاب الرس بعد
 خالد بن سنان بمائة سنة والرس كما فى القاموس وشرحه البئر المطوية بالحجارة
 وقيل القديمة سواء طويت أم لا ومنه ما فى الاساس وقع فى الرس أى بئر لم
 تظو « سمو بذلك لانهم قبلوا حنظلة ودسوه فيها فغار ماؤها وعطشوا بعد
 ريهم ويديست اشجارهم وانقطعت ثمارهم بعد ان كان ماؤها يروهم ويكفى
 أرضهم جميعاً وتبدلوا بعد الأانس الوحشة وبعد الاجتماع الفرقة

(١) روى ابن عباس ان العرب سمت هذه النار بداً (٢) فى تاريخ
 ابن الاثير ان خالداً توسط النار وضربها بعصاه ففرقها وهو يقول بداً بداً
 كل هاد مؤد الى الله الأعلى لادخنها وهى تلظى ولا خرج منها وثيابى تندى
 (٣) يروى بعضهم ان ابنت التى جاءت الرسول ليست بنته الصليبية
 بل كانت من ذريته ونسله (٤) قيل كان خالد نبياً قبل عيسى

✽ الحرم ومكاته عند العرب ✽

الحرم مكة وما حوالها مما يحرم صيده وقطع شجره وحشيشه وغير ذلك و حدود الحرم من مكة تختلف قرباً وبعداً فيحد من جهة المدينة بثلاثة أميال ومن جهة اليمن والعراق والطائف بسبعة أميال ومن جهة جدة بعشرة أميال ومن جهة الجعرانة بتسعة أميال وللحرم علامات منصوبة ✽ حكى في الروض المعطار عن الزبير ان أول من وضع علامات الحرم ونصب العمدة عليه عدنان ابن أد خوفاً من أن تدرس معالم الحرم أو تتغير . ومقتضاه انها موضوعة قبل ذلك وهو الحق فانها من صنع ابراهيم الخليل ومن ذكر ذلك السيوطي في كتابه الفلك المشحون حيث قال « وأول من نصب انصاب الحرم ابراهيم الخليل وكان جبريل يريه مواضعها ثم لم تحرك حتى كان قصي فجدها ثم لم تحرك حتى كان رسول الله فبعث عام الفتح تميم بن أسيد الخزاعي فجدها ثم لم تحرك حتى كان عمر بن الخطاب فبعث اربعة من قريش كانوا ينتدون في نواديها فجددوا انصابهم مخزومة بن نوفل وأبو هود سعيد بن ربوع المخزومي وحويطب ابن عبد العزى وأزهر بن عوف الزهري حتى كالف عثمان بن عفان فبعث على الحجيج عبد الرحمن بن عوف وأمره أن يجدد انصاب الحرم فبعث عبد الرحمن نفرأ من قريش منهم حويطب بن عبد العزى وعبد الرحمن ابن أزهر وكان سعيد بن ربوع قد ذهب بصره في خلافة عمر وذهب بصر مخزومة بن نوفل في خلافة عثمان فكانوا يجددون انصاب الحرم في كل سنة فلما ولي معاوية كتب الى مكة فأمر بتجديدها ثم لما حج عبد الملك بن مروان أرسل الى أكبر شيخ يعلمه من خزاعة وشيخ من قريش وشيخ من بني بكر وأمرهم بتجديد انصاب الحرم » وقال النووي في شرح المذهب ان تلك الانصاب لا تزال الآن ثابتة في جميع جوانبه الا من جهة جدة وجهة الجعرانة فليس فيها انصاب

وقد جعل الله مكة وما حوالها حرمآ آمناً يتخطف الناس من حوله

واختلف في حرمتها على قولين (الاول) انها صارت حراماً بسؤال ابراهيم (رب اجعل هذا بلداً آمناً) يعنى مكة وماحواليها فأجاب الله سؤاله ويعاضده رواية أبى هريرة عن رسول الله انه قال ان ابراهيم كان عبد الله وخليله وانى عبد الله ورسوله وان ابراهيم حرم مكة وانى حرمت المدينة ما بين لابتيها اعضاها وصيدها ولا يحمل بها سلاح لقتال ولا يقطع بها شجر الا لعلف بعير « والقول الثانى » انها كانت منذ وجدت حراماً آمناً من الجبارة والمتسلطين ومن الخسف والزلازل وانما سأل ابراهيم ربه أن يجعل حرمه آمناً من الجذب والقحط وأن يرزق اهله من الثمرات ويؤيده ما روى عن أبى شريح الخراعى أن النبى لما افتتح مكة قام خطيباً فقال أيها الناس ان الله سبحانه حرم مكة يوم خلق السموات والارض فهى حرام الى يوم القيامة لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمماً أو يعضد (١) بها شجراً وانها لا تحل لأحد بعدى ولم تحل الى الا هذه الساعة غضباً على أهلها ألا وهى قد رجعت على حالها بالأمس الا ليلبلغ الشاهد الغائب فمن قال رسول الله قتل بها فقولوا ان الله تعالى قد أحلها لرسوله ولم يحلها لك

وكانت العرب على دين أبيهم ابراهيم فى ذلك فكانوا لا ينفرون صيد الحرم ولا يؤذونه قال عمرو بن الحارث بن مضاض

فسحت دموع العين تبكى لبلدة بها حرم أمن وفيها المشاعر
وتبكى لبیت ليس يؤذى حمامه تظل به أمنا وفيه العصافر (٢)
وفيه وحوش لا تزال أنيسة اذا خرجت منه فليست تغادر
وقال النابغة الذبياني

والمؤمن العائذات الطير تسمحها ركبان مكة بين الغيل والسعد (٣)

(١) العضد القطع (٢) تظل به أمنا أى ذات أمن ويجوز أن يكون أمنا جمع آمن مثل ركب جمع راكب وأراد العصافير وحذف الياء ضرورة ورفعها على المعنى أى وتأمين فيه العصافير (٣) اقسم بالله الذى أمن (العائذات)

ماقلت من سيئ مما أتيت به اذا فلارفعت سوطى الى يدى
وكانوا يؤمنون ساكن الحرم محسناً أو مسيئاً ولذلك قال الزبيدى فى العاص
ابن وائل لما اغتصبه ماله يستحث الناس على انصافه منه وتخويله وان كان
مقيماً فى الحرم

ان الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر
ويرون مكة بلداً لقاحاً لا تؤدى اتاوة ولا تدن للملوك وهى كذلك ولذلك
سمى بيت الله بالبيت العتيق لانه لم يزل حراماً ولم يملكه أحد

قال الزبرقان بن بدر لرجل من بنى عوف هجا أبا جهل وتناول قريشا
أندرى من هجوت أبا حبيب جليل خضارم سكنوا البطاحا (١)
وزاد الركب تذكر ام هشاما وبيت الله والبلد اللقاحا (٢)
روى الزبير أن عثمان بن الحويرث قدم على قيصر فى الجاهلية فتوجه
وولاه أمر مكة فاما جاءهم بذلك أنفوا من أن يدينوا الملك وصاح الاسود
ابن أسد بن عبد العزى الا أن مكة حى لقاح لا تدن لملك فلم يتم له مراده
وكانوا يجرمون غزو الحرم والقتال فيه وشاهده قول حرب بن أمية لأبى
مطر الحضرمى يدعوه الى حلفه ونزول مكة
أبا مطر هلم الى صلاح فتكنف كالندامى من قريش (٣)

وهى الحديثة النتاج من الحيوانات جمع عائذة و (تمسحها ركبان مكة) أى
تمسح عليها ولا تهيجها بأخذ و (الغيل) بكسر الغين و (السعد) أجمتان كانتا
منافع ما بين مكة ومنى (١) الخضارم جمع خضرم وهو الجواد المعطاء
و (البطاح) جمع أبطح وهو مسيل واسع فيه دفاق الحصى
(٢) و (أزواد الركب) مسافر بن أبى عمرو وزمعة بن الاسود وأبو أمية
ابن المغيرة لانه لم يكن يتزود معهم أحد فى سفر يطعمونه ويكفونه الزاد
و (هشام) هو ابن المغيرة اعظمته قريش حتى أرخوا بموته
(٣) صلاح اسم من اسماء مكة و (تكنف) أى تصير فى حرز

وتأمن وسطهم وتميش فيهم أبا مطر هديت خير عيش
وتسكن بلدة عزت قديما وتأمن أن يزورك رب جيش
وقول خداس بن زهير في يوم من أيام الفجار لما اقتتلوا فمترت قريش
الى الحرم وقد دخل الليل

ياشدة ماشددنا غير كاذبة على سخينة لولا الليل والحرم (٢)
وكانوا يكرهون الظلم في الحرم وشاهده قول رجل من جرهم ينهى عمرو
ابن لحي لما ظلم بمكة

يا عمرو لا تظلم بمكة انها بلد حرام
وقول سبيعة بنت الأجب (٣) بن زينة تنهى ابنها خالد بن عبد مناف
عن الظلم في الحرم وتعظم حرمة مكة

ابنى لا تظلم بمكة لا الكبير ولا الصغير
واحفظ محارمها ولا يغرك بالله الغرور
ابنى من يظلم بمكة يلق أطراف الشرور
ابى يضرب وجهه ويلج بخديه السعير
ابنى قد جربتها فوجدت ظالمها يبور
والله أمنها وما بديت بعرصتها قصور
والله أمن طيرها والعصم تأمن في ثبير

وقد بلغ احترامهم للحرم انهم كانوا ينزلونه نهارا ولا يبيتون فيه ليلا .
واذا نزل أحدكم نهارا وأراد قضاء حاجة الانسان خرج الى الحل تنزهاله
ولا يبنون فيه بناء ولقد مر عليك قول سبيعة بنت الاجب
والله أمنها وما بديت بعرصتها قصور

(٢) سخينة لقب تعير به قريش لاتخاذها اياها وهي طعام رقيق يتخذ
من دقيق (٣) قال سيديويه الأجب بالحاء المهملة يقوله أهل النسب
وأبو عبدة يقوله بالميم

وانما كانوا اذا نزلوا في الحرم ينزلون في العريش وكانت المعاملة وجرم حين ولايتهم الحرم يبتجعون جبال مكة وأوديتها ينزلون بها وكانت خزاعة حين ولايتها على الحرم تنزل بطن مرّ فاما كانت ولاية الحرم لقريش في قصي ابن كلاب بنى دار الندوة وهى أول دار بنيت بمكة وجعل بابها جهة البيت وأمر قريشاً أن يبنوا بيوتهم في الحرم حول الكعبة لتهابهم العرب ولا تستحل قتالهم فبنوا حول البيت وجعلوا أبواب بيوتهم جهته لكل بطن منهم باب ينسب اليه كباب بنى شيبه وباب بنى سهم وباب بنى مخزوم وباب بنى هجج وتركوا قدر الطواف قال المبرد في الكامل ثم عزت قريش بعد ذلك بهذا الجوارحى كان يقال يكفيك من قريش انها أقرب الناس من بيت الله بيتا وكان يقال لدار أسد بن عبد العزى رضيع الكعبة لانها كانت تقي عليها الكعبة صباحاً وتقي على الكعبة عشياً وان الرجل من ولد أسد ليطوف بالبيت فينقطع شمع نعله فيرمى به في منزله فيصلح له فاذا عاد في الطواف رمى بها اليه وفي ذلك يقول الشاعر

لهاشم وزهير فضل مكرمة بحيث حلت نجوم الكعبش والاسد
مجاور البيت ذى الاركان بينهما مادونهما في جوار البيت من أحد
قالوا وقد سميت بمكة لانها لا تقر ظمها ولا يغيا ولا يبنى فيها أحد الا
مكته وأخرجته وفد روى الاصمعي فول الراجز في تلبيته

يا مكة الفاجر مكى ولا تمكى مدحجا وع
وثابت اسمى أيضا بالناس لانها نفس من ألحد فيها أى تطرده وتنفيه
وبالناس لانها تبس من ألحد فيها أى تحطمه وتهلكه ومنه قوله تعالى وبست
الجبال بساً

واقعد كان اجتناب الظلم في الحرم شريعة عامة وديناً متبعاً وان حصل اعتداء على النفس أو المال فنادر كما أذى كفار قريش زيد بن عمرو بن نفيل في مكة لما اطرح عبادة الاصنام كراهة أن يفسد عليهم دينهم فقال وهو يعظم حرمة علي من استحل منه ما اسحل من قومه

لا هم انى محرم لاحله (١) وان بيتى أوسط المحلة (٢)

عند الصفا ليس بذى مضله

ومن ذلك أيضا ما روى أن قيس بن شيبه السلمي باع متاعا من أبى بن خلف فلواه بحقه فاستجار برجل من بى جمع فلم يقيم بجواره فقال
يال قصى كيف هذا فى الحرم وحرمة البيت واعلاق الكرم
أظل لا يمنع منى من ظلم

فبلغ الخبر العباس بن مرداس السلمي فقال

ان كان جارك لم تنفعك ذمته وقد شربت بكأس الغل أنفاسا (٣)

فأت البيوت وكن من اهلها صدى لا يلق ناديهم حشا ولا باسا (٤)

وتم كن بفناء البيت معقما تاق ابن حرب وتلق المرء عباسا

قرمى قريش وحلا فى ذؤابنها بالمجد والحزم ما حازا وما ساسا (٥)

ساقى الحجاج وهذا ياسر فلج والمجد يورث أخماسا وأسداسا

وما زالت تقع بالحرم مظالم بين حين وآخر سببها أما الطيش والحقاقة واما
الاعتماد على القوة

(حلف الفضول)

لقد أدرك بعض العلماء ان ما كان يقع من المظالم فى الحرم لو لم ينفذ
الحق فى سبيلها وترد الحقوق لأصحابها لسقطت هيمة الحرم من نفوس العرب
واعندى على سكان البلد الحرام فتسكاهوا فى ذلك ثم نهالوا على مصرة المظلوم
على الظالم وسموه حلف الفضول . فكان فى الحقيقه حلقة سياسياً اجتماعياً
عادت فائدته على قريش خاصة وعلى العرب عامه ودفعهم لعقده أيضاً الدين
مخافة ان يعاقبهم الله على البغى فى الحرم

(١) محرم ساكن فى الحرم (٢) المحلة المنزل (٣) الدمه بالكسر العهد

والغل الحقد (٤) كن حدد البيوت أى قبالتها وقربها (والفحش) عدوان

الجواب و (البأس) العذاب (٥) (القرم) السيد (والذؤابة) من العز

والشرف وكل شيء أعلاه

أما العدوان الذي كان سببا مباشرا لهذا الحلف فهو ما روى ان رجلا من
 بني ربيد قدم مكة معتمرا في الجاهلية ومعه تجارة له فاشتراها منه العاص بن
 وائل الساسي وكان ذا قدر بمكة وشرف خبس عنه حقه ثم تغيب فابتغى الزبيدي
 متاعه فلم يقدر عليه فجاء الى بني سهم يستعديهم عليه فعرف ان لا سبيل الى
 ماله فطوف في قبائل قريش يستعين بهم فتخاذلت القبائل عنه وانتهره الا حلاف
 عبد الدار ونخزوم وجمح وسهم وعدى وكعب . فلما رأى الزبيدي الشر أوفى
 على أبي قبيس عند طلوع الشمس وقد أخذت قريش مجالسها حول الكعبة
 وصاح بأعلى صوته

يا آل فهر لمظلوم بضاعنه ببطن مكة نأى الدار والنفر
 ومحرم اشعث لم يقض عمرته يا آل فهر وبين الحجر والحجر
 اقام من بني سهم بدمتهم ام ذاهب في ضلال مال معتمر
 ان الحرام لمن تمت كرامته ولا حرام لثوب الفاجر الغدر

فقام في ذلك الزبير بن عبد المطلب وحلف ليعقدن حلفاً بينه وبين بطون
 من قريش يعمون القوى من ظلم الضعيف والقاطن من ظلم الغريب وقال

حافت لنعقدن حلفا عليهم وان كنا جميعا أهل دار
 نسميه الفضول اذا عقدنا يعز به الغريب لدى الجوار
 ويعلم من حوالى البيت انا أباة الضيم نمنع كل عار

ثم قال الزبير ما لهذا مترك يا قوم انى والله لا حشى أن يصينا ما أصاب
 الأمم السائفة من ساكنى مكة ومشى الى عبد الله بن جدعان التيمي وهو
 يومئذ شيخ قريش واخبره بظلم بني سهم وقد كان أصاب بني سهم أمران
 طنونهما للبغي . احدهما احتراق المقاييس منهم . وهم قيس ومقيس وعبد قيس
 بصاعقة . وثانيهما ان ركبا منهم أقبلوا من الشام فزلوا بماء يقال له
 القطيعة فصبوا فضلة خمر لهم في اناء فشربوا ثم ناموا وقد بقيت منهم
 بقية فكرع منها حية أسود ثم تقيا في الاناء فهب القوم فشربوا منه
 فأتوا عن آخرهم فأذكره الزبير هذا ومثله واجتمعت كلمة بني هاشم وبني اسد

ابن عبد العزى (١) وبني زهرة وبني تيم بن مرة في دار عبد الله بن جدعان فصنع لهم طعاما وتحالفوا وكانت حرب الفجار في شعبان وحلف الفضول بعدها في ذى القعدة قبل مبعث رسول الله بعشرين سنة (٢) فتجالفوا في شهر حرام قياماً يتماسحون بأكفهم وتعاهدوا بالله ليكونن يدا واحدة على ألا يظلم بمكة غريب ولا قريب ولا حر ولا عبد حتى يأخذوا له بحقه ويكونوا جميعاً مع المظلوم على الظالم حتى يؤدوا اليه مطلته ممن ظلمه شريفاً أو وضيعاً منهم أو من غيرهم أو يبلغوا في ذلك عذراً وعلى ألا يتركوا لأحد عند أحد فضلاً إلا أخذوه وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ما بل بحر صوفة ومارسى حراء ونبير مكانهما وعلى التأسى في المعاش والتساهم بالمال ثم عمدوا الى ماء زمزم فجعلوه في جفنة وبعثوا به الى البيت فغسلت به أركانه ثم أتوا به فشر به ثم انطلقوا الى العاص بن وائل فقالوا والله لا نفارقك حتى تؤدي اليه حقه فاعطى الرجل حقه فكشوا كذلك لا يظلم أحد بمكة إلا أخذوا له حقه . ولم يكن لعبد شمس فيه نصيب حتى قال عتبة بن ربيعة ابن عبد شمس لو ان رحلا وحده خرج من قومه لخرجت من عبد شمس حتى أدخل في حلف الفضول ولقد شهد رسول الله فعن عائشة أنها سمعت النبي عليه الصلاة والسلام يقول لقد شهدت في دار عبد الله بن جدعان حلف الفضول . أما لو دعيت اليه اليوم لأجبت . وما أحب ان لي به حمر النعم واني نقضته وفيه يقول الزبير بن عبد المطلب

ان الفضول تحالفوا وتعاقدوا الا يقيم بطن مكة ظالم (٣)

أمر عليه تعاهدوا وتواثقوا فالجار والمعتز فيهم سالم (٤)

(١) تابعنا ابن أبي الحديد في شرحه لنهج البلاغة وروى الاغانى عن محمد بن فضالة عن أبيه قال لم يكن بنو أسد بن عبد العزى في حلف الفضول (٢) في رواية انه صلى الله عليه وسلم يومئذ كان ابن خمس وعشرين سنة (٣) الفضول هم القبائل التي عقدت هذا الحلف (٤) المعتز الفقير والمتعرض للمعروف من غير ان يسأل

وسبب تسميته بذلك ان قريشا لما تكلموا في عقده قال المطيبون والله
لئن تكلمنا في هذا ليغضبن الاحلاف وقال الاحلاف والله لئن تكلمنا في
هذا ليغضبن المطيبون . وقال ناس من قريش تعالوا فليكن حلفا فضولا دون
المطيبين ودون الاحلاف وقيل انما سمي بذلك لأن قريشا قالوا والله لقد دخل
هؤلاء في فضل من الامر . ونقل السهيلي سبب هذه التسمية عن ابن قتيبة فقال
كان قد س في قريشا الى مثل هذا الحلف جرهم في الزمن الأول فتحالف منهم
ثلاثة ومن بعدهم أحدهم الفضل بن فضالة والثاني الفضل بن وداعة والثالث
وضيل بن الحارث هذا قول القتيبي . وقال الزبير الفضيل بن شراعة والفضل
ابن وداعة والفضل بن قضاة . فلما أشبهه حلف قريش الآخر فعل هؤلاء
الجرهميين سمي حلف الفضول . والفضول جمع فضول وهي أسماء أولئك الذين
تقدم ذكرهم . وهذا الذي قاله ابن قتيبة حسن ولكن في الحديث ما هو
أقوى منه وأولى وهو ما رواه الحميدى عن سفيان عن عبد الله عن محمد
وعبد الرحمن بن أبي بكر قال قال رسول الله صلى عليه وسلم لقد شهدت
في دار عبد الله ابن جدعان حلفا لو دعيت به في الاسلام لأجبت . تحالفوا
ان ترد الفضول على أهائها والا بعز طالم مظلوما فتد بين هذا الحديث لم سمي
حلف الفضول

وكان هذا الحلف أكرم حلف في العرب وأشرفه لوفرة منافعه جاهلية
واسلاما . فقد رد العدل الى نصابه في كثير من الحوادث .

ففي أنار تنمعه في الجاهلية ما ذكره قاسم بن ثابت في غريب الحديث ان
رحلا من خشم قدم مكة معتمرا أو حاجا ومعه بنت له يقال لها القتل من أوضاً
نساء العالمين ما غنصها منه نبيه بن الحجاج وغيبها عنه فقال الخثعمي من يعدينى
على هذا الرجل فليل له عليك بحلف الفضول فوقف عند الكعبة ونادى
يا لحلف الفضول فاذا هم يعنقون اليه من كل جانب وقد انتضوا اسياهم
بقولون جاءك الغوث فما لك فقال ان نبيها ظلمنى في ابنتى وانزعها منى قسراً
فساروا معه حتى وقفوا على باب الدار فخرج اليهم فقالوا أخرج الجارية

ويحك فقد علمت من نحن وما تعاقدنا عليه فاخرجها اليهم
ومن ذلك ما فى الاغانى أن رجلا من ثمالة قدم مكة فباع سلعة له من
أبي بن خلف الجهمى فظلمه وكان يسمى الخالطة فأتى الثمالى الى أهل حلف
الفضول فاخبرهم فقالوا له اذهب فاخبره انك أتيتنا فان اعطاك حقك والا
فارجع | الينا فأتاه فاخبره بما قال له أهل حلف الفضول فأخرج له ماله واعطاه
اياه بعينه وقال الثمالى فى ذلك

اياخذنى فى بطن مكة ظالما أبى ولا قومى لدى ولا صحبى
وناديت قومى صارخاً لتجيبنى وكم دون قومى من فياف ومن سهب
ويا أبى لكم حلف الفضول ظلامتى بنى جمع والحق يؤخذ بالفص
ولقد قطع الاسلام ما كان فى الجاهلية من قولهم يا لفلان عند التحزب
حتى لقد سمع رسول الله يوم المريسيع رجلا يقول يا للمهاجرين وآخر يقول
يا للانصار . فقال دعوها فانها مننته لان الله جعل المؤمنين أخوة فلا يقال
الا يا لله ويا للمسلمين وجاز يا لحلف الفضول خصوصية له لقوله عليه السلام
ولو دعيت به اليوم لأجبت يريد لو قال مظلوم ذلك لأجبت وذلك لارت
الاسلام انما جاء باقامة الحق ونصرة المظلوم فلم يزد به هذا الحلف الا قوة
وليس المراد بقوله عليه السلام وما كان من حلف فى الجاهلية فلن يزيده
الاسلام الا شدة أن يقول الحليف يا لفلان لفلانة فيجيبوه بل الشدة فى
الحديث ترجع لمعنى التعاطف والتواصل

ولقد هم الحسين بن على بن أبى طالب بان يهتف به فلقد روى انه كان
بينه وبين الوليد بن عتبة بن أبى سفیان أمير المدينة من قبل معاوية منازعة
فى مال كان بينهما بذى المروة فتحامل الوليد على الحسين فى حقه لسلطانه
فقال له الحسين احلف بالله لتنصفنى من حقى أو لاخذن سببى ثم لأقومن
فى مسجد رسول الله ثم لأدعون بحلف الفضول وكان عبد الله بن الزبير عند
الوليد حينئذ فقال . وأنا احلف بالله لئن دعا به لاخذن سببى ثم لأقومن
معه حتى ينصف من حقه أو نموت جميعا . وبلغت المسور بن مخرمة بن نوفل

الزهرى وعبد الرحمن بن عثمان بن عبيد الله التيمي فقالا مثل ذلك . فلما بلغ ذلك الوليد بن عتبة أنصف الحسين من حقه حتى رضى . ومن ذلك ما فى الاغانى أن الحسين بن على كان بينه وبين معاوية كلام فى ارض له فخرج مغضبا من عنده فلقى عبد الله بن الزبير فذكر له الحسين أن معاوية ظلمه حقه . وقال أخيره فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم (١) أن يجعلك أو ابن عمر بينى وبينه . أو يقر بحقنى ثم يسألنى فأهبه له أو يشتريه منى . فان لم يفعل فوالذى نفسى بيده لا هتفن بحلف الفضول . قال ابن الزبير : والذى نفسى بيده لئن هتفت به وأنا قاعد لأقومن أو قائم لأمشين أو ماش لاشتدن حتى يفنى روحى مع روحك أو ينصفك قال ثم ذهب ابن الزبير الى معاوية فقال لعينى الحسين نفيرك فى ثلاث خصال والرابعة الصيلم قال معاوية . لا حاجة لما بالصيلم انك لقيته مغضبا فهاى الثلاث . قال تجعلنى أو ابن عمر بينك وبينه قال . قد جعلتك بينى وبينه أو ابن عمر أو جعلتكما قال . أو تقر له بحقه وتسأله اياه قال أنا أقر له بحقه واسأله اياه . قال أو تشتريه منه قال . وأنا اشتريه منه قال فلما انتهى الى الرابعة قال لمعاوية كما قال للحسين لودعانى الى حلف الفضول لأجبتة . فقال معاوية لا حاجة لنا بهذا

بناء الكعبة وكسوتها

أول من بنى الكعبة ابراهيم عليه السلام ذكر صاحب الروض المعطار ان ابراهيم بناها ولم يجعل لها سقفا ثم انهدمت فبنتها العمالقة ثم انهدمت فبنتها جرهم (٢) ثم انهدمت فبناها قصى بن كلاب وسقفها بنخشب الدوم وجريد النخل وجعل ارتفاعها خمسا وعشرين ذراعا . وفى بناء جرهم وقصى لها يقول اعشى قيس

(١) الصيلم الامر الشديد والداهية (٢) قال السهيلي : وقد قيل انه بنى فى أيام جرهم مرة أو مرتين لان السيل كان قد صدع حائطه . ولم يكن ذلك بنيانا انما كان اصلاحا لما وهى منه وجدارا بنى بينه وبين السيل بناء عامر الجارود

حلفت بثوبى راهب الشام والتي بناها قصى وحده وابن جرهم
ثم بنتها قريش وشهد رسول الله بناءها وعمره خمس وعشرون سنة .
وكان بابها فى الارض فقال أبو حذيفة بن المغيرة . يا قوم ارفعوا الباب حتى
لا يدخل الا بإسْم فانه لا يدخلها حينئذ الا من أردتم فان جاء أحد ممن
تكرهون رميتم به فيسقط فكان نكالا لمن رآه ففعلت قريش ذلك . ولما
أجمعت قريش أمرها على هدمها وبناءها قال أبو وهب بن عمرو بن عائذ
المخزومى . يا معشر قريش لا تدخلوا فى بناءها من كسبكم الا طيبا لا يدخل فيه
مهر بنى ولا بيع ربا ولا مظلة أحد من الناس (١)

وهدموها حتى انتهى بهم الهدم الى أساس ابراهيم ورأوا ان ما أخرجوا
من النفقة لا يكفى للبناء فاجمعوا أمرهم على ان يبنوا من البيت على أساس
ابراهيم بقدر ما أخرجوا من النفقة ويتركوا بقيته فى الحجر عليه جدار مدار
يطوفون من ورائه فتركوا من شمال البيت ست أذرع وشبرا وبنوا أساسا
فى بطن الكعبة يبنون عليه وشرعت القبائل فى بنائها حتى اذا بلغ البنيان
موضع الركن وهو الحجر الأسود اختصموا . كل قبيلة تريد أن تضعه موضعه
حتى تحالفوا وأعدوا للقتال عدته ثم اتفقوا على ان يحكموا أول من يدخل
من باب المسجد فكان رسول الله فلما رأوه قالوا هذا الأمين رضينا هذا
محمد وأخبروه خبرهم فدعا عليه السلام بثوب فأتى به ثم قال لتأخذ كل قبيلة
بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعا ففعلوا حتى اذا بلغوا به موضعه أخذته
بيده الشريفة فوضعه موضعه (٢) ثم بنى عليه ولم تزل على بنائها الى أن
تولى عبد الله بن الزبير أمر مكة فى زمن يزيد بن معاوية فأرسل يزيد
اليه الحصين بن غير فى عسكر كثيف من أهل الشام فالتجأ ابن الزبير
للمسجد فرماه الحصين بالمنجنيق فأصاب مقدوفه الكعبة فهدمها وحرق
(١) فيه دليل على حرمة الزنا والربا والظلم عليهم يعلمون ذلك ببقية من
بقايا شرع ابراهيم (٢) حكى الزبير بن أبى بكر ان الذى وضع الركن فى بناء
عبد الله بن الزبير ابنه حمزة اغتتم فرصة شغل الناس بالصلاة خلف أبيه فى

كسوتها وبعض خشبها ثم مات يزيد وانصرف جنده فهدمها عبد الله بن الزبير وبنائها على قواعد ابراهيم وكسا بابها بصفائح الذهب وجعل مفاتيحها من الذهب وأدخل الحجر فيها وجعل لها بابين ملصوقين بالارض شرقيا وغربيا يدخل من واحد ويخرج من الآخر وذلك لما حدثته به عائشة أم المؤمنين عن رسول الله انه قال « الم ترى قومك حين بنوا الكعبة اقتعروا عن قواعد ابراهيم حين عجزت بهم النفقة ثم قال عليه السلام لولا حدثان عهد قومك بالجاهلية لهدمتها وجعلت لها خلفاً (١) والصقت بابها بالارض وأدخلت فيها الحجر » وكان فراغه من بنائها في السابع عشر من شهر رجب سنة أربع وستين

فلما تولى عبد الملك بن مروان أرسل لابن الزبير جيشاً وعلى رأسه الحجاج ابن يوسف فحاصره في مكة حتى استشهد سنة ثلاث وسبعين فدخل الحجاج مكة وكتب لعبد الملك بما صنعه ابن الزبير في الكعبة فقال لسنا من تخليط أبي خبيب (٢) بشيء وأمره ان يعيدها الى ما كانت عليه زمن رسول الله فهدم من جانبها الشامي الشمالي ست أذرع وشيئراً وبني على أساس قریش ورفع الباب الشرقي وسد الغربي ولم يغير من باقيها شيئاً فلما فرغ من بنائها قدم على عبد الملك الحارث بن أبي ربيعة المعروف بالقباع وهو أخو عمر ابن أبي ربيعة ومعه رجل آخر فحدثاه حديث عائشة المتقدم فندم وجعل ينكث الارض بمخضرة في يده ويقول « وددت اني تركت أبا خبيب وما تحمل في ذلك »

فلما تولى أبو جعفر المنصور أراد أن يبنيها على ما بناها ابن الزبير وشاور في ذلك . فقال له مالك بن أنس . أنشدك الله يا أمير المؤمنين ألا تجعل هذا البيت ملعباً للملوك بعدك لا يشأ أحد منهم أن يغيره الا غيره فتذهب المسجد فوضعه حين أحس منهم التنافس في ذلك وخاف الخلاف فأقره أبوه (١) خلفاً أي باباً آخر من خلفها (٢) أبو خبيب كنية عبد الله بن الزبير تكنى باسم ولده خبيب

هيبته من قلوب الناس فصرفه عن ذلك فالكعبة الى اليوم حائطها الشمالى من بناء الحجاج وباقي حوائطها من بناء ابن الزبير

أما كسوتها فقد كسيت فى الجاهلية من زمن قديم اعظاماً لها وأول من كساها تبع الآخر وهو تبان أسعد المتقدم ذكره عند الكلام على المختلف فى نبوتهم من العرب روى انه قدم مكة فطاف بالبيت ونحر عنده وحلق رأسه وأقام بها ستة أيام ينحر للناس ويطعم اهلها ويستقيهم العسل المصفى وأرى فى المنام أن يكسو البيت فكساه الخصف (١) ثم أرى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه الثياب المعافرية (٢) . ثم أرى ان يكسوه أحسن من ذلك فكساه الملاء والوصلات (٣) قال ابن هشام (واوصى بالبيت ولاته من جرهم وأمرهم بتطهيره والا يقر به دماً ولا ميتة ولا مثالة وهى المحائض (٤) وجعل له باباً ومفتاحاً) وقال فى كسوته

وكسونا البيت الذى حرم الله ملاء معضدا وبرودا (٤)

فأقننا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه أقليدا (٥)

ونحرننا بالشعب ستة آلا فترى الناس نحوهن ورودا

ثم سرنا عنه نؤم سهيلا فرفعنا لوأنا معقودا

وروى أبو هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال لا تسبوا اسعد الحميرى فانه أول من كسا الكعبة

وقالت سبيعة بنت الاحب من قصيدة

(١) جمع خصفة وهى ثوب غليظ أو شئ ينسج من الخوص والليف

(٢) نسبة الى معافر بفتح الميم بلد أو ابو حي من همدان (٣) الوصائل

ثياب حبرة من عصب الين سميت بذلك لأنها كانت يوصل بعضها ببعض

واحدتها وصيلة (٤) قال السهيلي لم يرد النساء الحيض لان حائضاً لا يجمع على

محائض وانما هى جمع محيضة وهى خرقة الحيض (٥) المعضد كمعظم ثوب

له علم فى موضع المضد (٦) الاقليد المفتاح .

ولقد غزاها تبع وكسا بنيتها الحبير (١)
 وأذل ربى ملكه فيها فأوفى بالندور
 يمشى اليها حافيا بفنائها الفا بمير
 ويظل يطعم أهلها لحم المهارى والجزور
 يسقيهم العسل المصفى والرحيض من الشعير (٢)

ثم كستها العرب بأنواع كثيرة روى عن ابن مليكة انه قال بلغنى أن الكعبة كانت تكسى فى الجاهلية كسى شتى وكانت البدن تجمل الحبر والبرود والأكسية وغير ذلك من عصب اليمن . وكان يهدى للكعبة هدايا من كسى شتى سوى جلال البدن حبر وخز وأنماط فتكسى منه الكعبة ويجعل مابقى فى خزانة الكعبة فاذا بلى منها شئ أخلف عليها مكانه ثوب آخر ولا ينزع منها شئ وعنه أيضا انه قال :

كانت قريش فى الجاهلية تراقذ فى كسوة الكعبة فيضربون ذلك على القبائل بقدر احتمالها من عهد قصى بن كلاب حتى نشأ أبو ربيعة بن المغيرة بن عبد الله ابن عمرو بن مخزوم . وكان يختلف الى اليمن يتجر فيها فأثرى فى المال فقال لقريش انا أكسو الكعبة وحدى سنة وجميع قريش سنة فكان يفعل ذلك حتى مات يأتى بالحبر الجندية من الجند وهى بلدة باليمن فيكسو الكعبة فسمته قريش العمدل (٣) لانه عدل بفعله فعل قريش . وعن ابن جريج أن الكعبة فيما مضى انما كانت تكسى يوم عاشوراء اذا ذهب آخر الحجاج حتى كان بنو هاشم . فكانوا يعلقون القميص يوم الترويه (٤) من الديباج (٥) ليراه الناس فى بهاء وجمال فاذا كان يوم عاشوراء علقوا عليها الأزار .

(١) غزاها طلبها وقصدها وتريد بالحبير الحبرات (٢) الرحيض من الشعير أى المثقى والمصفى منه (٣) فى الاغانى أن العمدل هو عبد الله بن أبى ربيعة وقد قيل أن العمدل هو الوليد بن المغيرة (٤) هو اليوم الثامن من ذى الحجة (٥) اختلف فى اول من كساها الديباج فقال الزبير النسابة انه عبد الله بن الزبير وحكى ابن اسحاق انه الحجاج لكن روى الدارقطنى أن تتيلة أم

وعن عمر بن الحكم . قال . نذرت أمي بدنة تنحرفها عند البيت وجللتها شقتين من شعر ووبر فنحرت البدنة وسيرت للكعبة بالشقتين والنبي صلى الله عليه وسلم يومئذ بمكة لم يهاجر فنظرت الى البيت يومئذ وعليه كسئ شتى من وصائل وأنطاع وكرار وخر ونمارق عراقية كل ذلك رأيت عليه وذكر ثياب البيت أبو طالب عمه عليه السلام في قصيدته الالامية المشهورة فقال

واحضرت عند البيت رهطى وأخوتى وأمسكت من أثوابه بالوصائل وأقر الاسلام ما كانوا عليه من كسوته فكساه النى عليه السلام الثياب اليمانية ثم كساه عمر وعثمان ومعاوية والأمويون وكان العباسيون يكسونها الحرير الأسود وينسجون كسوتها بطنيس احدى مدن مصر التي عفت ولما ضعفت شوكتهم صارت ترسل كسوتها من ملوك اليمن حيناً وحيناً من ملوك مصر ثم وقف على كسوتها الملك الصالح بن قلاوون قريتي بسوس وسندبيس بمديرية القلوية واستمرت مصر ترسلها من يومئذ الى الان في كل عام وكانوا في الجاهلية لا يزعون من ثيابها شيئاً فعن ابن أبي مليكة انه قال . كانت على الكعبة كسئ كثيرة من كسوة أهل الجاهلية من الأنطاع والأكسية والكرار والأنماط فكانت ركاما بعضها فوق بعض فلما كسيت في الاسلام من بيت المال كان يخفف عنها الشيء بعد الشيء الى أن كانت أيام معاوية فكتب اليه شيبه بن عثمان الحججي يرغب اليه في تخفيفها من كسئ الجاهلية حتى لا يكون عليها شيء مما مسته أيديهم فكتب اليه معاوية أن يجردها وبعث اليه بكسوة من ديباج وقباطى وحبرة فجردها شيبه حتى لم يبق عليها شيء وكساها الكسوة التي بعث بها معاوية وقسم الثياب التي كانت عليها بين أهل مكة وكان ابن عباس حاضرا في المسجد فلم ينكر عليه ذلك ولا كرهه وانكرت عائشة قسمتها بين أهل مكة وقالت لشيبه العباس بن عبد المطلب كانت قد أضلت العباس صغيرا فنذرت ان هي وجدته أن تكسو الكعبة الديباج ففعلت ذلك حين وجدته

بمها واجعل ثمنها في سبيل الله

ثم لم تكن تجرد في كل عام حتى حج الخليفة المهدي العباسي سنة مائة وستين من الهجرة فشكا اليه سدة الكعبة كثرة الكساوى التى عليها فأمر بها فانزلت وأمر الا يعلق عليها الاكسوة واحدة فلم تزل كذلك الى الآن

تعظيم العجم والعرب للكعبة

قد عظمت العجم والعرب الكعبة فن تعظيم العجم لها أن قدماء المصريين كانوا يسمون بلاد الحجاز بالبلاد المقدسة لمكان البيت منها . وكان الهنود يعتقدون أن روح شبيه أحد آلهتهم وهو الأقموم الثالث من تمثال بوذا قد تقمصت في الحجر الاسود حين زيارته بلاد الحجاز . وكان الفرس يعتقدون أن روح هرمز حلت في الكعبة . وذكر بعضهم أن اسلاف الفرس كانوا يحجون البيت الحرام ويطوفون به تعظيما لجدهم ابراهيم وتمسكا بهديه وحفظا لانسابهم لاعتقادهم انهم من نسل ابراهيم . قال المسعودى سميت زمزم لان الفرس كانت تحج اليها في الزمن الاول فزمزمت عليها - والزمزمة صوت تخرجه من خياشيمها . وقال غيره . وكان آخر من حج منهم ساسان بن بابك فأتى البيت وطاف به وزمزم على البرء وفي ذلك يقول الشاعر في القديم من الزمان

زمزمت الفرس على زمزم وذاك من سالنها الاقدم

والزمزمة كلام المجوس وقراءتهم على صلاتهم وطعامهم . وقد افتخر بعض شعراء الفرس في الاسلام فقال

وما زلنا نحج البيت قدما ونلقى بالاباطح آميننا

وساسان بن بابك سار حتى أتى البيت العتيق باصيدينا

وطاف به وزمزم عند برء لاسماعيل تروى الشاربينا

وقد خصها العرب بأنواع من الاحترام لانها بيت الله الحرام وبناء أيهم ابراهيم واسماعيل . فمنها انهم كانوا لا يبنون عندها بيوتا حتى صارت ولاية الحرم لقصى بن كلاب فبنى دار الندوة وأمر قريشا أن تبني بيوتها حوله

لتهابهم العرب لمكان البيت فامثلوا أمره . و (كانوا) لا يرفعون بناءهم فوق بنائها تعظيماً لها . و (كانوا) يتحامون التبريع في البناء كيلا يشبهها وأول من بنى بيتاً مربعاً حميد بن زهير أحد بنى أسد بن عبدالمزى كما في الحيوان للجاحظ لكن في صبح الاعشى ان أول من فعل ذلك هو بديل بن ورقاء الخزاعي و (كانوا) يخلعون نعالهم عند دخولها . وفي صبح الاعشى ان أول من خلع نعليه عند دخولها الوليد بن المغيرة . و (كانوا) يخلقون بها والشواهد على ذلك كثيرة منها قول زهير بن أبي سلمى

فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرحم
و (كانوا) يضمخون البيت في الجاهلية بلحوم الأبل ودماؤها فلما جاء الاسلام قال أصحاب رسول الله فنحن أحق ان يضمخ فانزل الله تعالى لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم
ولقد اشترك اليهود والنصارى والمشركون في احترامها واتخذوها معبداً كل يعبد ربه فيه كما أمره دينه حتى صوروا بها المسيح والعدراء وصوروا بها ابراهيم واسماعيل وفي أيديهما الأزلام ووضعت كل قبيلة صنمها الذي لعبده عليها حتى اجتمع على سطحها ثلاثمائة وخمسة وستون صنماً وما زالت كذلك حتى بعث رسول الله فحما الصور وكسر الاصنام وحلصها لعبادة الله وحده
ولعظيم مكانة الكعبة والحرم لدى العرب اعترفوا لسكان الحرم ومجاوري البيت الحرام بالرئاسة . وهذا ما دعا بعضهم لبناء بيت واتخاذ حرم ليضاهى به حرم الله وبيته فلم يتم له ما أراد كبناء (بس) وكنيسة (القليس)
اما بس — فحكى الاغانى خبره وهو أن بنى بغيض بن غطفان لما استشعروا من نقصهم القوة عند ما انتصروا على صداء — وهى قبيلة من مذحج — قالوا والله لنتخذن حرماً مثل حرم مكة لا يقتل صيده ولا يعصد شجره ولا يهاج عائذه فاتخذوه عند ماء لهم يقال له بس وكان القائم على أمر الحرم وبناء حائطه رياح بن ظالم (١) فلما بلغ فعاهم هذا زهير بن جناب وهو (١) في القاموس بسُ بيت لغطفان بناء ظالم بن أسعد لما رأى قريشا

يومئذ سيدكأب . قال والله لا يكون هذا أبدا وأنا حي فسار في قومه حتى غرا غيلقان فظفروهم وأسروهم وأسر فارسا في حرمهم فقال لأحد أصحابه اضرب رقبتك فقال انه بسل فقال زهير وأبيك ما بسل على بحرام . ثم قام اليه وعطل ذلك الحرم وكانت الولاية على هذا الحرم لبني مرة بن عوف

واما كنيسة القلايس (١) فقد بناها أبرهة الاشرم ملك اليمن من قبل النجاشي بصنعاء الى جنب غمدان لما دانت له قبائل العرب وملك قيادها ولما تم له بناؤها كتب الى النجاشي اني قد بنيت لك بصنعاء بيتا لم تبني العرب والعجم مثله ولن أنهي حتى اصرف حاج العرب اليه ويتركوا الحج الى بيتهم فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك الى النجاشي غضب رجل من النساء أحد بني وقيم ابن عدي بن عامر فخرج حتى أتى القلايس فأحدث فيها ثم خرج فاحرق بقومه فلما أخطر بذلك أبرهة سأل عمه صمعه فقبل له صنعه رجل من العرب من أهل هذا البيت الذي بمكة لما سمع قولك أصرف اليها حج العرب . فغضب أبرهة وحلف لبسيرى الى البيت حتى يهدمه . ثم سار بجيشه ومعه الفيل . فلما نزل بالخميس وهو مكان قريب من مكة أرسل الى قريش فاخبرهم انه لا يريد الا هدم البيت فان لم يتعرضوا لقتاله لا يقاوتهم وعامت قريش انها لا طاقة لها بحربه فأخذ عبد المطلب بمحلة باب الكعبة وقام ومعه نفر من قريش يدعون الله ويستنصرونه على أبرهة وجنده وقال

لا هم ان العبد يمنعه رحله فامنع حلالك (٢)

يطوفون بالكعبة ويسعون بين الصفا والمروة فذرع البيت وأخذ حجرا من الصفا وحجرا من المروة فرجع الى قومه فبنى بيتا على قدر البيت ووضع الحجرين فقال هذان الصفا والمروة واجتزعوا به عن الحج فاغار زهير بن جناب السكبي فقتل نالما وهدم بناءه (١) قال السهيلي سميت هذه الكنيسة القلايس لارتفاع بنائها وعلوها ومنه القلائس لأنها في أعلى الرؤوس (٢) العرب تحذف الألف واللام من الهم وتكتفى بما بقي .

و (الحلال) القوم الحلول في المكان

والنصر على آل الصلي ب وعابديه اليوم آلك

لا يغلبن صليهم ومحالهم أبدا محالك (١)

ان كنت تاركهم وقب لمتنا فأمر ما بدا لك

ثم خرج مع قريش من مكة وتحرروا في شعف الجبال والشعاب تخوفا عليهم من معرة الحبش وأخذوا ينتظرون ما أبرهة فاعل بمكة اذا دخلها فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة وهيأ فيله وعبي جنده . فلما وجهوا الفيل الى جهة الكعبة برك فضر بوا رأسه بالفأس ليقوم فأبى فادخلوا لهم محاجن في مرافقه حتى أدموه ايقوم فأبى فوجهوه الى اليمن فقام يهرول ووجهوه الى الشام فقام يهرول ووجهوه الى المشرق فقام يهرول ووجهوه الى مكة فبرك وجعل الله كيدهم في تضليل وأرسل عليهم طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل (٢) لا تصيب منهم أحدا الا هلك نخرجوا يتساقطون بكل طريق ويهلكون بكل مهلك ومعهم أبرهة مصاب في جسمه يسقط أنملة أنملة حتى قدموا به صعاء وهو مثل فرخ الطائر فنامات حتى انصدع صدره عن قلبه فلما رأت العرب ما حل باصحاب الفيل أعظموا قريشاً . وقالوا أهل الله قاتل عنهم وكفاهم مؤنة عدوهم

ولقد استنزل أبرهة أهل اليمن في بقاء القاييس وبنائها بحجارة قصر بلقيس صاحبة سليمان عليه السلام . وكان مبنياً بموضع من هذه الكنيسة على فراسخ وبه بقايا من آثار ملكها فاستعان بذلك على ما أراد من بهجتها وحسنها فوضع أبرهة الرجال نسقا يناول بعضهم بعضا الحجارة والخشب فنقل اليها منه العدد من الرخام المجزع والحجارة المنقوشة بالذهب حتى نقل ما كان في قصر بلقيس مما احتاج اليه ولقد وصفها ابن العربي (٣) نقلا عن ابن اسحاق فقال :

(١) و (المحال) بكسر الميم الكيد أو التدبير أو المكر أو القدرة أو

القوة والشدة (٢) الابابيل الجماعات و(السجيل) الشديد الصلب

(٣) هو يحيى الدين ابن العربي وجميع ما ننسبه له فن كتابه محاضرة

الابرار ومسامرة الاخيار في الادبيات والنوادر والاخبار

وكان عرض حائط القليس ست اذرع . وكان له باب من نحاس عشر اذرع طولاً في اربع اذرع عرضاً . وكان المدخل منه الى بيت في جوفه طوله ثمانون ذراعاً في اربعين ذراعاً محلى بالساج المنقوش . ومساميره الفضة والذهب ثم يدخل من البيت الى ايوان طوله اربعون ذراعاً عن يمينه وعن يساره عقد مضروبة بالفسيفساء مشجرة بينها كواكب الذهب ظاهرة ثم يدخل من الايوان الى قبة ثلاثون ذراعاً في مثلها بالذراع القصير فيها صلب منقوشة بالذهب والفضة وفيها رحامة مما يلي . مطلع الشمس من اليلق أربعة عشر اذرع في مثلها تعشى عين من نظر اليها من بطن القبة تؤدي ضوء الشمس والقمر الى داخل القبة وكان تحت الرخامة منبر من خشب الآبنوس مفصل بالعاج الابيض ودرج المنبر من حشب الساج ملبسة ذهباً وفضة . وفي القبة سلاسل فضة . وكان في القبة وفي البيت خشبة من ساج منقوشة طولها ستون ذراعاً يقال لها كعيب وخشبة من ساج نحوها في الطول يقال لها امرأة كعيب كانوا يتبركون بهما في الجاهلية . وكان يقال لكعيب الأحمري . وهو في لسانهم الحر . روى انه لما هلك أبرهة ومرقت الحبشة كل ممزق واقفر ما حول هذه الكنيسة فلم يعمرها أحد وكثرت حولها السباع والحيات اتفق أن بعضهم أخذ منها شيئاً فأصيب بأذى فنسب رعاع اليمين ما اصابه الى الصنمين كعيب وامراته فتجاماهما الناس فبقيت بما فيها من الخشب المرصع بالذهب والآلات المفضضة التي تساوى قناطر من المال الى زمن أبي جعفر المنصور فكتب لعامله على اليمين العباس بن الربيع بن عبيد الله الحارثي يأمره بهدمها فهدمها وأصاب العباس مالا كثيراً بما باعه من رخامها ودعا بالسلاسل فعلقها في كعيب والخشبة التي معه فلم يقربهما أحد مخافة مما كان أهل اليمين يقولون فيهما فعلق السلاسل في العجل ثم جذبهما الثيران حتى أبرزا من السور . فلما لم ير الناس شيئاً مما كانوا يخافون من مصراتهما اشترى رجل عراقي الخشبة وقطعها لدار له . واتفق أن العراقي أصيب بجذام فافتن بذلك رعاع اليمين وطغاهم وقالوا أصابه كعيب

قال أبو المنذر (١) وكان رجل من جهة يقال له عبد الدار بن حُديب قال لقومه هلم نبني بيتا نضاهي به الكعبة ونعظمه حتى نستميل به كثيرا من العرب فأعظموا ذلك وأبوا عليه فقال في ذلك

ولقد أردت بأن تقام بنية ليست بحوب أو تطيف بمأتم
فأبى الذين إذا دعوا لعظيمة راغوا ولا ذوا في جوانب قودم
يلحون أن لا يأمرؤا فإذا دعوا ولوا واعرض بعضهم كالأبكم

الاربعة الاشهر الحرم - والبسل

كما كانوا على دين ابراهيم في تحريم الحرم وتكريم الكعبة كذلك كانوا على دينه في تحريم ذى القعدة وذى الحجة والحرم ورجب . فكانوا ينزعون فيها الاسنة عن الرماح ويقعدون عن شن الغارات وطلب الثارات ويأمن الخائف فيها عدوه حتى يلتقى الرجل فيها قاتل ابيه أو اخيه فلا يتعرض له . ولم تكن العرب كلها تحرم الاشهر الحرم فقد كانت طى كلها وخثعم كلها وكثير من أحياء قضاة ويشكر وبى الحارث بن كعب على ما حكاها الجاحظ في الحيوان يحاين لا يرون للحرم ولا للشهر الحرام حرمة وكانوا لا يحجون ولا يعتمرون وبين السهيلي سر مشروعتها فقال

« ان تحريم القتال في الاشهر الحرم كان حكما معمولا به من عهد ابراهيم واسماعيل وكان من حرمان الله ومما جعله مصلحة لاهل مكة . قال الله تعالى « جعل الله الكعبة البيت الحرام قياما للناس والشهر الحرام » وذلك لما دعا ابراهيم لذريته بمكة اذ كانوا بواد غير ذى زرع أن يجعل افئدة من الناس تهوى اليهم ففرض الله على الناس حج البيت قواما لمصلحتهم ومعاشهم . ثم جعل الاشهر الحرم اربعة ثلاثة سردا وواحدا فردا وهو رجب أما الثلاثة فليأمن الحجاج على انفسهم واهليهم واردين الى مكة وصادرين عنها شهرا قبل شهر الحج وشهرا بعده قدر ما يصل الراكب من أقصى بلاد العرب ثم يرجع حكمة

(١) هو هشام بن محمد بن السائب الكلبي المشهور بابن الكلبي المتوفى سنة ٢٠٤ هجرية ومانعزوه اليه بكنية أبي المنذر فما ذكره في كتاب الاصنام

من الله . وأما رجب فللعامة أريأمنون فيه مقبلين وراجعين نصف الشهر للاقبال ونصفه للأياب اذ لا تكون العمرة من أقاصى بلاد العرب كما يكون الحج . وأقصى منازل المعتمرين بين مسيرة خمسة عشر يوماً فكانت الأقوات تأتى أهل مكة فى المواسم وفى سائر العام تنقطع عنهم ذؤبان العرب وقطاع السبل مصلحة لأهلها ونظرا من الله لهم دبره وابقاه من ملة ابراهيم »

ولا اعتيادهم الاعتار فى رجب سموه مننصل الأول (١) لانهم كانوا ينصلون الأسنة عن الرماح حتى يخرج الشهر . قال الاعشى

تداركه فى منصل الأول بعد ما مضى غير أداء وقد كاد يعطب (٢)
وكانوا يدعونه الاصم لانهم كانوا لا يتغازون فيه ولا يتنادون فيه بالفلان وبالفلان ولا تؤخذ فيه الثارات . وكانت مضر تعظم رجبا اكثر من سائر العرب وتذبح فيه قربانا تسميه الرجبية حتى أضيف اليها فقييل رجب مضر وكانوا يرون رجبا أسرع الاوقات لاجابة الدعاء فكانوا يؤخرون الدعاء على الظالم حتى اذا دخل رجب دعوا عليه فيه * روى ابن عباس أن عمر بن الخطاب رأى رجلا مبتلى فقال ما رأيت افطع منظرا منه . فقييل له أما تعرفه يا أمير المؤمنين قال لا . قيل هذا ابن ضبعان السامى الذى دعا عليه عياض . فقال لعياض اخبرنى خبرك . فقال يا أمير المؤمنين كان بنو ضبعان عشرة وأنا ابن عم لهم فكنت مستجيرا بهم وجارا لهم فظلمونى وأخذوا مالى عدوانا فذكرتهم بالله والرحم والجوار فلم يفد فأمهلتهم الى دخول رجب فرفعت يدى الى السماء وقلت

لاهم ادعوك دعاء جاهدا تقتل بى صبعان الا واحدا
ثم اضرب الرجل فذره قاعدا اعمى اذا ما قيد أعياء القائدا
وكان ذلك فى الجاهلية فتتابع منهم تسعة ماتوا فى عام واحد وبقي منهم هذا اعمى رماه الله فى رجليه بما ترى . فقال عمر سبحان الله ان هذا لأمر

(١) الأول الاسنة - والألة الحربة - يقال أله يؤله ألا اذا طعنه

(٢) الأداء ثلاث ليال من آخر الشهر

عجيب . وكانوا قبيل دخول الاشهر الحرم وعند انسلاخها حريصين على الاخذ بالثأر أو انتهاز اغتيال يدعوا اليه الحق والفساد . فقد روى ابن أبي الحديد عن شيخه أبي علي ان الرياشي ذكر أن العرب تسمى آخر يوم من شوال فلتة من حيث أن كل من لم يدرك ثأره فيه فاته ثم قال والذي رواه عن أهل اللغة قول لا نعرفه والذي نعرفه انهم يسمون الليلة التي ينقضى بها آخر الاشهر الحرم ويتم فلتة . وهي آخر ليلة من ليالى الشهر لانه ربما رأى الهلال فوم لتسع وعشرين ولم يبصره الباكون فيغير هؤلاء على أولئك وهم غافلون . فلهذا سميت تلك فلتة (١)

فمن سارعتهم بأخذ الثأر قبيل دخول الشهر الحرام ما كان من عاصم بن المفشعر الضبي فانه لما علم أن الخنيفة الضبي قتل أخاه بيده في آخر يوم من جمادى الآخرة نهض عاصم فبذل دخول رجب وانطلق حتى اذا كان بغناء خباء الخنيفة ناداه مستجدا فلما خرج اليه الخنيفة وسار معه داباه عاصم حتى قاربه ثم قنعه بالسيف فأطار رأسه وقال (العجب كل العجب بين جمادى ورجب) فسارت كلمته مثلاً

فاذا انسلاخت الاشهر الحرم كانوا بين حروب أو قدت بارها الاحقاد وغارات أثارها طالب الثأر أو السلب أو الميل للفساد وشاهده قول طفيل الغنوى وهو شاعر جاهلي

ظلمائن أبرقن الخريف وشمته وخفن الهمام ان تقاد قبالة (٢)

يعنى دخلت شهور الحل تخفن ان يغير الهمام عليهن فتتمكن ناحيته وتباعدن عنه . وقد توعد تأبط شرا العوص بقتالهم عند انسلاخ الأشهر الحرم وذلك انه خرج يوماً وصاحبان له حتى أغاروا على العوص من بحيلة

(١) في القاموس الفلانة آخر ليلة من كل شهر أو آخر اليوم من الشهر الذي بعده الشهر الحرام (٢) أبرقن الخريف رأين برق الخريف - وقال بعضهم دخلن في برق الخريف و (شمته) أبصرنه - والشميم المظر الى البرق خاصة و (القنابل) جمع قنبلة وهي الجماعة من الخيل

فاخذوا نعماءهم واتبعهم العوص فادركوهم وقد كانوا استأجروا لهم رجالا كثيرة : فلما رأى تأبط شرا ان لا طاقة لهم بهم عدا وتركهما فقتل صاحباها فقال يرثيها ويتوعد .

لنعم فتى نلتهم كأنت رداءه على سرحة من سرح دومة شائق (١)
فعدوا شهور الحرم ثم تعرفوا قتيلا أناس أو فتاة تمانق (٢)
ومع هذا فقد قتل بعضهم بعضا في الشهر الحرام بل وفي الحرم نفسه
لسبب الغضب الذي يملك على العقل زمامه أو الاستهانة بأمر الدين . كما كان من
الشفرة فانه لما قدم مني وبها حرام بن جابر فقتله له هذا قاتل أبيك فقتله
ثم سبق الناس على رجله وقال

قلت حراما مهديا بملبد بيطن مني وسط الحجيج المصوت (٣)
وقد أغار معبد بن زرارة على بني عامر بن مالك في شهر رجب الحرام
وكذلك قتل ضبة بن اد بن طابخة في الشهر الحرام الحارث بن كعب .
وكان من خبره ما روى ان الحارث لقي سعيد بن ضبة وهو غلام قد خرج
في ابل لأبيه قد ضات وكان عليه بردان فلقى الحارث فسأله برديه فأبى عليه
فقتله ومكث ضبة ماشاء الله ان يمكث . ثم حج فوافى عكاظ فلقى بها الحارث
ابن كعب وعليه بردا ابنه سعيد فعرفهما . فقال له هل أنت مخبري عن هذين
البردين . قال بلى لقيت غلاما وهما عليه فسألته اياهما فأبى على فقتلته واخذتهما
فقال ضبة بسيفك هذا قال نعم . قال : فاعطنيه أنظر اليه فاني أظنه صارمأ
فاعطاه الحارث سيفه فلما أخذه من يده هزه . وقال : الحديث ذو شجون
ثم ضربه به حتى قتله . فقتل يا ضبة أفي الشهر الحرام فقال : سبق السيف
العذل فال الفرزدق .

لا تأمن الحرب ان استعارها كضبة اذ قال الحديث شجون
ومن ذلك قتل البراص بن قيس السكناني عروة الرحال الهوازي في

(١) شائق مشدود (٢) تعرف طلب المعرفة حتى عرف

(٣) المهدي سئق الهدى وهو ما أهدي الى الحرم

حديث رويوه وهو ان البراض كان سكيما فاسقا خلعه قومه وتبرءوا منه فليحق
 بالنعمان بن المنذر بالحيرة وكان النعمان يبعث الى سوق عكاظ بلطيمة (١) لتماع
 فيه ويشتري له بئمنها آدم من آدم الطائف . وكان يرسلها في جوار رجل
 من أشرف العرب . فلما جهز اللطيمة قال من يجيرها فقال البراض أنا أجيرها
 على بنى كنانة فقال له النعمان انما أريد رجلا يجيرها على أهل نجد وتهامه وكان
 عروة الرحال حاضرا فقال أنا أجيرها لك أبيت اللعن . فقال البراض أتجيرها
 على كنانة فقال نعم وعلى الناس جميعا أفكلب خايع يجيرها نخرج فيها عروة
 الرحال وخرج البراض يطلب غفاته حتى اذا كان بالعالية غفل عروة فوثب
 عليه البراض فقتله في الشهر الحرام فكان ذلك سبب حرب الفجار الثاني (٢)
 فجار البراض وایامه يوم نخلة ثم يوم شمة ثم يوم الملاء ثم يوم عكاظ ثم يوم
 الحيرة (٣) وهي حرة الى جنب عكاظ كما في الاغانى . وكانت حرب الفجار في
 الاشهر الحرم ففي القاموس (ايام الفجار بالكسر أربعة أفجرة في الاشهر
 الحرم (٤) كانت بين قريش ومن معها من كنانة وبين قبس عيلان وكانت
 الدبرة على قيس فلما قاتلوا قالوا فجزنا حضرها النبي صلى الله عليه وسلم
 وهو ابن عشرين وفي الحديث كنت أنبل (٥) على عمومي يوم الفجار
 ورميت فيه بأسهم وما أحب انى لم أكن فعلت) . وقد أخرجه أعمامه
 معهم وقيل لم يقاتل في فجار البراض أى لم يرم فيه بأسهم .

وفي الاغانى ان النبي شهد أيام حرب الفجار الا يوم نخلة وكان يناول

(١) اللطيمة العير التي تحمل الطيب والبر للتجارة (٢) الفجار الاول كانت
 الحروب فيه ثلاثة أيام ولم تسم باسم شهر بها (٣) الحيرة كهيرة . وقد جعل
 السهيلي أيام الفجار خمسة أفجرة فزاد فيه يوم الشرب قال وهو أعظمها يوما
 وفيه قيد حرب وسفيان وأبو سفيان أبناء أمية أنفسم كي لا يفروا فسموا
 العنابس (٤) استظهر الحلبي في سيرته ان حرب الفجار لم تكن في الشهر
 الحرام بل كانت في شوال وقيل في شعبان (٥) أنبل على عمومى أى أرد
 عليهم نبل عدوهم اذا رموهم بها

عمه وأهله النبل وعمره يومئذ عشرون سنة وطعن عليه السلام أبا براء ملاعب الأُسنة وسئل عن مشهده يومئذ فقال (ما سرتني أني لم أشهده أنهم تعدوا على قومي عرضوا عليهم أن يدفعوا اليهم البراض صاحبهم فأبوا)

ولقد رد الجاحظ في الحيوان على من يعترض كون النبي شهد هذه الحرب بقوله (ولا يزال الطاعن بقول قد علمنا أن العرب لم يسموا حروب أيام الفجار بالفجور وفريشا خاصة إلا أن القتال في البلد الحرام كان عندهم فجورا وتلك حروب قد شهدها النبي صلى الله عليه وسلم وآله وهو ابن أربع عشرة سنة وابن أربع عشرة سنة يكون بالغاً . وقال شهدت الفجار فكنت أنبل على عمومي (وجواباً في ذلك) أن بني عامر بن صعصعة طالعوا أهل الحرم من قريش وكنانة بحريرة البراض بن قيس في قتله عروة الرحال . وقد علموا أنهم يطالبون من لم يحن ومن لم يعاون وأن البراض بن قيس كان قبل ذلك خابعاً مطروداً فأتوه إلى حرمهم يلزمونهم ذنب غيرهم فداوموا عن أنفسهم وعن أموالهم وعن ذراريتهم والفاجر لا يكون المسعى عابه . ولذلك أشهد الله تبارك وتعالى نبيه عابه الصلاة والسلام ذلك الموقف وأنه نصرنا كما نصرت العرب على فارس يوم ذي فارد عليه الصلاة والسلام ومخرجه)

وخالف السهيلي الجاحظ فأنكر قتال النبي فيها بقوله « وإنما لم يقاتل رسول الله مع أممائه وكان بذل عليهم وقد كان بلغ سن القتال لأنها كانت حرب فجار وكانوا أيضاً كافراً ولم يأذن الله تعالى لمؤمن السن يقاتل إلا لتكون كلمة الله هي العليا » وأنى لا أعجب من السهيلي في قصره المقاتلة على الرمي بالسهم أو الطعن بالرمح مع أن من كان بذل على المقاتلة مشترك في القتال ومعين عليه . ودعواه أن الله لم يأذن لمؤمن في القتال إلا لأغلاء كلمته مردودة لأن القتال كما يكون لذلك يكون لدفع الظلم والفساد

وكون الأشهر الحرم أربعة كما قدمنا مذهب أكثر العرب ومنهم قوم لم يقفوا عند شريعة إبراهيم فتجاوزوا حدود الله وزادوا في الدين فجعلوا الأشهر الحرم ثمانية وهو (البسمل) قال في القاموس البسمل ثمانية أشهر حرم

كانت لقوم من غطفان وقيس . وذكر ابن اسحاق بنى مره بن عوف وهم قوم دخلوا في نسب غطفان فقال وفيهم كان البسل فيما يرمعون بسبتهم ثمانية أشهر حرم لهم من كل سبعة من بين العرب . قد عرفت ذلك لهم العرب لا ينكرونه ولا يدفعونه يسرون به إلى أى بلاد العرب شاءوا لا يخافون منهم شيئا :
النسيء

ولما كانت العرب تدين بدين ابراهيم من تحريم الفبال في الاربعه الأشهر الحرم ذى القعدة وذى الحجة والمحرم وشهر رجب وكانوا يخاويع لشين الغارات وتلب الثمارات كرهوا بوائى ثلاثة أشهر لا يفرون فيها فأحدثوا النساء وكانوا يسألونهم تأخير حرمة الحرم الى سفر قاله أبو على القالى في أماليه (١) وقال أبو عبيد أنهم اذا احتاجوا للحرب في الحرم أحرأوا شريحه الى سفر ثم يؤخرون سفرأ في سبعة أخرى . وكانت النساء من بنى فقيهم بن عدى بن عامر بن نعلبة بن الحارث بن مالك بن كنانة بن خزيمة قال الشاعر .

أزعم الى من مقيم بن مالك لعمرى لقد غيرت ما كنت اعلم
لهم ناسئ بمشور تحت لوائه يحل اذا شاء الشهور وبجرم
أما مكان النسيء وذكر انه كان جرة العقبة وكان يقف عندها الناس
اذا صدر الحاج من منى فيقول اللهم انى ناسئ الشهور وواضعها فلا أعاب
فى أمرى ولا يردلى قضاء اللهم انى قد أحللت دماء المحلين من طيى وحتمهم (١)
فاقتلهم حيث تقتلهم — فسألوه أن يدسهم شهرا فان قال ان آلهتكم قد
(١) عبارته نقضى ان النسيء لا يكون فى رجب لانه فرد وخالفه
الفيروز نادى فى القاموس لقوله (التلمس رجل كنانى من ساء الشهور
كان يقف عند جرة العقبة ويقول اللهم انى ناسئ الشهور وواضعها مواضعها
ولا أعاب ولا أجاب اللهم انى قد أحللت أحد المسلمين وحرمت سفر المؤحر
وكذلك فى الرجبين يعنى رجبا وشعبان اتقروا على اسم الله)
(٢) أحل دماءهم لأنهم كانوا محلين يعدون على الناس فى الشهر الحرام

أحلت لكم المحرم فأحلوه عقدوا الاوتار وركبوا الازجة واغاروا وان قال ان الهنكم قد حرمت عليكم المحرم خرموه حلوا الاوتار ونزعوا الاسنة وذكر المقرئى أن الناسى كان يقوم على باب الكعبة اذا فرغت العرب من حجها فيقول لهم : ان آلهتكم العزى قد انسأت صفرا الاول وكان يحله عاما ويحرمه عاما وكان اتباعهم على ذلك غطفان وهوازن وسليم وتميم تلك عبارته فلعل الناسى كان ينسئ مرتين مرة عند جرة العقبة وأخرى على باب الكعبة وحصر الناسى ابن هشام فقال وكان أول من نسأ الشهور على العرب فأحلت منها ما أحل وحرمت منها ما حرم القامس وهو حذيفة بن عبد بن فقيم بن عدى بن عامر ثم قام بعده على ذلك ابنه عباد بن حذيفة ثم قام بعد عباد قلع (١) بن عباد ثم قام بعد قلع أمية بن قلع ثم قام بعد أمية عوف بن أمية ثم قام بعد عوف أبو ثمامة جنادة بن عوف وكان آخرهم . وعليه قام الاسلام . فجمعهم ستا يقوم الولد بالامر بعد والده

وذهب المقرئى الى أن أول ناسى سرير بن ثعلبة بن الحارث بن مالك ابن كنانة ثم من بعده ابن أخيه القامس وهو عدى بن عامر بن ثعلبة ثم صار النسئ فى ولده الى آخرهم أبو ثمامة جنادة بن عوف . وذكر أبو بكر النبازى ان من النساء نعيم بن ثعلبة وتعقبه السهيلي بان هذا ليس بمعروف وفى صبح الاعشى ان أول من نسأ النسئ عمرو بن لحي وهو أبو خزاعة (٢) ولقد اكثر الشعراء من بنى كنانة الافتخار بالنساء من ذلك قول بعضهم — ومنا ناسئ الشهر القامس — وقال غيره

استأوا الشهور بها وكانوا أهلها من قبلكم والعلم يتحول

وقال عمير بن قيس جذل الطعان الكنانى

(١) نقل السهيلي عن ابن السكبي انه قال ففسأ قلع بن عباد سبع سنين ونسأ بعده أمية بن قلع احدى وعشرين سنة ثم نسأ من بعده جنادة وهو القامس أربعون سنة (٢) جميع من ذكر النسئ بهذا المعنى جعل النساء من بنى كنانة فلعل عمرو بن لحي مبتدع النسئ بمعنى تأخير الحج عن وقته

أقد علمت معدان قومى كرام الناس ان لهم كراما (١)
 فأى الناس فاتونا بوتر وأى الناس لم نعلمك لجاما (٢)
 أسنا الناسئين على معد شهر الحل نجعلها حراما

وهناك نوع ثان من النسى، وهو تأخير الحج عن وقته تحريا منهم للسنة الشمسية لأن وقت الحج في دين ابراهيم في شهر ذى الحجة . وهو شهر هلالى يدور في كل فصل من فصول السنة . فأرادوا وقوع حجهم حين يعتدل الزمان وتندرک الفاكهة والغلال ليأدوا مناسكهم ويتجروا ببصائعهم

فقد كانت تقام في أشهر الحج ثلاث أسواق كبرى بحجة بالظهران وعكاظ بين نخلة والطائف تقوم هلال ذى القعدة وتستمر عشرين يوما وذو الحجاز بالجانب الايسر من عرفة على فرسخ منها وتنقضى اليوم الثامن من ذى الحجة فأخروا الحج في كل سنة احد عشر يوما لموافقة السنة الشمسية ففسدوا الحرم الى صفر وصفرا الى ربيع الاول وهكذا فوقع الحج في السنة الثانية في عاشر المحرم وصار في اعتبارهم ذا الحجة وآخر شهور السنة وصار في السنة محرمان ثانيهما للنسئ وصارت عدة الشهور ثلاثة عشر ثم بعد مرور سنتين أو ثلاث نقلوا الحج للشهر الذى يليه . فكانوا يديرون النسئ على جميع شهور السنة فيكون لهم في سنة صفران وفي أخرى ربيعان وهكذا وهذا مصداق قول مجاهد كانت الجاهلية يحجون في كل شهر من شهور السنة

وفي الملل للشهرستانى ، كانوا يكبسون في كل عامين شهرا وفي كل ثلاثة أعوام شهرا . وكانوا اذا حجوا في شهر من هذه السنة جعلوا يوم التروبة (٣) ويوم عرفة ويوم النحر كهيئة ذلك في شهر ذى الحجة فيكون يوم النحر عاشر ذلك الشهر

وانكر المرحوم محمود باشا الفلكى معرفة العرب للنسئ بهذا المعنى وقد

(١) أى ان لهم آباء كراما واخلاقا كراما (٢) تقول اعلمت كراما كراما
 اذا رددته عن تنزعه فضغ الاجام كالملك من نشاطه يعنى أى الناس لم يكفهم كما
 تكف الفرس بالاجام (٣) هو اليوم الثامن من ذى الحجة

نقص دليله عند السكالم على علم الفلك من كسابي (علوم العرب في الجاهلية)
ومن لطيف الاشارات في الرد عليه ما نقله السهيلى عن شيخه أبى بكر في قوله
تعالى (يسئلونك عن الأهله فل هي موافيت للامس والحج) قل «وحص الحج
بالذكر دون غيره من العبادات الموافقة بالاوقات تأكيذا لاعتباره بالأهله
دون حساب الاعاجم من أجل ما كانوا أحدثوا في الحج من الاعتبار بالشهور
المعجمية». ومما حرم الله تعالى النسيء أقوله عليه السلام في خطبة حجة الوداع
«اد الرمان فدا سمدار كبريائه يوم خلق الله السموات والارض السنة اثنا عشر
شهرا - منها أربعة حرم ثلاثة مواليات دو القعدة وذو الحجة والمحرم - ورجب
مصر (١) الذى بين جمادى وشعبان ثم نلا قوله تعالى ان عدة الشهور عند الله
اثنا عشر شهرا (٢) في كتاب الله يوم خلق السموات والارض منها أربعة حرم
ذلك الدين القيم فلا تظنوا فيهن أنفسكم - وقالوا المشركين كافة كما يقالونكم
كافة واعلموا ان الله مع المقيمين انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين
كفروا يحلون عامما ويحرمونه عامما (٣) ليواطئوا عدة ما حرم الله فيحلوا
ما حرم الله (٤) رين لهم سوء أعمالهم والله لا يهدي القوم الكافرين
والمعنى لقد عاد الحج في ذي القعدة وبطل النسيء بنوعيه لما في أحدهما
من كون السنة ثلاثه عشر شهرا ولما في الثانى من عدم توالى الملاة الاشهر الحرم

(١) قال الموروى فانوا كان بين بنى مضر وبين ربيعة اختلاف في رجب
فكانت مضر تجعل رجبا ما بين جمادى وشعبان وكانت ربيعة تجعله رمضان
فلهذا أصابه النبي الى - وقال السهيلى انما قال رجب مصر لان ربيعة كانت
تحرم في رمضان وتسميه رجبا من رجب الرحل ورجبته اذا عظمت (٢) أى
لا ثلاثة عشر شهرا كما كانوا يفعلون لموافقة السنة الشمسية (٣) أى يحلون
الشهر من الاشهر الحرم عامما ويحرمونه عامما - وهذا يصدق على النسيء بنوعيه
(٤) يواطئوا أى يوافقوا والمعنى ليوافقوا العدة الى هي الاربعة وقاتهم
التخصيص الذى هو أحد الواجبين

الحج - أحكام الاحرام به ^(١) الحنبل

فرض حج البيت في دين ابراهيم وأمر بتبليغه فنادى أيها الناس ان الله قد كتب عليكم الحج الى البيت العتيق ثم حج ومعه اسماعيل حجة كحجة الاسلام وقد ذكر ابن الأثير في السكامل كيفية حجه فقال . ثم خرج ابراهيم باسمايل معه الى التروية فنزل به منى . ومن معه من المسلمين فمضى بهم الظهر والعصر والمغرب والعشاء الآخرة . ثم بات حتى أصبح فمضى بهم الفجر ثم سار الى عرفة فقام بهم هناك حتى اذا مالت الشمس جمع بين الصلاتين الظهر والعصر . ثم راح بهم الى الموقف . من عرفة الذي يقف عليه الامام فوقف به على الأراك (٢) فلما غربت الشمس دفع به ومن معه حتى أتى المزدلفة فجمع بها الصلاتين المغرب والعشاء الآخرة ثم بات بها ومن معه حتى اذا طلع الفجر صلى الغداة ثم وقف على قزح حتى اذا أسفد دفع به ومن معه يريه ويعلمه كيف يصنع حتى رمى الجمرة وأراه المنحدر ثم نحر وحاق وأراه كيف يطفو ثم عاد به الى منى ليريه كيف يرى الجمار حتى فرغ من الحج . وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن جبريل هو الذي أرى ابراهيم كيف يحج

تلك عبادة ابن الأثير ومقتضى ما أن السلوات الخمس شرعت في دين ابراهيم ولم أر غيره نقل ذلك الا أن البروق ذكر في شرح مسلم أن المزدلفة سميت يجمع لانه يجمع فيها بين المغرب والعشاء ومقتضى ما أنهم كانوا يصلونها لأن علة التسمية أتت بها فدل على ذلك في الجاهلية . وقد كانت العرب تحج بيت الله الحرام مشاة أو ركباناً ومنهم من كان ينذر حجه لقول أبو طالب

ومن حج بيت الله من كل ركب ومن كل ذي نذر ومن كل راجل (٣)

(١) الاحرام بالحج الدخول في أعماله لان الحاج يحرم على نفسه أشياء من الحلق وتقليم الاظفار ومباشرة النساء وقتل الصيد وغير ذلك ويقابله الاحلال (٢) الأراك كسحب موضع بعرفة قرب نمرة (٣) روى السيوطي في اسباب النزول عن مجاهد قال . كانوا لا يركبون ورخص لهم فيه بقوله تعالى « وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق »

ومنهم من كان لا يتكلم في الحج تقرباً لله تعالى روى البخاري في صحيحه بسنده عن قيس بن أبي حازم قال دخل أبو بكر على امرأة من أحبس يقال لها زينب فرآها لا تكلم فقال ما لها لا تكلم قالوا حجت مصمتة . قال لها تكلمي فان هذا لا يحل هذا من عمل الجاهلية فتكلمت وهم ينقسمون بالنسبة لأعمال الحج ثلاثة أقسام .

القسم الاول : من كانوا على دين ابراهيم لم يبدلوا فيه وحج هؤلاء موافق لما كان عليه أسلافهم الى زمن ابراهيم

القسم الثاني من بدلوا دين ابراهيم فأدخلوا عليه تعظيم الاصنام وهؤلاء خلطوا أعمال الحج المشروعة في دين ابراهيم بالتقرب للآوثان من الاهلال بالحج عندها أو التحليل لديها أو غير ذلك

القسم الثالث : من ميزوا أنفسهم عن سواهم فلم يشتركوا مع غيرهم في كل أعمال الحج كما فعلت قريش ومن تبعهم في رأيهم وامتنازوا بأمور ابتدعوها فسموا حمسا (١) وغيرهم الحلة فسموا العرب بفعالهم الى حلة وحس . وبين ابن اسحاق ما دعا قريشا لا بدع النحس فقال

وقد كانت قريش لا أدري قبل الهيل أو بعده (٢) ابتدعت رأى الحس رأياً رأوه وأداروه فقالوا نحن ببو ابراهيم وأهل الحرمة وولاة البيت وقطان مكة وساكنوها . فليس لأحد من العرب مثل حقنا ولا مثل منزلتنا . ولا تعرف له العرب مثل ما تعرف لنا . فلا تعظموا شيئاً من الحل كما تعظمون الحرم فانكم ان فعلتم ذلك استخفت العرب بحرمتمكم . وقالوا قد عظموا من الحل مثل ما عظموا من الحرم فتركوا الوقوف على عرفة والافاضة منها وهم يعرفون ويقرون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرون لسائر العرب

(١) في القاموس الحس لقب قريش وكنانة وجذيلة ومن تابعهم في الجاهلية لتحمسهم في دينهم أى لشدهم أو لالتجائهم بالحماء وهي الكعبة لان حجرها ابيض الى السواد (٢) ذهب ابن الاثير الى ان قريشا ابتدعوا رأى الحس بعد الفيل

أن يقفوا عليها وأن يفيضوا منها . الا انهم قالوا نحن أهل الحرم فليس ينبغي لنا أن نخرج من الحرم ولا نعظم غيرها كما نعظمها نحن الخمس - والخمس أهل الحرم - ثم جعلوا لمن ولدوا من العرب من ساكن الحل والحرم مثل الذي لهم بولادتهم اياهم يحل لهم ما يحل لهم ويحرم عليهم ما يحرم عليهم . وكانت كنانة وخزاعة قد دخلوا معهم في ذلك »

ومن الخمس أيضاً جديلة قيس كما حكاه النووي . وقال أبو عبيدة النحوي أن بنى عامر بن صعصعة تبعوا قريشاً في رأى الخمس . وذكر ابن العربي أن منصور بن عكرمة تزوج حفصة بنت سلمى بنت ضبيعة بن علي بن يعمر بن قيس بن عيلان فولدت له هوازن ففرض مرضاً شديداً فنذرت سلمى لأن يرى* لتحمسنه فاما يرى* حمسته وعليه هوازن من الخمس أيضاً

وروا أن الرجل من أهل الجاهلية اذا أحرم تقلد قلادة من شعر فلا يتعرض له أحد . فاذا حج وقضى حجه تقلد قلادة من اذخر . وقيل كان الرجل يقلد بغيره أو نفسه قلادة من لحاء شجر الحرم فلا يخاف من أحد ولا يتعرض له أحد بسوء

وعن قتادة في قوله تعالى جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس والشهر الحرام والهدى والقلائد قال جعلها حواجز وأبقاها الله بين الناس في الجاهلية فكان الرجل لو جر كل جريرة ثم لجأ الى الحرم لم يتناول ولم يقرب وكان الرجل لو لقي قاتل أبيه في الشهر الحرام لم يتعرض له ولم يقربه وكان الرجل اذا أراد البيت تقلد قلادة من شعر فأحتمه (١) ومنعته من الناس وكان اذا نقر تقلد قلادة من الاذخر أو من لحاء الشجر فمنعته من الناس حتى يأتي أهله حواجز أبقاها الله بين الناس في الجاهلية

قال ابن عباس رضى الله عنه وكان ذو المجاز وعكاظ متجراً للناس في الجاهلية فلما جاء الاسلام كأنهم كرهوا ذلك ظناً منهم انها تحل باخلاص العمل حتى نزل قوله تعالى « ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلاً من ربكم »

(١) أحتمه جعلته حى لا يقرب

وممنهم قوم استحبوا الحج بلا زاد وقالوا نحن المتوكلون وكانوا يضيفون على الناس (١) حتى نزل قوله تعالى « وتزودوا فان خير الزاد التقوى »
وابتدعت الخمس في الحج من باب التزهّد والتأله أشياء حكاهها ابن العربي من حديث ابن اسحاق بسنده عن ابن عباس قال فلم تكن نساء الخمس ينسجن ولا يفرزن الشعر ولا يسلّون السمن (٢) اذا أحرمن . وكان الخمس اذا أحرموا لا يأقطنون الاقط ولا يأكلون السمن ولا يسلّون ولا يمسحون باللبن ولا يأكلون الزبد ولا يابسون الوبر ولا الشعر ولا يستظلون به ماداموا محرمين ولا يفرزون الشعر ولا الوبر ولا ينسجون وانما يستظلون بالأدم .
ولا يأكلون شيئاً من نبات الحرم وكانوا يعظمون الاشهر الحرم ولا يخفرون فيها بذمة ويطوفون بالبيت وعليهم ثيابهم . وكانوا اذا أحرم الرجل منهم في الجاهلية وأول الاسلام فان كان من أهل المدر بعنى من أهل البيوت والقرى نقب نقباً في ظهر بيته فنه يخرج ولا يدخل من بابه وكانت الخمس اذا أحرمت وأرادت دخول بيتها تسورت من ظهور البيوت وأدبارها ويمحرمون الدخول من أبوابها حتى يموت الله محمد صلى الله عليه وسلم فالحرم عام الحديبية ودخل بيته من بابه . وكان معه رجل من الانصار فوقف بالباب فقال له ألا تدخل فقال الانصارى أنا أحمس يارسول الله فقال رسول الله وأنا أحمس دينى ودينك سواء فدخل الانصارى مع رسول الله لما رآه دخل بابه . فأنزل الله (وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها) . وخالف التبريزى في شرح حماسه أبى تمام . فقال (وكان الرجل اذا أحرم قبل الحج فان كان من اهل المدر اتخذ نقباً في ظهر بيته فنه يدخل ويخرج ولا يدخل من باب بيته ولا يخرج منه ويتخذ سله يصعد فيه وينحدر - وان كان من أهل الوبر دخل من خلف البيت الا أن يكون من الخمس فدخل رسول الله وهو محرم من باب بنى بنياناً واتبعه رجل من أهل الاسلام يقال له قطبة بن عامر أحد بنى سلمة ولم يكن من الخمس فدخل

(١) ضفته أضيفه نزلت عليه ضيفاً (٢) سلاء السمن طبخه وعلاجه

معه فأذكر ذلك عليه وقال اجتنبني فانك محرم وقد دخلت من الباب فقال
 يارسول الله وأنت محرم فقال له انى أحس فقال الرجل ان كنت أحسباني
 أحسبى رضيت بهديك وسنتك ودينك فنزل وليس البر بأن تأتوا البيوت من
 ظهورها الآية)

فأنت ترى ان بين عبارتهما اختلافا ظاهرا فقد ذهب ابن العربى الى ان
 الخمس لا يدخلون البيوت ولا يخرجون منها من أبوابها وناقضه التبريزى فأجازه
 للحمس كما اختلفا فى سبب نزول الآية فجعل التبريزى النبى منكرا على الرجل
 متابعتة فى دخول البيت من بابه لانه أحس والرجل ليس بأحس وجعله ابن
 العربى آمرا له بأن يتابعه فى الدخول . وبالرجوع لتفسير ابن جرير الطبرى ترى
 الروايات مختلفة هذا الخلاف أيضا . ونحن اذا رجعنا رواية ابن العربى بأن
 قرىشا أولى بتحريم دخول البيوت من أبوابها لانهم اخترعوا الخمس فى
 الدين وهو التشدد وفى هذا من التشدد مافيه وجدنا رواية التبريزى يرجعها
 أن قرىشا كانت ترى نفسها معروزة الجانب عند الله لا يحول بينها وبين الرحمات
 التى تنزل من السماء سقوف ولا غيره حتى سموا أنفسهم آل الله ولا كذلك غيرهم
 ويناسب هذا انها لا تحرم كغيرها دخول البيوت من أبوابها فى حج ولا عمرة
 لمكانها من الله ويعززه رواية الزهرى ان ناسا من الانصار اذا أهلوا بالعمرة
 لم يحل بينهم وبين السماء شىء ينخرجون من ذاك فلا يدخل أحدهم من باب
 الحجرة من أجل سقف الباب أن يحول بينه وبين السماء وكانت الخمس لا يبالون
 ذلك . وحسبنا فى الكلام على أديان العرب ونحلهم ان هذا مذهب قوم من
 العرب فى حجهم وعمرتهم . وللكلام على الخمس بقية تذكر عند الكلام على
 الطواف بالبيت والوقوف بعرفة

قال الجاحظ فى الحيوان : وكانوا فى الاحرام يلبدون شعورهم - والتلبيد
 أن يأخذ شيئاً من خطمى وآس وسرو وشيئاً من صمغ فيجعلها فى أصول
 شعره وعلى رأسه كى يتلبد شعره ولا يفرق ويدخله الغبار ويختم فيقمل
 قال شاعرهم

يارب رب الراقصات عشية بالقوم بين منى وبين ثبير (١)
وحف الرواح تراقصت تمشى بهم يحملن كل ملبد مأجور (٢)
وكانوا فى الاحرام يكرهون تسريح الشعر وقتل القمل . قال عبد الله بن
العجلان النهدي

انى وما مار بالفريق وما قرقر بالجلهتين من شرب (٣)
من شعر كالليل ينبذ بالقمة ل وما مار من دم سرب (٤)
وقال أمية بن أبى الصلت
ساجى أياطلهم لم ينزعوا تفثا ولم يسلوا لهم قلا وصئبانا (٥)

التلمية - الطواف بالبيت - السعى - الوقوف بعرفة

كانوا يهللون ويلبون فى الحج وشاهد التهليل قول نذيه بن الحجاج
اننى والذى يحج له شم ط اباد وهملوا تهليلا (٦)
ومبيتا بذى المجاز ثلاثا ومتى كان حجننا تحليلا (٧)

وشاهد التلمية قول ابى المنذر « وكانت نزار تقول اذا ما أهلت لبيك اللهم
لبيك . لبيك لا ثمريك لك الا شريكا هو لك تملكه وما ملك . فيوحدونه
بالتلمية ويدخلون معه آلهتهم ويجعلون مأكلا بيده . قال تعالى (وما يؤمن

(١) الراقصات الابل تسير الخبيب و (ثبير) جبل بجوار مكة (٢) وحف
الرواح الوحف الاسراع و (الرواح) العشى أو من الزوال الى الليل اى مسرعة
ذلك الوقت (٣) مار الشعر تحرك و (الفريق) الطائفة من الناس أكثر من
الفرقة ويريد جماعة الحاج و (ماقرقر) أى وبغير هدر و (جلتهتا الوادى) جانبها
و (من شرب) أى من عطش وفعله شرب كفرح (٤) مار الدم جرى
و (سرب) جار (٥) ساجى فعله سجا سجا سجا سكن ودام و (أياطل) جمع
أياطل والاياطل الخاصرة و (التفث) فى المناسك الشعث وما كان من نحو قص
الانظار والشارب وتتف الابط وغير ذلك و (الصئبان) بيض القمل مفردة
الصؤابة كغرابة (٦) همل قال لا اله الا الله (٧) التحليل يستعمل فى كل

أكثرهم بالله الا وهم مشركون) اى ما يوحدوننى بمعرفة حقى الا جعلوا معى شريكا من خلقى . وكانت تلبيةك اذ اخرجوا حجاجا قدموا أمامهم غلامين أسودين من غلمانهم فكانا امام ركبهم . فيقولان — نحن غرابا بك (١) — فتقول بك من بعدهما

بك اليك عانيه عبادك اليمانيه

كيا نحج الثانيه

وكانت ربيعة اذا حجت فقصت المناسك ووقفت فى المواقف نقرت فى النفر الأول ولم تقم الى آخر التشريق . « وروى مسلم ان ابن عباس قال (كان المشركون يقولون لبيك لاشريك لك قال فيقول رسول الله . ويلكم قد (٢) فيقولون الا شريكا هولاك تملكه وما ملك يقولون هذا وهم يطوفون بالبيت) ولما جاء الاسلام عدل المسلمون عما يدل على الشرك الى غيره حتى هداهم الدين لما يقولون قال عمرو بن معديكرب : الحمد لله لقد رأيتنا من قريب ونحن اذا حججنا نقول :

لبيك تعظيما اليك عمرا نغدوا بها مضمرات شُرَّرا (٣)

قد تركوا الاوطان خلوا صفرا

ونحن نقول اليوم كما علمنا رسول الله صلى الله عليه وسلم لبيك اللهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك ان الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك . وكان لا يشرك فى تليته مع الله أحدا من كان على دينه السماوى وجانب الاوثان مثل زيد بن عمرو بن نفيل فلقد كان يستقبل الكعبة ويقول :

لبيك حقاً حقاً تعبدا ورقا

عدت بما عاذ به ابراهيم مستقبل القبلة وهو قائم اذ قال

شئ لم يبالغ فيه (١) أغربة العرب سودانهم (٢) قد . تكون اسما بمعنى حسب أو اسم فعل بمعنى يكفى أو كفى (٣) العمر بالفتح وبالضم وبضمين الحياة أى طول الحياة (الضمير) بالضم وبضمين الهزال و (الشذر) النظر عن يمين وشمال وشُرَّرا جمع شُرَّراء

أنفى لك اللهم عان راغم مهما نجشعى فاني جاشم (١)
 السر انفى لا الخال ليس مهجر كمن قال (٢)
 وكاوا في الجاهلية يطوفون في الحج بالبيت الحرام (٣) قال مضاض بن
 عمرو بن الحارث الجرهمي

ونحن وليما البيت من بعد نابت يطوف بذاك البيت والخير حاضر (٤)
 وجماعون نوافهم سبعا قال حسان بن سباع

ثم طمنا بالبيت سبعا وسبعا وسجدنا عند المقام سجودا
 وفي قول حسان وسجدنا عند المقام سجودا دليل على احترامهم مقام ابراهيم
 وتقديسه وقد اقسم به ابو طالب في قوله

وموطى ابراهيم بالصخر رطبة على قدميه حافيا غير ناعل
 ولم تكن عمادة الطواف بالبيت عندهم مقصورة على فريضة الحج .

وكانوا يتسجدون بالحجر الاسود وشاهده قول ابى طالب
 وبالحجر الاسود اذ يسجدونه اذا اكتنفوه بالضحى والاصائل (٥)

(١) رغم أنه ذل و (نجشعى) تكلفى على مشقة (٢) في رواية : البر أبى
 و (الخال) الخيلا والكبر و (هجر) مشى في الهجرة اى ليس من هجر
 و ذلكم كمن أثر الفائلة والموم (٣) قال صاحب كتاب حجة الله البالغة في
 سر احترام البيت « واما الكعبة فكان الناس في زمن ابراهيم عليه السلام
 نوغوا في ماء المعابد والكائنات باسم روحانية الشمس وغيرها من الكواكب
 و صار عندهم التوحيد الى انجرد غير المحسوس بدون هيكل يبنى باسمه يكون
 الخول فيه والناس به نفر بما فيه امرا محالا تدفعه عقولهم بادی الرأى
 فاسموجب أهل ذلك الزمان أن اظهر رحمة الله بهم في صورة بيت يطوفون
 به ويمربون به انى الله فدعوا الى البيت وتعظيمه ثم نشأ قرن بعد قرن على
 علم ان اعنابيه مساوق لمعظيم الله والتفريط في حقه مساوق للتفريط في حق
 الله فبعد ذلك وجب حجه وأمروا بتعظيمه (٤) كانت ولاية البيت لنا
 من بعد ابايعيل ثم سارت بعد الجرم (٥) قال السهيلي قوله بالحجر الاسود

ومن العرب من كان يطوف بالبيت عارياً حكى ابن هشام في سيرته وابن
العربي أن قريشاً لما ابتدعت رأى الحمس قالوا لا ينبغي لأهل الحل أن يأكلوا
من طعام جاءوا به معهم من الحل إلى الحرم إذا جاءوا حججاً أو عماراً ولا
يطوفوا بالبيت إذا قدموا أول طوافهم إلا في ثياب الحمس يستعبرونها منهم
للطواف بها حتى أنهم كانوا يقفون عند باب المسجد فيقولون للحمس من يعبر
معوزاً من يعبر مصوناً فإن أعاره أحس ثوبه طاف به فإن لم يجدوا طافوا
بالبيت عراة فإن أنف منهم أحد من رجل أو امرأة أن الطوف عرباناً إذا لم
يجد ثياب الحمس فطاف في ثيابه التي جاء بها من الحل القاهها إذا فرغ من طوافه
ثم لم ينتفع بها ولم يمسه هو ولا أحد غيره أبداً وكانت العرب تسمى هذه
الثياب اللقي - قال شاعرهم يذكر شيئاً تركه من ثيابه فلا يقربه وهو بحمه
كفى حزناً كرى عليها كأنها لقي بين أئدى الطائفين حريم (١)

فكان رجال الحل إذا لم يعرهم الحمس ثوباً طافوا عراة أما النساء فكانت
أحدهن تضع ثيابها كلها الأدراعاً مفرجاً ثم تطوف فالت صماعة (٢) بنت عامر
ابن صعصعة ثم من بنى سامة بن قشير وهي تطوف بالبيت كذلات
اليوم يبدو بعضه أو كله وما بدا منه فلا أحله (٣)

وروى مسلم بسنده عن هشام عن أبيه قال كانت العرب تطوف بالبيت عراة
إلا الحمس - والحمس قريش وما ولدت - كانوا يطوفون عراة إلا أن بعضهم
فيه زحاف يسمى الكف وهو حذف النون من مفاعيلين وهو بعد الواو من
الأُسود و (الاصائل) جمع أصيلة والاصل جمع اصيل والاصيلة لغة معروفة
في الاصيل وهو ما بعد صلاة العصر إلى الغروب (١) حريم أي يحرم
لا يؤخذ ولا ينتفع به (٢) ذكر محمد بن حبيب أن رسول الله خطبها فذكرت
له عنها كبرة فتركها فقليل أنها ماتت كمداً وحزناً على ذلك قال السهيلي : أن كان
صح هذا فما أخرها عن أن تكون أما للمؤمنين وزوجا لرسول رب العالمين
إلا قولها (اليوم يبدو بعضه أو كله) تكرمة من الله لنبيه وعاماً منه بغيرته
والله أغير منه (٣) رواية . وما بدا منه فما أحله

الحمس ثيابا فيعطى الرجال الرجال والنساء النساء — فانزل الله على رسوله فيما كانوا حرموا على الناس من طعامهم ولبوسهم عند البيت حين طافوا عراة وحرّموا ما جاءوا به من الحل من الطعام « يا بني آدم خذوا زينتكم عند كل مسجد وكلوا واشربوا ولا تسرفوا ان الله لا يحب المفسرين »

على أن من العرب من كان يطوف بالبيت مكشوف السوأة في غير الحج لغرض يقصده فمن ذلك ما ذكره البغدادى في خزانة الادب قال : مرض أبو جندب وهو شاعر جاهلى وكان له جار من خراة اسمه خاطم فقتله زهير اللحياني وقتلوا امرأته فلما برى أبو جندب من مرضه خرج من أهله حتى قدم مكة فاستلم الركن وكشف عن استه وطاف فعرف الناس أنه يريد شرا فقال انى امرؤ أبكى على جاريه أبكى على الكعبى والكعبيه ولو هلكت بكيا عليه كانا مكان الثوب من حقويه

فلما فرغ من طوافه وقضى من مكة حاجته خرج فى الخلعاء من بكر وخزاعه فاستجاشهم على بنى لحيان فخرجوا معه حتى صبح بهم بنى لحيان فى العرج فقتل فيهم وسي من نسائهم وذرايرهم

وقد أمسك رسول الله عن الحج حين قدم من تبوك لما ذكر مخالطة المشركين للناس فى حجهم وتلبيتهم بالشرك وطوافهم عراة بالبيت وبعث ابا بكر بسورة براءة لينبذ الى كل ذى عهد وعهده من المشركين الا بعض بنى بكر الذين كان لهم عهد الى أجل خاص ثم أردف بعلى . قال أبوهريرة فأمرنى على أن أطوف فى المنازل من منى براءة فكنت أصيح حتى صحل حلقى (١) فقليل له بم كنت تنادى فقال بأربع الا يدخل الجنة الا مؤمن والا يحج بعد هذا العام مشرك والا يطوف البيت عريان ومن كان له عهد فله أجل أربعة أشهر ثم لا عهد له — وكان المشركون اذا سمعوا النداء براءة يقولون لعلى سترن بعد الاربعة اشهر بأنه لا عهد بيننا وبين ابن عمك الا الطعن

(١) صحل صوته بح . روى أنه انما أرسل علياً بذلك لان العرب لا تعمد

برسالة الامير الا اذا كان المرسل بها من أهله

والضرب ثم ان الناس في تلك المدة رغبوا في الاسلام حتى دخلوا فيه طوعا
وكرها وحج رسول الله في العام القابل وحج المسامون وقد عاد الدين كله
لله رب العالمين

لقد علمت انقسام العرب بالنسبة للطواف في ثيابهم الى حلة وحس قال
محمد بن حبيب - وهناك نوع ثالث وهم الطلس كانوا يأتون من أقصى اليمن
طلسا من الغبار فيطوفون البيت في تلك الثياب الطلس فسموا بذلك

اما الرمل (١) في الثلاثة الاشواط الاولى من الطواف بالبيت والاضطباع (٢)
فيه فهو من سنن الاسلام وأصله ان النبي رمل وندب أصحابه اليه لظهار
الجلد للمشركين وابداء القوة لهم فانه لما قدم مكة اصطفت كفار قريش عند
دار المدوة ينظرون له ولأصحابه ويستضعفونهم ويقولون أوهنتهم حتى يثرب
فلما دخل رسول الله المسجد اضطبع بردائه ورمل . ومقتضاه عدم سنيته
بعد أن أظهر الله الاسلام لكن ثبتت سنيته بما روى عن ابن عمر أنه قال كان
رسول الله اذا طاف بالبيت الطواف الاول خب نلانا ومشى أربعاء وكذا أصحابه
رملوا من بعده وكذا المسامون الى يومنا هذا فصار الرمل سنة متواترة

وكانوا في الجاهلية يسمعون بين الصفا والمروة وشاهده قول أبي طالب
واشواط بين المروتين الى الصفا وما فيهما من صورة وتمثال (١)

وكان على الصفا اساف وعلى المروة نائلة - وهما صنان فكانوا يسمعون
بينهما ويتمسحون بهما وكان عمرو بن لحي نصب مناة بالمشلل مما يلي قديدا
(١) الرمل الهرولة في السير (٢) والاضطباع ان يدخل الرداء من تحت
ابطه الأيمن ويرد طرفه على يساره ويسدى منكبه الايمن ويغطي الايسر
سمى اضطباعا لما فيه من ابداء الضميين وهما العضدان

(١) ثنى المروة وهي واحدة جريا على مذهب العرب كقول الفرزدق
عشية سال المربدان كلاهما - وانما شو مربد البصرة وقولهم نسألني برامتين
سلجما والعرب يشيرون بالثنوية الى جانبي المكان المنى أو الى أعلاه وأسفله
فيجمعونها اثنين على هذا المفزى و(تمثال) جمع تمثال وأصله تمثيل فحذف الياء

وكانت الارد والانصار وغسان تهل لها بالحج وكان من أهل لمناة لا يحل
له ان يطوف بين الصفا والمروة فمما جاء الاسلام كره المسلمون الطواف بينهما
لما كان من فعل الجاهلية فانزل الله تعالى (ان الصفا والمروة من شعائر الله) .
وروى مسلم بسنده عن عروة بن الزبير قال قلت لعائشة زوج النبي ما أرى
على أحد لم يطوف بين الصفا والمروة شيئاً وما أبالي الا أطوف بينهما .
قالت بئس ما قلت يا ابن أختي طاف رسول الله صلى الله عليه وسلم وطاف
المسلمون فكانت سنة وانما كان من أهل لمناة الطاغية التي بالمشلل لا يطوفون
بين الصفا والمروة فلما كان الاسلام سألنا النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك
فأنزل الله عز وجل ان الصفا والمروة من شعائر الله فمن حج البيت او اعتمر
فلا جناح عليه ان يطوف بهما « ولو كان كما تقول لكانت فلا جناح عليه
الآ يطوف بهما . قال الزهري : فذكرت ذلك لابن بكر بن عبد الرحمن بن
الحارث بن هشام فاعجبه ذلك وقال ان هذا العلم

ويظهر ان مرتبة اساف ونائلة في الالهية عندهم دون مرتبة مناة فلذلك لم
يجزوا لمن أهل لمناة ان يسعى بينهما ويتمسح باساف ونائلة المنصوبين عليهما
وكانوا يقفون في الجاهلية بعرفة في الحج قال العدوي

واقسم بالبيت الذي حجت له قریش وموقف ذی الحجيج الال (١)
وقول المابغة الديباني

حلفت فلم أترك لنفسك ربيعة وهل يأمن ذو أمة وهو طائع (٢)
بمصطحبات من لصف وثبرة يزرن الا لا سيرهن التدافع (٣)
وقال أبو طالب

(١) الال كسحاب وكتاب جبل عن يمين الامام بعرفة سمى بذلك لان
الحجيج اذا رأوه ألوا في السير أي اجتهدوا ليدركوا الموقف (٢) الريبة الشك
و (ذو أمة) بالضم والكسر ذو دين واستقامة (٣) لصف وثبرة موضعان
اقسم بالابل التي تمتطيها الحجاج الى مكة تعظيما لها و (سيرهن التدافع) اي
من الاعياء يعني يتحاملن تحاملا من الجهد والتعب

وبالمشعر الأقصى اذا عمدوا له الال الى مفضى الشراج الفوايل (١)
وكان وقوفهم يوم ناسع الحجة

وكانت قريش ومن تبع دينها حين ابتدعت رأى المحس تقف بالمشعر الحرام وهو جبل بالمزدلفة يقال له قزح (٢) ولا تجاوز المزدلفة الى عرفة كسائر الناس فقد قالت قريش نحن ولالة البيت وسكان الحرم فلا يحل لنا تعظيم شىء من الحل كتعظيم الحرم لئلا نستخف العرب بحرمننا وتركوا لذلك الوقوف بعرفة والافاضة منها لان عرفة من الحل وهم يعرفون انها من المشاعر والحج ودين ابراهيم ويرون لسائر العرب الوقوف بها والافاضة منها فاما حج النبي عليه السلام حجة الاسلام ظنت قريش انه سيقف بالمشعر الحرام كعادتهم ولا يتجاوزه فتجاوزه الى عرفات

وأزل الله في ابطال ما أحدث المحس من ترك الوقوف بعرفة «ثم أفيضوا من حيث أفاض الناس» (٣)

ولقد طهر الله نبيه في الجاهلية من صنع المحس ووفقه لدين ابراهيم . روى مسلم في صحيحه عن جابر بن مطعم قال أضللت بعيرا الى فذهبت أطالبه يوم عرفة فرأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واقفا مع الناس بعرفة (٤) فقلت والله ان هذا لمن المحس فما شأنه هاهنا . وكانت قريش بعد من المحس وكانوا يدفعون من عرفات قبل الغروب . قال صاحب كتاب حجة الله البالغة . (ولما كان ذلك قدراً غير ظاهر ولا يتعين ومثل هذا الاجتماع لا بدله

(١) المشعر الأقصى عرفة والال جبل بعرفة فهو بدل بعض من كل (الشراج) جمع شرج وهو مسيل الماء (مفضى الشراج) تجمعها و (القوايل) المتقابلة كناية عن اجتماع الناس في مكان واحد وهو عرفة (٢) فيل أن المشعر الحرام كل مزدلفة (٣) الخطاب في أفيضوا القريش ومن دان دينهم والمراد بالناس من عداهم من سائر العرب أمرهم ان يفيضوا من عرفات وهو يقتضى تكليفهم بالوقوف عليه ليكن الافاضة منه (٤) روى الترمذى أن حجات النبي اثنتان بمكة قبل الاسلام والثالثة بالمدينة وهى حجة الوداع

من نعين وجب أن يعين بالغروب) وكان الذي يلى الاجازة للناس بالحج من عرفة الغوث بن مر بن أد بن طابخة بن الياس بن مضر وولده من بعده ويقال له ولولده صوفة (١) وكانت ولايته من قبل ملوك كندة كما نقله بعضهم . وذهب ابن هشام الى انه انا ولى ذلك لان أمه وكانت امرأة من جرهم كانت لا تلد فنذرت لله ان هى ولدت رجلا أن تصدق به على الكعبة ليكون عبداً لها يخدمها ويقوم عليها فولدت الغوث فكان يقوم على الكعبة فى الدهر الاول مع اخواله من جرهم فولى الاجازة للناس من عرفة لمكانه الذى كان به من الكعبة وولده من بعده حتى انقرضوا . فالمر بن أد يذكر ولده الغوث ووفاء نذر أمه

انى جعلت رب من بنيه ربيطة بمكة العلية (٢)

فباركن لى بها اليه واجعله لى من صالح البرية

وكان الغوث بن مر فيما زعموا اذا دفع بالباس قال

لاهم انى تابع تباعه ان كان اثم فعلى قضاءه

قال السهيلي « وانما خص قضاءه بهذا لان منهم محلين يستحلون الاشهر الحرم كما كانت ختم وطىء تفعل . وكذلك كانت النساء تقول اذا حرمت صفرا أو غيره من الاشهر بدلا من الشهر الحرام يقول قائلهم قد حرمت

(١) قال أبو عبيدة : وصوفة وصوفان يقال لكل من ولى من البيت شيئا من غير أهله أو قام بشئ من خدمة البيت أو بشئ من أمر المناسك يقال لهم صوفة وصوفان . قال أبو عبيدة لانه بمنزلة الصوف فيهم القصير والطويل والاسود والاحمر ليسوا من قبيلة واحدة وقال ابن الكلبي . انما سمي الغوث ابن مر صوفة لانه كان لا يعيش لأمه ولد فنذرت لئن عاش لتعلقن برأسه صوفة ولتجمعانه ربيطا للكعبة ففعلت فقبل له صوفة ولولده وهو الربيط . وقيل ان أم الغوث لما ولدت وكانت نذرت ان ولدت غلاما لتعبدنه للكعبة ربيطته عند البيت فأصابه الحر ففرت به وقد سقط وذوى واسترخى فقالت ما صار ابى الا صوفة فسمى صوفة

عليكم الدماء الا دماء المحلين » فلما انقرض بنو الغوث عن آخرهم ورثهم من بعدهم بنو سعد بن زيد مائة بن تميم . وكانت الاجازة في آل صفوان ابن جناب بن شجنة بن عطار بن عوف بن كعب بن سعد بن زيد مناة ابن تميم قال ابن اسحاق وكان صفوان هو الذى يحير للناس بالحج من عرفة ثم بنوه من بعده حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام كرب بن صفوان وقال أوس بن تميم بن مغراء السعدى

لا يبرح الناس ما حجبوا معرفهم (١) حتى يقال أجزوا آل صفوانا
مجد بناء لنا قدماً أوائلنا وأورثوه طوال الدهر اخرانا
وكانت الاجازة من منى لصوفة أيضا كما سذكركه

(النزول بمزدلفة ومنى وبقية أعمال الحج)

كانوا اذا دفعوا من عرفة في الحج باتوا ليلة مزدلفة قال أبو طالب

وليلة جمع والمنازل من منى وهل فوقها من حرمة ومنازل (٢)

والمبيت بمزدلفة سنة قديمة في العرب وكانوا في الجاهلية يوقدون ناراً على قزح وهو جبل بمزدلفة ليراه من دفع من عرفة وأول من أوقدها كما قال السيوطى وغيره قصي بن كلاب ولا تزال توقد الى الآن وكانت الافاصه من المزدلفة في عدوان لا يدفع الحاج منها حتى يحيرهم رجل من عدوان بن عمرو ابن قيس بن عيلان بن مضر بن نزار وفي أجازتهم يقول ذو الاسبغ العدوانى ومنهم من يحيز الناس بالسنة والقرض

روى أن هذه الاجازة كانت لخزاعة فغلبتها عدوان عليها ولم نزل فيهم يتوارنونها حتى كان آخرهم الذى قام عليه الاسلام أبو سيارة عميلة بن الاعزل (٣)

(١) المعروف الموقف بعرفات وفي رواية : ولا يرمون في التعريف موفهم

(٢) جمع بفتح الجيم وسكون الميم وعين مهملة هي المزدلفة سمي بذلك من التزلف والازدلاف لان الحجاج اذا أفاضوا من عرفات ازدلفوا اليها أى تقربوا قال النووى . سميت بجمع للجمع بين المغرب والعشاء ومقتضاه أن هاتين الصلاتين كاننا في الجاهلية (٣) كذا قال ابن اسحاق وقال الخطابى اسمه

أحد بنى وايش بن زيد بن عدوان . وكان يدفع بالناس على حمار له اسود أجاز الناس عليه اربعين سنة حتى ضرب المثل به فقيل (أصبح من غير أبي سيارة) وقيل كانت له أتان سوداء عوراء خطامها ليف دفع عليها أربعين سنة وفيه يقول شاعر من العرب

نحن دفعنا عن أبي سيارة (١) وعن مواليه بنى فزاره (٢)
حتى أجاز سالما حماره مستقبل القبلة يدعو جاره (٣)
وكانت اجازته أن يتقدمهم على حماره ثم يخطبهم فيقول
لا هم انى تابع تباعه ان كان اثم فعلى قضاءه (٤)
لاهم مالى فى الحمار الاسود أصبحت بين العالمين أحسد
هلا يكاد ذو البعير الجلعد فق أباً سيارة المحسد (٥)
من شر كل حاسد اذا حسد ومن أذاة النافثات فى العقد (٦)

اللهم حبب بين نساءنا - وعاد بين رعائنا واحمل المال فى سمحائنا أو فوا
بعهدكم واكرموا جاركم واقروا ضيفكم ثم يقول

أشرق ثبير كما نغير - ثم ينفر ويتبعه الناس . حكى ذلك الميدانى فى
مجمع الامثال والاصبهانى عن أبى عمرو الشيبانى والكلبى وقد جمعنا بين أقوالهم
وكانوا فى الجاهلية لا ينفرون من مزدلفة الا والشمس على رؤوس الجبال
ولذلك قال مجيزهم أشرق ثبير كما نغير . وثبير جبل عال بجوار مكة اطلع عليه
الشمس قبل كل موضع أى ادخل يائبير فى الشروق كما نسرع للنجو لم يقرهم
الاسلام على ذلك فى صحيح البخارى عن عمر انه صلى بجمع الصبح ثم
وقف فقال ان المشركين كانوا لا يفيضون حتى تطلع الشمس وينفولون أشرق

العاصى واسم الاعزل خالد ذكره الاصبهانى (١) رواه : خلوا السبيل
عن أبى سيارة (٢) يعنى بمواليه بنى عمه لانه من عدوان وعدوان وفزاره
من قيس عيلان (٣) أى يدعو الله عز وجل يقال اللهم كن لنا جاراً مما نخافه
أى مجيراً (٤) لان من قضاة محلين (٥) الكيد المكروه و (الجلعد)
الصلب الشديد و (فق) من الوقاية وهى الصون (٦) الأذاة المكروه

ئبير وان النبي صلى الله عليه وسلم خالفهم ثم أفاض قبل أن تطلع الشمس
 فاذا أفاضوا من مزدلفة نزلوا منى وفيها كانوا يرمون الجمار وينحرون ويحلقون
 فقد كانوا اذا حجوا ساقوا الهدى فان كان من الابل فلدوها للنعال وألبسوها
 الجلال وأشعروها لتعرف (١) فلا يتعرض لها أحد الا المحلين من طيى وخثعم
 قال عارق الطائي وهو جاهلي يخاطب الملك عمرو بن هند

حلفت بهدى مشعر بكراته يخب بصحراء الغبيط درادقة (٢)
 لئن لم تغير بعض ما قد صنعتم لا تتحين العظم ذوانا عارقه (٣)
 يقول حلفت أيها الملك بقرايين الحرم وقد أعامت بكراتها بعلامة الاهداء
 يسرع بصحراء ذلك الموضع صغارها لئن لم تتدارك ما فاتنا من عدلك لا ميلن
 على كسر العظم الذي أخذت ما عليه من اللحم . والمعنى أ كسر عظمكم
 ان لم ترجعوا عن ذلك الظلم — وأول من أهدى البدن الى البيت على ما ذكره
 السيوطي الياس بن مضر

وينحرون هديهم بنى فال شاس بن عبدة أخو عاتمة النحل
 حلفت بما ضم الحجاج الى منى وما تح من نحر الهدى المقلد (٤)
 وقدم الشنفرى منى وبها حرام بن جابر فقييل لاشنفرى هذا قاتل أبيك
 (١) التقليد أن تقلد في عنقها قطعة جلد أو نعل بالية و (الجلال) جمع
 جل بالضم وبالفتح هو ما تلبسه الدابة لنصان به و (الاشعار) أن يلعن السنام
 فيسيل الدم عليه ليستدل بذلك على كونه هديا (٢) الهدى ما يهدى الى الحرم
 من النعم و (مشعر) اسم مفعول من الاشعار وتقدم تفسيره و (بكراته)
 جمع بكرة وهى الشابة من الابل و (يخب) من الخبب وهو خطو فسيح . والباء
 من بصحراء بمعنى فى و (الغبيط) اسم موضع و (الدرادق) جمع دردق كجعفر
 وهى صغار الابل والضمير فى بكراته ودرادقه لاهدى (٣) وانتحين من الانتحاء
 للشيء وهو التعرض له و (ذو) صفة للعظم و (عارقه) اسم فاعل من عرقت العظم
 أكلت ما عليه من اللحم (٤) الحج سيلان الدم و (الهدى) كغنى ما أهدى
 الى مكة

فشد عليه وقتله ثم نسب إلى الناس على رجله وقال
 قتلت حراماً مهدياً بملبد بطن أمني وسط الحجيح المصوت
 وقال أبو قيس بن الاسلم من قصيده يأمر فيها قريشاً بالكف عن رسول
 الله ويذكر فضلهم وأحلامهم
 يرى طالب الحاجات عند بيوتكم عسائب هلكى تهتدى بمصائب
 لقد علم الأقوام أن سراتكم على كل حال خير أهل الجباب
 قال البرقي الجباب هي حفر بمنى يجمع فيها دم البدن والهدايا والعرب
 تتفخر بها وتعظمها

وكانوا يسوقون الهدى في العمرة أيضاً وشاهده ما روى أن النبي صلى
 الله عليه وسلم أحرم عام ست من الهجرة بالعمرة هو وأصحابه وساق معه
 الهدى سبعين بدنة وقد جلاها وأشعرها وأشعر المسلمون بدتهم وقلدوها وليس
 معهم إلا السيوف في القرب سمعت قريش بخروجهم فاستنفروا من أطاعهم
 وغاهدوا الله ألا يدخلوا عليهم مكة عنوة أبداً ونزل رسول الله بالحديبية
 وهي على تسعة أميال من مكة فأرسلت إليه قريش رسالات طاب منه الانصراف
 عن مكة عامه فمن بمنوا لذلك الحليس بن علقمة وكان بتأله - والمتأله المعظم
 لأمر الله كالخج والعمرة ونحو ذلك مما بقي عندهم من دين إبراهيم عليه السلام
 فاما رآه رسول الله قال لا صحابه هذا من قوم يتألهون فابعثوا الهدى في
 وجهه فاما رأى الهدى يسيل عامه من عرض الوادي بقلائده قد أكل أو باره
 من طول الحبس عن محله قال سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت
 ورجع إلى قريش ولم يأت رسول الله أعظاماً لما رأى وصاح قائلاً هلكت قريش
 ورب الكعبة أن القوم انما أتوا عماراً وقال لا صحابه رأيت البدن قلدت وأشعرت
 فما أرى أن يصدوا عن البيت فقول الحليس هذا يدل على أنهم كانوا يسوقون
 الهدى في العمرة أيضاً وكانوا يخلقون رؤوسهم بمنى قال الشاعر

فان تمنعوا منا السلاح فعندنا سلاح لنا لا يشتري بالدرهم

جنادل أملاء الا كف كأنها رهوس رجال حلفت بالمواسم (١)
وقال زهير بن أبى سلمى

فأقسمت جهداً بالمنازل من منى وما سحقت فيه المقادم والقمل (٢)
لأرتحلن بالفجر ثم لأدأبن الى الليل الا أن يعرجنى طمل (٣)
وذكر صاحب تاج العروس فى مادة (قرر) ان ابن السكبي قال عبرت
هوازن وبنو أسد بأكل القررة . وذلك أن أهل اليمن كانوا اذا حلقوا رهوسهم
بمنى وضع كل رجل على رأسه قبضة دقيق فاذا حلقوا رهوسهم سقط الشعر
مع ذلك الدقيق ويجعلون ذلك الدقيق صدقة فكان أناس من أسد وقيس
يأخذون ذلك الشعر بدقيقه فيرمون الشعر وينفعون بالدقيق قال الشاعر
ألم تر جبرماً أجدت وأبوكم مع الشعر فى قص الملبد شارع
اذا قررة جاءت يقول أصب بها سوى القمل انى من هوازن ضارع
ولم تكن العرب قاطبة تحلق رهوسها فى منى وشاهده قول ابى المنذر
« ان الأوس والخزرج ومن يأخذ بأخذهم من عرب أهل يثرب وغيرها
كانوا يحجون فيقفون مع الناس المواقف كلها ولا يحلقون رهوسهم فاذا نفرأ
أتوا مائة فحلقوا رهوسهم عنده وأقاموا عنده لا يرون لحجهم تماماً الا بذلك .
فلا عظام الأوس والخزرج يقول عبد العزى بن وداعة المزنى أو غيره . من العرب
انى حلفت يمين صدق برة بمناة عند محل آل الخزرج
وكانت العرب جميعاً فى الجاهلية يسمون الأوس والخزرج جميعاً الخزرج
فلذلك يقول عند محل آل الخزرج »
وكانوا يرمون الجمار قال ابو طالب

(١) موسم الحج بمجموعة (١) والمنازل من منى حيث ينزل الناس منها
و (سحقت) حلفت . يقال سحقت رأسه وسبته وحلطه حلطه ويرى سحقت
بالفاء ومعناه حلفت و (المقادم) جمع مقدم الرأس . وأراد بالقمل الشعر أى
وشعر القمل كقوله تعالى واسأل القرية (٢) لا دأبن من الدؤوب فى السير وقوله
(الا أن يعرجنى طمل) أراد الا أن تلقى ناقتي ولدها فتجسبنى وأقيم عليها .

وبالجمرة الكبرى اذا صعدوا لها يؤمون قذفا رأسها بالجنادل
وقال الهذلي

لأدركهم شعث النواصي كأئهم سوابق حجاج توافي الجمرا (١)
قال ابن اسحاق « كانت صوفة هم بنو الغوث بن مر بن أد بن طابخة
تدفع بالباس من عرفة وتجز بهم اذا نفروا من منى فاذا كان يوم النفر أتوا لرمي
الجمار ورجل من صوفة يرمى للناس لا يرمون حتى يرمى فكان ذوو الحاجات
المتعجلون يأتونه فيقولون له قم فارم حتى نرمى معك فيقول لا والله حتى تميل
الشمس فيظل ذوو الحاجات الذين يحبون التعجل يرمونه بالحجارة ويستعجلونه
بذلك ويقولون له ويلك قم فارم فيأبى عليهم حتى اذا مالت الشمس قام فرمى
ورمى الناس معه فاذا فرغوا من رمي الجمار وأرادوا النفر من منى أخذت صوفة
بجانبى العقبة خبسوا الناس وقالوا أجزى صوفة . فلم يجز أحد من الناس حتى
يمروا فاذا نفرت صوفة ومضت خلى سبيل الناس فانطلقوا بعدهم فكانوا كذلك
حتى انقضوا فورشهم في ذلك آل صفوان بن جباب بن شجنة « وقد أقر قصي
ابن كلاب لما علب على أمر مكة آل صفوان وعدوان والنساء على ما كانوا عليه
لانه كان يراه ديناً . فما زالوا كذلك حتى جاء الاسلام . وروى مجاهد أنهم كانوا
اذا قضوا مناسكهم وقفوا عند الجمرة وذكروا آباءهم في الجاهلية وفعال آباءهم
فيقول الرجل منهم كان أبى يطعم الطعام ويحمل الحمالات والديات ليس لهم
ذكر غير فعال آباءهم فنهى الله عن ذلك في قوله « فاذا قضيت مناسككم
فاذكروا الله كذا ذكركم آباءكم أو أشد ذكراً »

ثم يختمون أعمال الحج بالطواف بالبيت فاذا فعلوا ذلك حل لهم كل ما كان
محرمًا في الحج ومنهم من كان لا يتحلل بذلك . روى ابن العربي أن قريشاً
وبنى كنانة وخزاعة وجميع مضر كانوا يعظمون العزى فاذا فرغوا من حجهم
وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها
ويمكفون عندها يوماً وقال أيضاً ان الازد وغسان كانوا اذا طافوا بالبيت

(١) الجمر مشدد الميم حيث يقع حصى الجمار

وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يحلوا الا عند مناة التى على ساحل البحر
مما يبلى قديد وكانوا يعظمونها ويحجونها وكانوا يهلون لها ومن أهل لها لم يطف
بين الصفا والمروة لمكان الصنمين اللذين عليهما

ولنتمم الكلام على التلبية فى الحج قبل الانتقال منه فنقول قال أبو العلاء
المعري فى رسالة الغفران ان تلبيات العرب منها مسجوع كقولهم لبيك ربنا
لبيك . والخير كله بيدك . ومنها موزون من منهوك الرجز كقولهم

لبيك ان الحمد لك والملك لا شريك لك

الا شريك هو لك تملكه وما ملك

أخو بنات بفدك (١)

فتلك من تلبيات الجاهلية وفدك يومئذ فيها اصنام وكقولهم

لبيك يا معطى الأمر (٢) لبيك عن بنى النمر

جئناك فى العام الزمر (٣) نأمل غيثا ينهمر

يطرق بالسيل الجمر (٣)

ومنها من منهوك المنسرح كقولهم

لبيك رب همدان من شاحط ومن دان

جئناك نبغى الاحسان بكل حرف مذعان (٤)

نطوى اليك الغيطان نأمل فضل الغفران

وكقولهم

لبيك عن بجيلة الفخمة الرجيلة (٥)

ولعمت القبيلة جاءك بالوسيلة

نؤمل الفضيلة

(١) كانوا يقولون ان الاصنام بنات الله و (فدك) قرية بخيبر (٢) الامر

ككثف المبارك (٣) الرمر ككتف القليل الشعر والصوف (٤) الجمر ما وارك من

شجر وغيره (٤) الحرف الماقة الضامرة أو المهزولة أو العظيمة و (ناقة مذعان)

منقادة سلسلة الرأس (٥) رجل راجل ورجيل مشاء وكامير الرجل الصلب

وروا في تلبية بكر بن وائل

لبيك حقا حقا تعبداً ورقا
جئناك للنصاحه لم نأت للرفاحة (١)

وروا في تلبية تميم

لبيك لولا ان بكرا دونكا يشكرك الناس ويكفرونكا
ما زال منا عئج يا تونكا (٢)

وروا في تلبية همدان

لبيك من كل قبيل لبوك (٣) همدان أبناء الملوك تدعوك
قد تركوا أصنامهم واتابوك فاسمع دعاء في جميع الاملوك (٤)
ومن التلبية قولهم

لبيك عن سعد وعن بنيها وعن نساء خلفها تعنيها
سارت الى الرحمة تجتنيها
(العمرة)

العمرة من شريعة ابراهيم عليه السلام . وكانت العرب في الجاهلية تعتمر وتحرم للعمرة وشاهده قول رجل من زبيد في الجاهلية منعه العاص بن وائل ثمن بضاعة اشتراها منه وكان ذلك سببا لحلف الفضول

يا آل فهر لمظلوم بضاعته ببطن مكة نائي الدار والنفر
ومحرم أشعث لم يقض عمرته يا للرجال وبين الحجر والحجر
أقائم من بنى سهم بدمتهم أم ذاهب في ضلال مال معتمر

وغالب اعتناهم في شهر رجب كما شرع حينئذ في دين ابراهيم ولذلك جعل الله رجبا شهرا حراما ليتمكن مريد العمرة من السفر الى مكة وقضاء عمرته والعود الى بلده آمنا على نفسه وماله وأهله . وعندهم أن العمرة في أشهر الحج من أعظم الذنوب وأبطل الشارع ذلك . روى ابن عباس قال كانوا يرون أن العمرة في أشهر

(١) الرفاحة الكسب والتجارة (٢) العئج الجماعة من الناس (٣) لبوك

أي لزموا أمرك (٤) الملك صاحب الملك جمعه ملوك وأملاك وملكاء وملاك
وملك كركم و(الاملوك) بالضم اسم للجمع

الحج من أجزء الفجور فى الارض وكالوا يسمون المحرم صفرا (١) ويقولون
 اذا برأ الدبر (٢) وعفا الأثر (٣) وانسلخ صفر (٤) حلت العمرة لمن اعتمر .
 قدم النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه صبيحة رابعة (٥) مهلين بالحج فأمرهم
 أن يجعلوها عمرة (٦) فتعاضم ذلك عندهم فقالوا يارسول الله أى الحل قال :
 الحل كله (٧) . ومن أعمال العمرة الطواف بالبيت وشاهده ماروى أن عميا
 (رجل من عدوان وقيل من اباد وكان فقيه العرب فى الجاهلية ويفنى فى الحج)
 أقبل معتمرا ومعه ركب فزلوا بعض المنازل فى يوم شديد الحر وكان على
 مرحلتين من مكة فقال عمى لقومه وهم فى نحر الظهيرة من أتى مكة غدا فى مثل
 هذا الوقت كان له أجر عمرتين فصكوا الابل صكة شديدة حتى وافوا البيت
 من الغد فى ذلك الوقت . فقال فى ذلك كرب بن جبيلة العدوانى

وصك بها نحر الظهيرة صكة عمى ولا يبغين الا ظلالها (٨)

وجئن على ذات الصفاح كأنها نعام تبغى بالشطى رئالها (٩)

فطوفن بالبيت الحرام وقضيت مناسكها ولم تحل عقالها

وقد قدمنا فى الحج أنهم كانوا يسوقون الهدى فى العمرة أيضا

قال ابن الاثير فى الكامل . وكان من عادة الاوس اذا أراد أحدكم

(١) هو النسئ وتقدم (٢) برأ نقه و(الدبر) الجرح الذى يكون فى

ظهر الابل من اصطكاك الاقتاب والحمل عليه ومشقة السفر وكان يبرأ بعد

انصرافهم من الحج (٣) (عفا الأثر) أى درس واحمى أثر الابل وغيرها فى

سيرها لطول مرور الايام وقال الخطابى المراد أثر الدبر (٤) صفر هو المحرم

فى نفس الامر وقد سموه صفرا (٥) رابعة أى من ذى الحجة (٦) أمرهم أن

يجعلوا الحجة عمرة وذلك خصوصية لهم ليذهب من قلوبهم أمر الجاهلية من

تحريم العمرة فى أشهر الحج . (٧) سألوأ أهو الحل العام لكل ما حرم بالاحرام

حتى قربان النساء فأجابهم النبي بأنه الحل العام لكل ما حرم به (٨) عمى تصغير

أعمى على الترخيم وسميت الظهيرة صكة عمى به و (نحر الظهيرة أولها)

(٩) الرئال جمع الرأل وهو ولد النعام

العمرة أو الحج لم يعرض اليه خصمه ويعلق المعتمر على بيته كرايف (١) النخل
الطهارة - الصلاة - الزكاة - الصوم - الاعتكاف

كانوا ينظرون من الحدث الاصغر والاكبر في الجاهلية ويصلون ويزكون
ويصومون ويعتكفون . أما الطهارة بالوضوء لديهم فشاهدها قول صاحب
كتاب حجة الله البالغة (ان هذا الوضوء كان يفعله المجوس واليهود وغيرهم .
وكانت يفعله حكماء العرب) وأما الطهارة بالغسل فشاهدها ما ذكره الزجاجي
في أماليه قال (وكان الحنيف في الجاهلية من كان يحج البيت ويغتسل من
الجمابة ؛ بعسل مواته ويختتن فاجاب الاسلام صار الحنيف المسلم) وموجب
العسل عندهم الجمابة والحليض وكانا مسلمين فيهم قبل الاسلام والدليل على
الاغسال عند انقطاع الحيض ماروى أن عمرة بنت سبيع كانت مع زوجها
في سمر وكان حائضا فطهرت ومعهما ماء قليل فاغتسلت فلم يكف لغسلها
وأفند الماء فبقيا عطشانين فقال لها زوجها كلمته التي جرت مثلا . وفيها
قال الفرردق

وكنت كدات الحيص لم تبق ماءها ولا هي من ماء العذابة طاهر (٢)
وقال المخبل

ان فشيراً من لقاح بن حازم كغسله حيزاً وليست بطاهر
والغسل والوضوء فيهم من آثار الاديان السماوية التي أقرها الاسلام . ولقد
تابعنا صاحب كتاب حجة الله البالغة في القول بموجب الوضوء عندهم وكلام
السبيلي يقتضى خلافه فانه كتب على قول ابن هشام في غزوة السويق ان
أبا سفيان لما رجع من مكة ورجع فل قريش من بدر نذر ألا يس رأسه ماء
من جمابة حتى يغزو محمداً ماله (في هذا الحديث أن الغسل من الجمابة كان
معمولاً به في الجاهلية بقية من دين ابراهيم واسماعيل كما بقي فيهم الحج والنكاح
ولذلك سموها جمابة وقالوا رجل جنب وقوم جنب لمجانبتهم في تلك الحال

(١) الكرايف جمع كرناف بضم الكاف وكسرهما وهي أصول السعف
الغلاط المراض تبقى في الجذع بعد قطع السعف (٢) العذابة الرحم

البيت الحرام ومواضع قربانهم ولذلك عرف معنى هذه الكلمة في القرآن أعنى قوله « وان كنتم جنبا فاطهروا » فكان الحدث الاكبر معروفا بهذا الاسم فلم يحتاجوا الى تفسيره — وأما الحدث الاصغر وهو الموحب للوضوء فلم يكن معروفا قبل الاسلام فلذلك لم يقل فيه وان كنتم محدثين فتوضؤوا كما قال « وان كنتم جنبا فاطهروا » بل قال « فاغسلوا وجوهكم وأيديكم الى المرافق » الآية فبين الوضوء وأعضائه وكيفيته والسبب الموحب له كالقيام من النوم والمجئ من الغائط وملامسة النساء ولم يحتج في أمر الجنابة الى بيان أكثر من وجوب الطهارة منها للصلاة .

وأما الصلاة عندهم فشاهدنا قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « وكانت فيهم الصلاة وكان أبوذر رضى الله عنه يصلى قبل أن يقدم على النبي صلى الله عليه وسلم بثلاث سنين وكان قيس بن ساعدة الأيادي يصلى . والمحفوظ من الصلاة في أمم اليهود والنجوس وبقية العرب أفعال تعظيمية لاسيما السجود وأقوال من الذكر . وكانوا تركوا الصلاة والذكر وأعربوا عنهما فبعث النبي عليه السلام وهذا حالهم » وروى مسلم في صحيحه سنده عن عبد الله بن الصامت قال : قال أبوذر يا ابن أخي صليت سدين قبل بعث النبي صلى الله عليه وسلم قال . قلت . فأين كنت توجه . قال حيث وجهى الله وكان منهم من يستقبل الكعبة في صلاته كشرع ابراهيم واسماعيل حكى عامر بن ربيعة انه لقي زيد بن عمرو بن نفيل وهو خارج من مكة بربد حرا فقال يا عامر انى قد فارقت قومي وأتبعته ملة ابراهيم وما كان يعبد اسماعيل من بعده . كان يصلى الى هذه البنية وروى الاصبهاني في الاغانى أن زيد ابن عمرو بن نفيل كان يستقبل الكعبة في صلاته ويقول يا مولاي :

ليبك حقا حقا تعبدا ورقا

البر أرجو لا الخال وهل مهجر كمن قال

عذت بما عاذ به ابراهيم مستقبل الكعبة وهو قائم

يقول أننى لك عان راغم مهما تجشمتنى فانى جاشم

ثم يسجد — وحكوا في سر مشروعية استقبال الكعبة في الصلاة أن الكعبة من شعائر الله عند العرب أذعن لها أقاصيهم وأدانيهم وجرت السنة عندهم باستقبالها فلم يكن هناك معنى للعدول عنها

وأما الزكاة عندهم فشاهدتها قول صاحب كتاب حجة الله البالغة « ان العرب في الجاهلية كانت فيهم الزكاة . وكان المعمول عندهم منها قرى الضيف وابن السبيل وحمل الكل (١) والصدقة على المساكين وصلة الارحام والاعانة في نوائب الحق (٢) وكانوا يمدحون بها ويعرفون انها كمال الانسان وسعاده . قالت خديجة لرسول الله حين بدى بالوحى . فوالله لا يخزيك الله أبدا انك لتصل الرحم وتقرى الضيف وتحمل الكل وتعين على نوائب الحق . وان سبيعة ابن ربيع المشهور بابن الدغنة (والدغنة أمه) قال مثل ذلك لأبي بكر » هذا ولا شك ان هذه الشائيل العربية فيهم من آثار الاديان السماوية فان قول خديجة لا يخزيك الله أى لفعلك ما أمر به وفي رواية ليس للشيطان عليك سبيل أى لأن أعمالك من الاعمال الرحمانية التي وردت بها الشرائع السماوية وحكى بعضهم أن الزكاة فيهم من شريعة ابراهيم عليه السلام

وأما صومهم في الجاهلية فكان من الفجر الى غروب الشمس وقد ذكر ذلك صاحب كتاب حجة الله البالغة . ومما كانت تصومه قريش يوم عاشوراء وشاهده مارواه مسلم في صحيحه بسنده عن عائشة رضى الله عنها قالت كانت قريش تصوم عاشوراء في الجاهلية وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه فلما هاجر الى المدينة صامه وأمر بصيامه فلما فرض شهر رمضان قال من شاء صامه ومن شاء تركه . وروى البخارى ومسلم عن ابن عباس قال قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة (٣) فوجد اليهود يصومون يوم عاشوراء

(١) الكل بفتح الكاف وتشديد اللام العميال واليتيم ومن لا يستقل بأمره وحمل الكل الاعانة بالانفاق على العميال والضعفاء (٢) نوائب الحق الحوادث التي تكون في الحق دون الباطل (٣) يحتمل أن يراد بالمدينة قباء أو يراد بها باطنها

فَسئلُوا عَنْ ذَلِكَ فَقَالُوا هَذَا الْيَوْمَ الَّذِي أَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى وَبَنَى إِسْرَائِيلَ عَلَى فِرْعَوْنَ فَنَحْنُ نَصُومُهُ تَعْظِيمًا لَهُ . فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نَحْنُ أَوْلَى بِمُوسَى مِنْكُمْ فَصَامَهُ وَأَمْرَ بِصِيَامِهِ . قَالَ النُّوَوِيُّ . وَكَانَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَوْمًا تَعَظَّمَهُ الْيَهُودُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَتَتَخَذُهُ عِيدًا وَيَلْبَسُونَ نِسَاءَهُمُ اللَّبَاسَ الْحَسَنَ وَالْحُلَى

قَالَ الْمَرْحُومُ مُحَمَّدٌ بِأَشَا الْفَلَاسَكِيِّ فِي كِتَابِهِ نَتَائِجُ الْإِفْهَامِ فِي تَقْوِيمِ الْعَرَبِ قَبْلَ الْإِسْلَامِ « وَفِي كَوْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَجَدَهُمْ صَائِمِينَ ذَلِكَ الْيَوْمَ أَشْكَالَ لِأَنَّ يَوْمَ عَاشُورَاءَ هُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ شَهْرِ اللَّهِ الْحَرَمِ أَوْ هُوَ التَّاسِعُ مِنْهُ كَمَا يَقُولُ ابْنُ عَبَّاسٍ . فَكَيْفَ يَكُونُ فِي رَبِيعِ الْأَوَّلِ . وَأَجِيبُ بِأَنَّ السَّنَةَ عِنْدَ الْيَهُودِ شَمْسِيَّةٌ لَا قَمَرِيَّةٌ فَيَوْمَ عَاشُورَاءَ الَّذِي كَانَ عَاشِرَ الْحَرَمِ وَاتَّفَقَ فِيهِ غَرَقَ فِرْعَوْنُ لَا يَتَقَيَّدُ بِكَوْنِهِ عَاشِرَ الْحَرَمِ بَلْ اتَّفَقَ أَنَّهُ فِي ذَلِكَ الزَّمَنِ أَيْ زَمَنِ قُدُومِهِ عَلَى اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ وَجُودَ ذَلِكَ الْيَوْمِ بِدَلِيلِ سُؤَالِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنْ لَوْ كَانَ ذَلِكَ الْيَوْمُ يَوْمَ عَاشُورَاءَ مَا سَأَلَ وَمَا يَتَوَيَّدُ ذَلِكَ مَا فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ لِلطَّبْرَانِيِّ عَنْ خَارِجَةَ بْنِ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : لَيْسَ يَوْمَ عَاشُورَاءَ الَّذِي يَقُولُ النَّاسُ إِنْ مَا كَانَ يَوْمَ أَسْتَرَفِيهِ الْكَعْبَةَ وَتَلْعَبُ فِيهِ الْحَبْشَةُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ . وَكَانَ بِدَوْرٍ فِي السَّنَةِ . وَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَ فَلَنَا الْيَهُودِيَّ فَيَسْأَلُونَهُ فَمَا مَاتَ أَتَوْا زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ فَسَأَلُوهُ « ثُمَّ نَقَلَ عَنِ الْبَيْهَقِيِّ فِي كِتَابِ الْأَثَارِ أَنَّهُ قَالَ « وَقَدْ قِيلَ أَنَّ عَاشُورَاءَ عِبْرَانِيٌّ مَعْرَبٌ عَاشُورٌ وَهُوَ الْعَاشِرُ مِنْ تَشْرِىِ الْيَهُودِ الَّذِي صُومَهُ صَوْمُ الْكَبُورِ وَأَنَّهُ اعْتَبِرَ فِي شُهُورِ الْعَرَبِ لَجْعَلِ فِي الْيَوْمِ الْعَاشِرِ مِنْ أَوَّلِ شُهُورِهِمْ كَمَا هُوَ الْيَوْمُ الْعَاشِرُ مِنْ أَوَّلِ شُهُورِ الْيَهُودِ » ثُمَّ قَالَ فَنَ جَمِيعُ مَا ذَكَرَ يَفْتِجُ أَنَّ النَّبِيَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ فِي ١٠ تَشْرِىِ وَقَدْ فَرَضَ فِي التَّوْرَةِ صَوْمَ هَذَا الْيَوْمِ وَاخْتَلَفَ الرُّوَاةُ وَأَصْحَابُ السِّيَرِ فِي يَوْمِ دَخُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ أَهْوَ الْيَوْمُ الثَّانِي أَمْ الثَّلَاثُ أَمْ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ كَمَا أَنَّهُمْ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ هَذَا الْيَوْمَ كَانَ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ (١) وَعِنْدِي أَنَّ أَرْجَحَ

(١) دَعَاوَاهُ الْإِتْفَاقُ مِمَّنْوعَةٌ فَقَدْ حَكَى السَّهَيْلِيُّ أَنَّ ابْنَ السَّكَلَجِيِّ قَالَ .

خَرَجَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْغَارِ يَوْمَ الْاِثْنَيْنِ أَوَّلَ يَوْمٍ مِنْ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ

(١٠)

هذه الايام مايدل الحساب على أنه كان يوم الاثنين. وحيث أن الحساب لا يؤدي البتة الى أن الثاني أو الثاني عشر من ربيع الاول كان يوم الاثنين تعين بالضرورة ان الثامن هو يوم وقوع الحادثة . وتكون الخلاصة أن الهجرة أو دخول النبي عليه الصلاة والسلام المدينة كان في يوم الاثنين ثامن ربيع الاول الموافق ٢٠ سبتمبر سنة ٦٢٢ للميلاد و ١٠ تشرى سنة ٤٣٨٣ للخليفة

وأما الاعتكاف فكانوا يعدونه قربة من القرب وينذرونه وشاهده مارواه مسلم في صحيحه بسنده عن عمر بن الخطاب قال يارسول الله اني نذرت في الجاهلية أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام قال . فأوف بنذرك وكذلك كانت نعد المجاورة قربة . لما رواه عبد بن عمير بن قتادة قال . كان رسول الله يجاور في حراء من كل سنة شهرا . وكان ذلك مما تحنث به قريش في الجاهلية والحنث التبرر (١) وشاهده قول أبي طالب

وثور ومن أرسى ثميرا مكانه وراق لبر في حراء ونازل (٢)

فقد أقسم أبو طالب بالصاعد جبل حراء لا نعبد فيه وبالنازل منه

وكان من عادة النبي صلى الله عليه وسلم اذا جاور ذلك الشهر أن يطعم من جاءه من المساكين فاذا قضى جواره من شهره ذلك كان أول مايبدا به اذا انصرف من جواره الكعبة قبل أن يدخل بيته فيطوف بها سبعا أو ماشاء الله من ذلك ثم يرجع الى بيته . وأول منازل عليه الوحي كان بحراء في جواره . قال ابن عبد البر ولا فرق بين الجوار والاعتكاف الا من وجه واحد وهو أن الاعتكاف لا يكون الا داخل المسجد والجوار قد يكون خارج المسجد

يوم الجمعة لثنتي عشرة منه (١) العرب تقول التحنث والتحنف يريدون الحنيفة فيبسدلون بالفاء الثاء وتعمل تقتضى الدخول في الفعل وهو الاكثر فتحنث وتبرر بمعنى دخل في الحنيفة وفي البر (٢) ثور وثير جالان من جبال مكة . وفي البيت رواية لابن هشام وهي وراق ليرقى في حراء ونازل ولان الراق لا يرقى قال السهيلي وأصح الروايتين وراق لبر في حراء ونازل قال البرقي هكذا رواه ابن اسحاق وغيره وهو الصواب

ولذلك لم يسم عبيد بن عمير جواره بحراء اعتكافا لان حراء ليس من المسجد
ولكنه من جبال الحرم

الاستسقاء بالدعاء وبالنار

كانت العرب في الجاهلية اذا حبس عنهم المطر لجئوا الى الله تعالى يستمطرونه
ليكشف منازلهم من البلاء وكانوا كثيرا ما يستمطرون في الاماكن المطهرة
طمعا في اجابة الدعاء كما كانوا يستسقون بمن يرجون الخير بيمن طلعتهم

والاستسقاء فيهم من زمن قديم وهو من بقايا الشرائع السماوية . فقد
ذكر أن عادا أصابهم قحط فتابع عليهم بتكذيبهم هودا فأرسلوا وفدا الى
مكة يستسقون لهم فبعثوا قيل بن عسير ولقيم بن هزال ومرثد بن مسعد .
وكان مسامحا يكتفهم اسلامه وجاهله بن الخيرى خال معاوية بن بكر ولقمان بن
عاد في سبعين رجلا من قومهم فاستسقوا فأرسل الله على عاد سحابة سوداء
ملأها عذابا فاما طلعت عليهم استبشروا بها وقالوا هذا عارض ممطرنا واذا به
ما استعجلوا به ريح فيها عذاب أليم تدمر كل شئ مرت به فأهلكهم الله
بريح عاتية تركتهم كأنهم أعجاز نخل خاوية . وعلم الوفد حين رجعوا بمهلك
قومهم . وفي ذلك يقول عباس بن مرداس السلمي

في كل عام لما وفد نسيرهم نختارهم حسبا منا وأحلاما
كانوا كوفد بني عاد أضلهم قيل فأتبع عام منهم عاما
عادوا فلم يجدوا في أرض قومهم الا مغايهم فقرا وآراما

ولقد حفظ لنا التاريخ مثلا من دعواتهم في الاستسقاء نذكره لما فيه من الفائدة
والبلاغة . فمن ذلك ما حدث به مخزومة بن نوفل قال : سمعت أمي رقيقة بنت
أبي صيفي بن هاشم بن عبد مناف وكانت لدة (١) عبد المطلب قالت تتابع
على قريش سنون أمحلت (٢) الارض وأذهبت الاموال وأقحلت (٣) اللحم
وأرقت العظم وأشفين (٤) على الانفس فيينا أنا نائمة اللهم أو مهومة (٥) اذا
(١) اللدة الترب بكسر التاء أى النظير في السن (٢) أمحلت أقحطت (٣)
أقحلت أي بست (٤) أشفى أشرف (٥) المهوم من يكون بين النائم واليقظان

أنا بها تفت صيت (١) يصرخ بصوت صحل (٢) أقشعر له جلدى يقول : يا معشر قريش ان هذا النبي المبعوث فيكم قد أظلمتكم (٣) أيامه وهذا أوانه و ابا ن نجومه (٤) خيها بالحميا والخصب والفلاح (٥) ألا فانظروا رجلا منكم وسيطا طوالا عظاما أبيض بضاً أو طف الاشفار (٦) سهل الخدين (٧) أشم العرين (٨) مقرون الحاجبين له شرف يكظم عليه وسنة تعزى (٩) اليه الا فليخلص هو وولده وليدلف اليه من كل بطن (١٠) رجل فليسنوا (١١) من الماء وليمسوا من الطيب ثم ليستموا الركن (١٢) وليطوفوا بالبيت سبعاً وليرتقوا بأقبيس الا وفيهم الطيب الطاهر ألا فليدع الرجل وليؤمن القوم الا فغتم (١٣) اذا شتم وعشتم قالت فأصبحت علم الله مذعورة مفراة قدقف لها جلدى وولاه عقى (١٤) فاقتصصت رؤياى فذمت (١٥) فى شعاب مكة فوالحرمة والحرم ما سمع بها أبطحى الا قال هذا شيبة الحمد عبد المطلب (١٦) وتنامت اليه رجالات قريش

(١) الصيت البعيد الصوت (٢) الصحل صوت فيه بحجة (٣) أظلدنا وقرب (٤) النجوم الطلوع (٥) حبهل بكذا أى عليك به و (الحيا) المطر و (الفلاح) البقاء (٦) الوسيط من قولهم أوسطهم حسنا أى اكرمهم وأشرفهم و (الطوال) الطويل و (العظام) العظيم و (البض) الممتلى وفى رواية أوطف الاهداب و (الاوطف) طويل الاهداب و (الاهداب) شعر أشفار العيون مفرده هذب (٧) سهل الخدين قليل اللحم (٨) شمم العرين طول طرف الانف (٩) كظم بمعنى أمسك ومنه يكظم غيظه و (السنة) السيرة و (تعزى) أى تنسب (١٠) الدلف مشى على مهل كمشى الشيخ و (البطن) من بطون العرب دون القبيلة وقد يطلق عليها (١١) سن عليه الماء بالسين المهملة صبه (١٢) استلام الركن ضم الحجر (١٣) غتم مطرتم (١٤) الذعر الفزع و (مفراة) بالقاء الموحدة متحيرة مدهوشة من فرى بكسر الراء تحير ودعش و (قف جلده) ييس و يروى قب أى ذوى و (الوله) ذهاب العقل (١٥) نمت بتشديد الميم فشت ومنه التمام وبتخفيفها زادت من النمو (١٦) الشعاب جمع شعبة ماصغر من التلعة والتلعة ما ارتفع من الارض و (الحرمة) الذمه وما يجب حفظه

وانقض (١) اليه من كل بطن رجل فسنوا من الماء ومسوا من الطيب واستلموا
الركن أو اطوفوا ثم ارتقوا بأقبيس فطفق القوم يدفون (٢) حوله ما ان يدرك
سميعهم مهلة حتى يحلوا ذروته واستكفوا جنبته (٣) ومعه رسول الله صلى الله
عليه وسلم وهو يومئذ غلام قد أيقع أو كرب (٤) فقال عبد المطلب اللهم ساد
الحلة (٥) وكاشف الكربة أنت عالم غير معلم ومسئول غير مبخل (٦) وهذه
عبادك واماؤك بعذرات حرمك (٧) يشكون اليك سنتهم التي أذهبت الخف
وأفنت الظلف (٨) فاسمع اللهم دعاءنا وأنزل علينا غيثا مريعا مفدقا ودقا
(٩) طبقا فما راموا البيت حتى انفجرت السماء بمائها وكظ الوادى بشحيجه
(١٠) فسمعت شيخان قريش وجلتها (١١) يقولون هنيئا يا أبا البطحاء
اذ عاش بك أهل البطحاء وفي ذلك تقول رقيقة بنت أبي صيفى تمدحه عليه
الصلاة والسلام

بشبهة الحمد أسقى الله بلدتنا وقد فقدنا الحيا واجلوز المطر (١٢)

و (الحرم) حرم مكة و (الابطحى) هو القرشى من مكة خاصة و (شبهة الحمد)
هو عبد المطلب (١) تنامت اجتمعت و (انقض) أسرع (٢) طفق دام و (يدفون)
يتداولون (٣) ذروة كل شئ أعلاه و (استكفوا) أحاطوا به ينظرون اليه
و (جنبته) ناحيته (٤) أيقع الغلام قارب الاحتلام و (كرب) من أفعال
المقاربة والمعنى أو قارب (٥) الحلة الحاجة (٦) غير بخيل (٧) عبادك جمع عبد.
ويروى عبادؤك بكسر العين والباء وتشديد الدال أى عبيدك و (بعذرات
حرمك) أى بافئائه (٨) الظلف للبقرة والشاة ومثلها كالقدم للسان و (الخف)
للبعير وأراد ذوات الظلف وذوات الخف (٩) مريعا أى مخصبا و (المفدق
الكثير القطر و (الودق) المطر (١٠) راموا برحوا و (كظ) الوادى أى ضائق
بالماء لكثرتة و (نحيجه) سيلانه (١١) شيخان جمع شيخ والشيخ من
استبان فيه السن أو من خمسين أو احدى وخمسين الى آخر عمره أو الى
الثمانين و (جلتها) عظمائها وسادتها (١٢) الحيا الخصب والمطر و (اجلوز)

فجاد بالماء جوفى له سبل دان فعاش به الانعام والشجر (١)

منا من الله بالميمون طائره وخير من بشرت يوما به مضر (٢)

مبارك الامر يستسقى الغمام به مافى الانام له عدل ولا خطر (٣)

وقد حضر النبي صلى الله عليه وسلم استسقاء آخر وكان رضيما . وذلك أن قريشا أجذبت وحبس عنهم المطر فأمر عبد المطلب ابنه أبا طالب أن يحضر المصطفى وهو رضيع في قاط فلما حضر وضعه على يديه واستقبل الكعبة ورماه الى السماء وتناوله بيديه ثم رماه ثانيا وثالثا وهو يقول يارب بحق هذا الغلام اسقنا غيثا مغيثا مغدقا دائما هاتلما انصرفوا حتى جاءهم الغيث وفي ذلك يقول عمه أبو طالب في قصيدته اللامية

وأبيض يستسقى الغمام بوجهه ثمال اليتامى عصمة للارامل (٤)

يطيف به الهلاك من آل هاشم (٥) فهم عنده في نعمة وفواضل

ويستسقى كل ذى دين من معبوده بالتقرب اليه وسند كركر خولان وتوسلهم لصنمهم عميانس بالدبائح ليسقوا .

ومنهم من يستسقى بالنار وكانوا اذا أرادوا الاستمطار بها جمعوا ماقدروا

عليه من البقر وعقدوا في أذناها وبين عراقيها حزما من السلع والعشر (٦)

وأوقدوا فيها النار وأصعدوها في حبل وعر وفرقوا بينها وبين أولادها

مضى وذهب (١) الجون الأبيض والأسود وهو من الاضداد و(السبل) المطر

(٢) من عليه أنعم و (الميمون طائره) أى السعيد حظله و(مضر) قبيلة من

العرب (٣) في رواية مبارك الكف و(الغمام) سحاب المطر و(الانام) الخلق

و(العدل) بالكسر مثل الشئ و(لا خطر) أى لا مثل له في علوه (٤) قد عبر عن

الكرم بالبياض . يقال له عندى يد بيضاء أى معروف و(الثمال) العماد

والمالجا والمطعم والمغنى والكافى و(العصمة) ما يعتصم به ويتمسك (٥) في

رواية يلوذ به الهلاك و(الهلاك) الفقراء والصعاليك الذين ينتابون الناس طلبا

لمعروفهم من سوء الحال (٦) السلع بفتح حين و(العشر) بضم ففتح ضربان

من الشجر

وساقوا البقر الى ناحية المغرب دون سائر الجهات وهم يصيحون بالتضرع والدعاء لله تعالى ويستسقونه وسط خوار الثيران وتأجج الميران يستجلبون بذلك رحمته وفي ذلك يقول أمية بن أبي الصلت

- سنة أزمة تبرح بالما س ترى للعضاه فيها صريرا (١)
 لا على كوكب تنوء ولا ريح جنوب ولا ترى طحورورا (٢)
 اذ يسمفون بالدقيق وكانوا قبل لا يأكلون شيئا فطيرا (٣)
 ويسوقون باقر السهل للطور د مهازيل خشية أن تبورا (٤)
 عاقدين النيران في ثكن الاذ ناب منها لكي تهيج البحورا
 فاشتوت كلها فهاج عليهم ثم هاجت الى صمير صبرا (٥)
 فراها الآله ترسم بالسطر وأمسى جناهم مطورا (٦)
 سلع ما ومثله عشر ما عائل ما وعالت البيقورا (٧)

(١) أزمة أى شديدة وفي رواية سنة حذبة و (تبرح بالما) تصيهم بشدة الاذى و (العضاه) جمع عضاهة وهى أعظم الشجر أو الخبط أى كل ذات شوكة و (الصرير) الصوت (٢) نوء النجم سقوطه فى المغرب مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته و (ريح الجنوب) هى التى تخالف الشمال وههنا من مطلع سهيل الى مطلع الثريا ما فى السماء (طحورور) وطحورورة أى لطح من السحاب (٣) الباء فى بالدقيق زائدة و (الفطير) من العجين ما اختبرته من ساعته ولم تخمره (٤) الباقر البقر و (الطود) الجبل أو عظيمه و (تبور) تهاك (٥) الصمير السحابة البيضاء أو الكثيفة التى فوق السحابة أو الذى يدور لعضه فوق بعض (٦) رسم الغيث الدبار عفاها وأبقى أثرها لاصقا بالارض و (الجاب) الفناء والناحية (٧) قال ابن أبى الحديد « يروى أن عيسى بن عمر قال ما أدرى معنى هذا البيت ، ويقال أن الاصمعى صحف فيه فقال وغالت البيقورا بالغين المعجمة وفسره غيره فقال عالت بمعنى أنقلت البقر بما حملتها من السلع والعشر و (البيقور) البقر و (عائل) غالب أو مثقل ، ويمكن أن يحمل تفسير الاصمعى

وقال آخر

ياكل قد أثقلت أذنان البقر بسلع يعقد فيها وعشر

فهل تجودين ببرق ومطر

وهذه النار تسمى نار الاستمطار . وأنكر كثير منهم فائدة الاستمطار

بالنار قال الشاعر

شفعنا بديقور الى هاطل الحيا فلم يغن عنا ذاك بل زادنا جدبا

فعدنا الى رب الحيا فأجادنا وصير جرب الارض من عنده خصبا

وقال آخر

قل لبني نهشل أصحاب الحور أتطلبون الغيث جهلا بالبقر

وسلع من بعد ذاك وعشر ليس بهذا يحلل الارض المطر

وقال الورل الطائي يعيهم أيضا .

لا در در رجال خاب سعيهم يستمطرون لدى الازمات بالعشر

أجاعل أنت ييقورا مسلعة ذريعة لك بين الله والمطر

قال ابن أبي الحديد « وإنما أضرموا النيران في أذنان البقر تفاؤلا للبرق

بالنار . وقال بعض الاذكياء كل أمة قد اتخذوا في مذاهبها مذاهب ملة أخرى

وكانت الهند تزعم أن البقر ملائكة سخط الله عايتها فجعلها في الارض وأن

لها عنده حرمة ، وكانوا يلطخون الابدان بأخنائها ويفسلون الوجوه ببولها

ويجعلونها مهور نسائم ويتبركون بها في جميع أحوالهم ففعل أوائل العرب

حدوا هذا الحدو وانهجوا هذا المسلك » وللبقر عند قدماء المصريين أسمى

المنازل الدينية وليست هذه العادة من الخرافات فان للدخان أثرا في الامطار

وقد جرب بعض علماء الافرنج بأمريكا انزال المطر بالدخان المتكاثف

فنجحت تجربته

على محمل صحيح فيقال غالت بمعنى أهلكت يقال غاله كذا واغتاله أى أهلكه

وغالتهم غول يعنى المنية »

(النذر)

كانوا في الجاهلية يوجبون على أنفسهم فعل أشياء أو تركها وذلك هو
النذر ويتمدحون بالوفاء به قال عنترة العبسي في معلقته
ولقد خشيت بأن أموت ولم تدر للحرب دائرة على ابني ضمضم
الشامي عرضي ولم أستمهما والماذرين اذا لم ألقهما دى
وقال زهير

قد أشهد الشارب المعذل لا معروفه منكرو ولا حصر (١)
في فتية ليلى المآزر لا ينسون أحلامهم اذا سكروا
يشوون للضيف والعفاة ويوفون قضاء اذا هم نذروا (٢)

وكانت قديما بذورهم تقربا لله تعالى ثم لما تغيرت الحنيفية بعبادة الاوثان
ودخلت فيهم الديانات الوضعية صاروا يندرون لأصنامهم أو للانتقام أو غير
ذلك من الاغراض المخلفة الى لا يمكن استنصاؤها ولذا ذكر أمثلة منها
في صحيح مسلم أن عمر بن الخطاب قال يا رسول الله انى نذرت في الجاهلية
أن اعتكف ليلة في المسجد الحرام قال فأوف بنذرک

ومنها ما روى أن الحكم بن عبد يغوث المقرئ نذر ليذبحن مهابة على
الغيب (٣) وكان من أرمى الناس فرام صيدها أيما فلم يمكنه فكان يرجع
مخفقا حتى تم بقتل نفسه مكانها فقال له انه مطعم احملى أرفدك فقال ما احملى
من رعره (٤) جبان فشل فمارال به حتى حمله فرمى الحكم مهانين فاحطأهما
فلما عرضت الثالثة رماها مطعم فاصابها فقال الحكم (رب رمية من غير رام)

(١) المعذل كعظم من يعذل لا فراط جوده و (الحصر) البخل والعلى في المنطق
(٢) العافى الضيف وكل طالب فضل أو رزق (٣) المهابة البقرة
الوحشية (والغيب) منحصر العزى كانوا ينحرون فيه هداياها (٤) الارفاد
الاعاناه و (رهل) لحمه بالكسر اضطرب واسترخى وانتفخ أو ورم
من غير داء

فضربت مثلاً في فلتة احسان من المسمى

ومنها أن الغوث بن مر بن أد بن طابخة كان لا يعيش لأمه ولد فنذرت لئن عاش لتملتن برأسه صوفة ولتجعلنه ريطاً للكعبة فلما عاش لها الغوث وفّت بنذرهما فسمى صوفة وكان له ولولده الاجازة بالحج من عرفة ومن منى لمكانه من الكعبة .

ومن ذلك نذر تهود الاولاد قال السهيلي « اليهود بنو اسرائيل وجملة من كان منهم بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن في الاوس والخزرج من قد تهود وكان من نسائهم من تنذر اذا ولدت ان عاش ولدها ان تهود لان اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب وفي هؤلاء الابناء الذين تهودوا نزلت (لا اكره في الدين) حين أراد آباؤهم اكراههم على الاسلام في أحد الاقوال »

ومن ذلك ما روى ان عاصم بن ثابت بن أبي الاقلح قتل في غزوة احد من المشركين مسافع بن طلحة واخاه الجلاس بن طلحة كلاهما يصيبه بسهم فيأتى امه سلافة فتضع رأسه في حجرها وتقول يا بى من أصابك . فيقول سمعت رجلاً يقول حين رماني خذها وأنا ابن أبي الاقلح فنذرت ان أمكنها الله من رأس عاصم ان تشرب فيه الخمر

ومنها ما روى ان ابا سفيان لما رجع من مكة ورجع منهزم وقريش من بدر نذر الابس رأسه ما من جنابة حتى يغزو محمداً

ومنها ما كان من عبد المطلب بن هاشم فانه حين لقي من قریش ما لقي عند حفر زمزم نذر لئن ولد له عشرة نفر ثم بلغوا معه حتى يمهوه لينحرن أحدهم لله عند الكعبة فلما بلغ نوه عشرة وعرف انهم ما نوهو جمعهم وأخبرهم بنذره ودعاهم الى الوفاء لله بذلك فأطاعوه فجعل لكل قدحاً وكتب عليه اسمه وضرب القداح سادن هبل عنده فخرج قدح عبد الله ففهم بذبحه فقامت قریش وقالوا لا تذبح ابداً حتى نعد ذرفيه لئن فعات هذا لا يزال الرجل يأتي بابنه حتى يذبحه فما بقاء الناس على هذا وأشاروا اليه أن يذهب لعرافة سموها له ليستفتيها فيما

نزل به فلما نزل عبد المطلب بساحتها وقص عليها أمره أمرته أن يضرب القداح على عبد الله وعلى عشر من الابل فان خرج قدح عبد الله زاد الابل عشرا وضرب ولا يزال يفعل ذلك حتى يخرج القدح على الابل فعاد الى مكة وضرب القداح وما زال يزيد الابل حتى بلغت مائة نخرج القدح عليها فذبحوها وعبد الله هو والد نبينا المراد بقوله عليه الصلاة والسلام أنا ابن الديهين وثانيهما اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام

ومن ندورهم السائبة ان أحدهم كان اذا نزل به المكروه يذمر ان رفع عنه ان يسب نافته . فاذا فعل ذلك لم تمنع من الماء ولا من الكلاء . وقد يسيبون غير الناقة . وكانوا اذا سبوا العبد لم يكن عليه ولاء

ومن ندورهم ما كان من لبيد بن ربيعة بن عامر وكان شريفا في الجاهلية والاسلام فقد نذر في الجاهلية الاتهب الصبا الانحر وأطعم . وهبت الصبا يوما وهو بالكووفة مقترع لماق فلم بذلك الوليد بن عقبة بن أبي معيط وكان أميرا عليها لعثمان فخطب الناس فقال ان أخاكم لبيدا كان آلى على نفسه في الجاهلية ألا تهب الصبا الا أطعم وألزم نفسه ذلك في الاسلام وهذا اليوم من أيامه فأعيوه فأنا أول من يعينه ثم نزل فبعث اليه بمائة بكرة . وبعث الناس اليه فقتل نذره وكتب اليه الوليد

أرى الجزار يشحد شفرتيه اذا هبت رياح أبي عقيل

أغر الوجه أبيض عاسرى طويل الباع كالسيف الصقيل

وفى ابن الجعفرى بحلفتيه على العلات والمال القليل (١)

بنجر الكوم اذ سحبت علبه ذبول صبا تجاوب بالاصيل (٢)

فلما أتاه الشعر قال لابنته أجيبه فقد أرانى ولا أعيا بجواب شاعر
فانشأت تقول

اذا هبت رياح أبي عقيل دعونا عبد هبتها الوليدا

أغر الوجه أبيض عبشما أعان على مروءته لبيدا

(١) على علاقته أى على كل حال (٢) الكوم القطعة من الابل

بأمثال الهضاب كان ركبا عليها من بنى حام قعودا (١)
أبا وهب جزاك الله خيرا نحرناها وأطعمنا الوليدا
فعد ان السكريم له معاد وظى يا ابن أروى أن تعودا

فقال أحسنت لولا انك استزدته فقالت انه ملك ولو كان بسوقة لم أفعل
ذبح الظبي في نذر الشاة — كان أحدهم يقول عند المكروه يصيبه ان

خلصت منه لا ذبحن من الغنم كذا وكذا ثم اذا كشف الله عنه ما يكره ضن بما
نذر لان من ألباهم غذاؤه وكره عدم الوفا فاستبقى الغنم وذبح من الظباء التي
يصيدها بعدد ما نذر من الغنم . وقال الظباء شاء كما أن الغنم شاء فيجعل ذلك
القربان شاء كله مما يصيد من الظباء . قال الحارث بن حلزة

عنتابا طلا وظلما كما نع ترعن حجرة الربيض الظباء (٢)
أعلينا جناح كمدة أن يغنم غازيهم ومنا الجزاء

واصل العتر الذبح في رجب وكالت العرب تمذره لآلهتها فيقول قائلهم
ان رزقني الله خمسين شاة ذبحت منها في رجب واحدة مثلا ويسمى هذا الذبح
العتيرة والرجبية — ومعنى البيتين انكم الزتمونا ذنب غيرنا عنتا باطلا كما
ينذبح الظبي لحق وجب في الغنم وقال الرماح في تلك العتائر

كان الغوى الفرد أجسد رأسه عتائر مظلوم الهدى المذبح (٣)
وقال كعب بن زهير في رثاء جوى المزنى وهي من أبيات الحماسة
لندرك والمذور لها وفاء اذا بلغ الخزاية بالغوها

(١) الهضاب والهضب جمع الهضبة وهي الجبل و(حام) هو ابن نوح
أبو السودان (٢) العنت الفساد (وتعتر) تذبح (والحجرة) بالفتح الناحية
والمراد بها هنا موضع الغنم و(الربيض) الغنم يرعاهما المجتمعة في مراتبها
(٣) الغوى الضال ولعله يريد به الصنم و(الجسد) الدم اليابس والزعفران
واذا قام الثوب من الصبغ قيل قد أجسد ثوب فلان و(العتائر) الذبائح
واضافة الذبائح لمظلوم اضافة بيانية . والهدى المذبح المظلوم هو الظباء
المذبوحة بدل الشياه

كانك كنت تعلم يوم بزت ثيابك ما سيلقى سالبوها (١)
فما عتر الظباء بحجى كعب ولا الخمسون قصر طالبوها
والمعنى انما وفيما ولم تنفع فى أخذ ثأرك بشئ يعنى عما ندرته كما تذبح
الظباء بدل الغنم

وكان سبب هذه الابيات أن جويًا المزيى مر على الاوس والخزرج وهم
يقتتلون والاوس حلفاء مزينة فقاتل جوى مع حلفائه فأصيب مر به ثابت بن
المنذر بن حرام أبو حسان الشاعر فقال : اخا مزينة ما طرحك هذا المطرح
فوالله انك من قوم ما يحمونك فرجع جوى رأسه اليه وهو يحود بنفسه
فقال : اعطى الله عهدا ليقتلن منكم خمسون ليس فيهم اعور ولا أعرج وبلغت
كلته قومه فوفوا له بما قال -- فلذلك يقول الرماح : ولا الخمسون قصر
طالبوها ومن هذا الباب قولهم فى المثل (أفرع بالظبي وفى المعزى دثر) الباء
فى بالظبي زائدة أى ذبح الظبي وفى المعزى كثرة -- يضرب مثلا لمن له
اخوان كثيرون وهو يستعين بغيرهم

(ما يفعلونه للموتى)

نذكر فى هذا الفصل عاداتهم التى منشؤها الشرائع السماوية كتحنيط الميت
وتكفينه وغسله والمبالغة فيه بوضعهم فى ماء الغسل سدرًا ونحوه ثم نتبع ذلك
تنميًا للموضوع بما كان منشؤه المعتقدات الوهمية كوضع البلية على القبر يركبها
الميت يوم البعث وبما كان منشؤه الفخر والزهو كاتخاذ حرم للقبر وتعلية بناءه
وغير ذلك

نعنى الموتى - قال الاصمعى كانت العرب اذا مات فيهم ميت له قدر
ركب راكب فرسًا وجعل يسير فى الناس ويقول نعماء فلانا أى انعمه وأظهر خبر
وفاته وهذا هو الماعى المراد بقول المتنخل الهدلى

(١) بزت الثياب سلبت

أقول لما أتاني الناعيان به لا يبعد المرح ذو النصلين والرجل (١)
 رمح لما كان لم يقلل نوء به توفي به الحرب والعزاء والجلل (٢)
 وقول أعشى باهلة يرثي أحاه لأمه المستشر
 اني أنتى لسان لا أسر بها من غلأو لا عجب منها ولا سخر (٣)
 فظلت مكتئباً حراً أندره وكنت ذا حذر لو ينفع الحذر
 لجاشت النفس لما جاء جمعهم وراكب جاء من تثليث معتمر (٤)
 يأتي على الماس لا يلوى على أحد حتى التقينا وكانت دوننا مضر (٥)
 ان الذي حئت من تثليث تابه منه السماح ومنه النهى والغير
 ينمى امرأ لا تغب الحي جفنته اذا السكواكب اخطأ نوءها المطر (٦)
 والغرض من اتخاذ الناعى الاعلام لينهض الماس بالواجب عليهم نحو هذه
 المصيبة ولتهزية أهل الميت

(١) يبعد بمعنى يهلك و (الرمح) فاعل يبعد و (النصل) حديد الرمح
 الذى يطعن به وهو السنان (٢) (رمح لنا) أى هو رمح لنا وضعير كان
 يرجع الى المرح وجملة (لم يقلل) خبر كان أى لم يكسر ولم يثلم من الفل بفتح
 الفاء واحد الفلول وهى كسور فى الشئ و (نوء به) أى نهض به يقال ناء
 بكذا أى نهض به مثقلا و (توفى به الحرب) أى تعالى به وتقهر وهو بالناء
 وروى بالقاف أيضا من الوفاية و (العزاء) بفتح العين وتشديد الزاء المعجمة
 السنة الشادة و (الجلل) بضم الجيم وفتح اللام جمع حلى وهو الامر الجليل
 العظيم من كبرى وكبرى وغرى وصغر (٣) اللسان الرسالة وأراد بها نعى المنتشر
 و (سخر) بضم السين والمعنى أتاني خبر من أعلى نجد لا أعجب منها وان
 كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة (٤) جاشت النفس ارفعت من حزن
 أو فزع (٥) لا يلوى على أحد أى لا يعرج (٦) النعى خبر الموت و (أغبت)
 القوم جفنته جاءتهم يوما وتركث يوما كغب و (النوء) سقوط النجم فى المغرب
 مع الفجر وطلوع آخر يقابله من ساعته فى المشرق والعرب كانت تنسب نزول
 المطر للنوء فتقول مطرنا بنوء كذا

غسل الميت — كانوا يغسلون موتاهم في الجاهلية . قال الافوه الاودى
 ألا علماني واعلماني غرر فما قلت ينجليني الشقاق ولا الحذر (١)
 وما قلت يجديني ثوابي اذا بدت . مفصل أو صالى وقد شخص البصر (٢)
 وجاءوا بماء بارد يغسلونني فيالك من غسل سيقتبعه غبر
 وفي الاغانى أن أبا لهب للمامات بالعدسة تركه ابنه ليلتين أو ثلاثا لا يدفناه
 حتى أنن في بيته . وكانت قریش تتقى العدسة كما تتقى الطاعون تحشى عدواها
 حتى قال لهما رحل من قریش ويحكمما ألا تستحيان ان أباكما قد أتت في بيته
 لا اغيباه . فقالا نخشى هذه القرحة قال : فانطلقا وأنا معكما فما غسلوه الا
 قذفا بالماء عليه من بعيد ما يمسونه فاحتملوه فدفنوه بأعلى مكة
 وكانوا يضعون في ماء الغسل ما يساعد على النظافة من سدر أو اشنان .
 ويغسلون بالسدر ونحوه رءوسهم ولحاهم وشاهده قول امرئ القيس لما أخذت
 بنو تغلب ثمانية وأربعين نفسا من بنى آكل المرار فقدم بهم على المنذر ف ضرب
 رقابهم بحجر الامازك في ديار بنى مرين

ملوك من بنى حجر بن عمرو يساقون العشية يقتلونها
 فلو في يوم معركة أصيبوا ولكن في ديار بنى مرينا
 ولم تغسل رءوسهم بسدر ولكن في الدماء مزملينا (٣)
 وقد أقرهم الاسلام على ما كان عندهم من ذلك
 تحنيط الميت كانوا بمد غسل الميت يحنطونه والحنوط كصبور وكتاب
 عطر مركب من أشياء طيبة الرائحة يخلط للميت
 وذكروا أن مشما كانت امرأة تبيع الحنوط في الجاهلية . ف قيل للقوم

(١) الغرر بالنفس التعريض للخطر — مصدر يراد به اسم المفعول
 (٢) والاولصال المفاصل أو مجتمع العظام (وشخص بصره) فذبح عينيه
 وجعل لا يطرف (٣) السدر ورق النبق وفي رواية ولم تغسل جماجمهم بغسل
 و(ازمل) تائف

إذا تحاربوا دقوا بينهم عطر منشم أرادوا بذلك طيب الموتى وروى أن أول من طيب الموتى بالحنوط مقسم بنهر القضاء كفن الميت كانوا يكفنون الميت (١) وشاهده قول قس بن ساعدة الأيادي .

يا بأك الموت والاموات في جدث عليهم من بقايا بزهم خرق (٢) دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم كما ينبه من نومانه الصعق وقال عمرة العبدى

رأى حى قوى على طول مدتى الى أن أرائى فى اللقائف أدرج (٣) وقال حجة بن المضرب يخاطب النعمان بن المنذر

ان كان ما بلغت عى فلامنى صديق وشأت من يدى الانامل وكفنت وحدى منذرا فى ردائه وصادف حوطا من أعادى قاتل (٤) وسبب هذين البيتين أن النعمان بن المنذر أغار على بنى تميم وندروا به ومعه بكر بن وائل والصنائع من العرب . وكان فيمن كان معه حجة بن المضرب وكانت أخته فكيهة بنت المضرب تحت ضمرة بن ضمرة . فندروا بنو تميم بالنعمان فهزموه (٥) فانهم النعمان حجة أن يكون أمذرهم فقتل البيتين

وكانوا يكفنون الميت فى ثوب ثمين المنسيج اذا كان عظيما . وشاهده ما يروى أن دريد بن حرملة لما قتل معاوية بن عمرو الشريد قدم أخوه صخر فأتى بنى مرة . فقال : من قتل أخى . فقال له هاشم بن حرملة اذا أصبتى أو دريدا فقد أصبت نارك . قال فهل كفنتموه . قالوا : نعم فى بردين

(١) الكفن لباس الميت (٢) الجدث القبر و (البز) الثياب (٣) اللقافة

ما يلف به على الرجل وغيرها جمعه لقائف يراد بها هنا الكفن

(٤) قوله وكفنت وحدى منذرا : أى أكون غربيا لا أجد معيناً وقوله فى ردائه أى لا أجد كفنا يليق به و (المنذر) أخو حجة الشاعر و (حوط) ابنه وبه يكنى (٥) نذر بالشئ كفرح علمه فحذره و (انذره بالامر) أعلمه وحذره وخوفه فى ابلاغه

أحدهما بخمس وعشرين بكرة قال : فأروني قبره . فأروه إياه . فلما رأى القبر جزع عنده ثم قال ؟ كانكم قد أنكرتم ما رأيتم من جزعي . فوالله ما بت مذعقلت الا واترا أو موتورا أو طالبا أو مطلوباً حتى قتل معاوية فما ذقت طعم نوم بعده . وقال مهلهل بن ربيعة من رثاء أخيه كليب

فابكين سيد قومه واندبته شدت عليه قباطي الا كمان (١)
وفد جاء ذكر الحنوط وترجيل الشعر والكفص في شعر يزيد بن حذاق
قال ابن قتيبة انه أول من بكى على نفسه وذکر الموت في شعره حيث قال
هل للفتى من بنات الدهر من واق أم هل له من حمام الموت من راق
قد رجلوني وما بالشعر من شعث والبسوني ثيابا غير أخلاق
وطيبوني وقالوا أيما رجل وأدرحوني كاني طي مخراق
وأرسلوا فتية من خيرهم حسبا ليسندوا في ضريح القبر أطباق
وقسموا المال وأرفضت عوائدهم وقال قائلهم مات ابن حذاق
هون عليك ولا تولع باشفاق فاما مالنا لاوارث الباقي
وجاء الشعر الاسلامي فأقر تحبب الميت وتكفينه وكره تسريح شعره
الصلاة على الميت - كانوا يعملون على موتاهم وصلاتهم اذا مات الرجل
وحمل على سريريه ان يقوم وايه فيذكر محاسنه كلها ويثنى عليه . قال رجل من
كلب في الجاهلية لابن ابن له

اعمرو ان هلكت وكنت حياً فاني مكثرت لك من صلاتي
قليل وأول من صلى في الجاهلية على الميت عطيرة بن صعب السكسكي .
ومن بليغ ما ورد من ذلك في الاسلام ما ذكره الحرمازي وغيره من
ان الاحنف بن قيس لما مات بالكوفة أبام خرج مع مصعب بن الزبير
الى قتال المختار فلما دفس قامت امرأة على قبره من بني مقرر فقالت : لله درك
من بحر في جن ومدرج في كفس ففسأل الذي فجعا بموتك وابتلايا بفقدك
(١) القبطية بالضم وقد تكسر ثياب من كنان تسج بمصر منسوبة
الى القبط على غير القياس كالدهري جمعه قباطي بالتشديد وقباطي بالتخفيف

أن يجعل سبيل الخير سبيلك ودليل الخير دليلك وان يوسع لك في قبرك ويغفر لك يوم حشرك . ثم اقبلت بوجهها على الناس فقالت ، معشر الناس أن أولياء الله في بلاده شهود على عبادهم وانافأولون حقاً ومثنون صدقاً . وهو أهل لحسن الثناء وطيب الدعاء . ثم اقبلت على القبر فقالت : اما والذي كنت من أجله في عداوة ومن الضمان الى غاية ومن الحياة الى نهاية الذي رفع عملك عند انقضاء أجلك لقد عشت حميداً مودوداً ولقد مت فقيداً سعيداً وان كنت لعظيم السلم فاضل الحلم وار كنت من الرجال اشرفاً وعلى الارامل عطوفاً وفي العشيرة مسوداً والى الخلفاء موفداً . ولقد كانوا لقولك مستمعين ولرايك متبعين . فقال الناس ما سمعنا كلام امرأة أبلغ ولا أصدق معنى منها .

سرير الميت ، - كانوا يحملون الميت اما عنى الحرج وهو خشب يشد بعضه الى بعض قال امرؤ القيس

فاما ترى في رحالة جابر على حرج كالقمر تنفق أكفاني (١)
وأما على النعش وهو سرير الميت وقيل النعش للمرأة والسرير للرجل ذكر ذلك ابن سيدة في المخصص . وعلى احتصاص المرأة بالنعش فأول امرأة حملت في نعش زينب بنت جحش زوج النبي عليه السلام كما حكاه الفلقشندي في صبيح الاعشى لكن جاء في كتاب وفا الوفا باخبار دار المصطفى ما يقتضى ان أول امرأة حملت في نعش بنى فاطمة بنت رسول الله وذات النواصي بعد وفاة أبيها كادت سبعين بين يوم وليلة . فقالت : يا أسماء بنت عميس انى لا استجيبى من جلالة جسمى اذا أخرجت على الرجال غداً وكانوا يحملون الرجال كما يحملون النساء وقيل قالت يا أسماء انى قد استقبحت ما يصنع بالنساء انه يطرح على المرأة الثوب فيصنعها . قالت أسماء : يا ابنة رسول الله ألا أرياك شيئاً رأيت به بأرض الخبشة فدعت بمهرائد رطبة فحننها ثم طرحت عليها ثوباً . وقالت فاطمة :

(١) الرحالة هنا خشبة كان يحمل عليها امرؤ القيس وكان مريضاً وجابر من بنى تغلب وكان هو وعمرو بن قميصة يحملانه و(الحرج) خشب يحمل فيه الموتى و(الفر) مركب من مراكب النساء كالهودج

مأحسن هذا وأجمله تعرف به المرأة من الرجل . فاذا أنا مات فاغسليني أنت وعلى ولا تدخلني على أحدا فلما توفيت جاءت عائشة تدخل . فقالت أسماء لا تدخلني فشكت الى أبي بكر قالت : ان هذه الخثعمية تحول بيننا وبين بنت رسول الله وقد جعلت لها مثل هودج العروس . فجاء أبو بكر فوقف على الباب فقال يا أسماء ما حملك على أن منعت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم أن يدخلوا على بنت رسول الله . وقد جعلت لها مثل هودج العروس فقال أم رتي لا تدخل عليها أحد وأريتها هذا الذي صنعت به هي حية فأمرني أن أصنع ذلك لها . قال أبو بكر : فاصنعي ما أمرتك ثم انصرف وغسلها على وأسماء (١) رضى الله عنهما وروى أن فاطمة لما أرتها اسماء النعش تبسمت وما رويت متبسمه بعد موت النبي عليه السلام الا يومئذ واتخذ النعش بعد ذلك سنة

قال ابن عبد البر (فاطمة أول من غطي نعشها من النساء في الاسلام على الصفة المذكورة في الخبر المتقدم ثم بمدّها زينب بنت جحش صنع بها ذلك) وعلى ذلك فأولية زينب بنت جحش التي حكاهما القاقشدي انما هي بالنسبة لمن عدا فاطمة .

تشيعيم الجنازة . فاذا وضعوا الميت على سريريه حملوه وساروا به الى

القبر . قال سائر الطائي

فاصدق حديثك ان المرء يتبعه ما كان يبني اذا مالعشه حملا

وقالت الخنساء ترثي صخر

ونائلة والنفس قد فات خطوها لتدركه يالهف نفسي على صخر

الا نكلت أم الذين غدوا به الى القبر ماذا يحملون الى القبر

وكانت تحمل البيران في تشيعيم الجنازة وتتبعها النوائح وقد نهى الاسلام

(١) منعت الخنافية الروح من تفصيل زوجته ومسها لا من النظر اليها

وأجازته الاثمة الثلاثة وحجتهم غسل على فاطمة واحتج الخنافية بقوله عليه

السلام كل سبب وسب ينقطع بالموت الا سببي ونسبي مع أن بعض الصحابة

أنكر على ذلك

عن ذلك لانه من شعار الجاهلية وقال عمرو بن العاص حين حضرته الوفاة من حديث له رواه مسلم في صحيحه فاذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار فاذا دفنتموني فسنوا على التراب سباً (١) ثم أقيموا حدي قدر ما تخرج جزور ويقسم لهما حتى استأنس بكم وانظر ماذا أراجع به رسل ربى فوهم ناجزة - كانوا يقومون للجسارة ويقولون كنت في أهلك ما أنت

مرتين . وشاهدة مارراه البخاري في صحيحه بسنده قال أخبرني عمرو أن عبد الرحمن بن القاسم حدثه أن القاسم كان يمشي بين يدي الجسارة ولا يقوم لها ويخبر عن عائشة أنها قالت كان أهلك في الجاهلية يقومون لها ويقولون اذا رأوها كنت في أهلك ما أنت مرتين

قال ابن حجر العسقلاني في فتح الباري . أى يقولون ذلك مرتين وما موصولة وبعض الصلة محذوف . والتقدير كنت في أهلك الذى كنت فيه . أى الذى أنت فيه الآن كنت في الحياة مثله لأنهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون أن الروح اذا خرجت اصير طيرا فان كان ذلك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس ويحتمل أن يكون قولهم هذا دعاء للعت وبجمل أن تكون ما نافية ونقطة مرتين من تمام الكلام أى لا تكونى في أهلك مرتين المرة الواحدة الى كنت فيهم انقضت وليست بعائدة اليهم مرد أخرى وبجمل أن تكون ما استفهامية أى كنت في أهلك شريفة فأى شئ أنت الآن يقولون ذلك حزنا وتأسفا عليه

مقابرهم كانوا يحفرون لموتاهم قبورا أو لحودا (١) يدفنونهم بها قال

عنبرة العبسى

بالله ما بال الاحبة أعرفت عنا وراحت بالفراق صودوها

رضيت مصاحبة البلى واستوطمت بعد البيوت قبورها ولحودها

وفال حاتم الطائي

(١) سن الراب صبه في سهولة (٢) القبر مدفن اللسان و (الاحود)

جمع اللحد بالفتح والضم وهو الشق يكون في عرض القبر .

أماوى ما يغنى الثراء عن الفتى اذا حشر جت يوم ما وضاق بها الصدر
 اذا أنا دلانى الذين أحبهم بملح وودة زلخ جوانبها غبر
 وراحوا سراعا ينفذوا كفههم يقولون قد دمی أنا ملنا الحفر
 ومن القبور ما يبنى ومنه ما يجعل فوقه كومة من التراب وتوضع فوقها
 الحجارة لتدل على مكان القبر قال طرفة بن العبد

أرى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوى فى البطالة مفسد (١)
 ترى جثوتين من تراب عليهما صفائح صم من صفيح منضد (٢)
 وقال لبید بن ربیعۃ العاصری

وهل هو الا ما ابتى فى حیاته اذا قذفوا فوق الضريح الجنادلا
 وقال درید بن الصمة يرثى معاوية أبا الخنساء لما قتلته بنو مرة
 رأيت مكانه فعمقت زورا وأین مكان زور یا ابن بكر
 الى ارم وأحجار وصیر وأغصان من السمات سمر (٣)
 وبنیان القبور أنى عليها طوال الدهر من سنة وشهر
 وقال البرج بن مسهر الطائى

نطوف ما نطوف ثم بأوى ذوو الاموال منا والعديم
 الى حفر أسافلهم جوف وأعلام من صفائح مقيم (٤)
 وقالت الخنساء من قصيدة ترثى بها صخر
 فى جوف رهس مقيم قد تضمنه فى رسمه مقمنرات وأحجار (٥)

-
- (١) النحام البخیل و (الغوى) الضال والبطالة ضد العمل (٢) جثوتين
 تشبیه جثوة بالتملیث وهى الكومة من التراب وغيره و (صفائح) جمع صفيحة
 وهى حجارة عراض رقاق و (منضد) مجعول بعضه فوق بعض
 (٣) الارم كعنب العلم و (الصیر) واحد صبرة وهى حظيرة الغنم .
 (٤) الجوف المطمئن من الارض و (الصفائح) حجارة عراض رقاق
 (٥) قال أبو عمرو ممتطرات صخور عظام وأحجار صغار

وفال حفص بن الاحنف الكنانى (١)

نهرت قلوصى من حجارة حرة بنيت على طلق اليدىن وهوب (٢)
لا تنهرى يا ناقى منه فانه شريب خمر مسعر لحروب (٣)
واذا كان للميت منزلة وشرف بنوا على قبره قبة أو بيتا أو بناء مشرفا
كأطم من الآطام مباحاة ونحراً وتعاطما وزهواً فنهائم النبى صلى الله عليه وسلم
عن ذلك . وفال عدى بن ربيعة المعروف بالمهلل التغلبى من قصيدة فى رثاء
كليب أخيه وكانت على قبره قبة رفيعة

سألت الحى أين دفنتموه فقالوا لى بسفح الحى دار
فسرت اليه من بلدى حثيثاً وطار النوم وامتنع القرار
وحادت ناقتى عن ظل قبر ثوى فيه المكارم والفخار
ومن ذلك ما رواه الاصبهاني فى الاغانى عن الاصمعى وأبى عبيدة ان
رحلا من غنى . يقال له قيس الدماى وفد على بعض الملوك . وكان قيس سيدا
جوادا فلما حفل المجلس أقبل الملك على من حضره من وفود العرب . وقال
لأدعن تاجى على أكرم رجل من العرب فوضعه على رأس قيس وأعطاه ما
شاء ونادمه مدة ثم أذن له فى الانصراف الى بلده فلما قرب من بلاد طى
خرجوا اليه وهم لا يعرفونه ففتلوه فلما علموا أنه قيس ندموا لاياد له كانت
فيهم فدفنوه وبنوا عليه بيتا — وقد بنى المنذر الاكبر الغريانى وهما منارة بن
على قبرى عمرو بن مسعود وخالد بن نضلة الاسديين . وسنذكر خبرهما
عند الكلام على العرة — واذا كان الميت من النصارى وضعوا جثته فى
صندقه يسمى التابوت ويسمى الاران أيضاً .

(١) فى الاغانى ان هذا الشعر ينسب لحسان بن ثابت وقيل أيضاً انه
لضرار بن الخطاب القهرى . وذكر ان محمد بن سلام قال الصحيح انها لعمرو
ابن شقيق أحد بنى فهر بن مالك قال ومن الناس من يرويهما لكرز بن حفص
ابن الاحنف العامرى وعمرو بن شقيق أولى بها (٢) الحرة بفتح الحاء أرض
ذات حجارة نحرة سود (٢) المسعر الذى كانه آلة فى ايقاد الحروب

حمى القبر . من عاداتهم أن يجعلوا القبر الشريف حمى لا ينتهك . حكى أبو عبيدة عن الحرمازي قال لما مات عامر بن الطفيل نصبت عليه بنو عامر أنصاباً ميلاً في ميل حمى على قبره لا ينشر فيه ماشية ولا يرعى ولا يسلكه راكب ولا ماش وكان جبار (١) بن سالم غائباً فلما قدم . مر بقبره فقال ماهذه الانصاب قالوا نصبناها على قبر عامر . فقال ضيقتم على أبي على وأفضأتم منه فضلاً كثيراً ثم وقف على قبره وقال : ألعن صباحاً أبا على . فوالله لقد كنت تش الغارة وتحمل الجارة سريعاً الى المولى بوعدك بطيئاً عنه بايعادك وكنت لا تصل حتى يضل النجم ولا تعطش حتى يعطش البعير ولا تجبن حتى يجبن السبل . وكنت والله خير ما كنت تكون حين لا تظن نفس بنفس خيراً .

وعامر بن الطفيل هذا كان سيداً شريفاً ينادى بسوق عكاظ ويقول : هل من راجل فاحمله أو جائع فأطعمه أو خائف فأؤمنه وقد أدرك الاسلام وقدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوسده وسادة ثم قال أسلم يا عامر . قال : على ان لي الوبر ولك المدر . فأبى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقام عامر مغضباً فولى وقال لا ملأها عليك خيلاً جرداً ورجالاً مرداً ولا ربطن بكى نخلة فرساً . فقال النبي عليه الصلاة والسلام : اللهم اهد بني عامر واشغل عى عامر بن الطفيل بما شئت وكيف شئت وانى شئت فخرج عامر فأخذه غدة مثل غدة البكر فأوى الى بيت امرأة من بني سلول فجعل يثب وينزو في السماء ويقول : ياموت ابرز لى . غدة مثل غدة البعير وموت في بيت سلولية

انضح القبر بالحجر — كانوا ينضحون قبر العزيز عندهم بالحجر قال نصر بن غالب أصب على قبريكما من مدامة فلا تذوقاها تروثا كما وقال حاتم يوصى امرأته بنضح الحجر على قبره

(١) كذا في الكامل للمبرد وفي مجمع الامثال انه حبان بالحاء المهملة آخره نون ابن سالم بن عامر بن مالك

أماوى امامت فاسمى بنطفة من الحمر ربا فانضجن بها قبرى
السقيا للقبر — وكانت العرب تحب نزول المطر على القبور وقد طلبت
لها السقيا قال النابغة الذبياني من قصيدة يرثى بها النعمان بن الحارث بن
أبى شمر الغساني

سقى الغيث قبرايين بصرى وجاسم الغيث من الوسمى قطر ووابل (١)
ولا زال ريحان ومسك وعنبر على منتهاه ديمة ثم هاطل (٢)
وينبت حوذانا وعرفا مسورا سابعه من خير ما قال قائل (٣)
وقد أوصى المتأس بذلك فى قوله من قصيدة يرثى بها نفسه

خليلى امامت يوماء ورحزحت منابا كما فيما ير حزحه الدهر
فرا على قبرى فقوما فسلما وقولا سقاك الغيث والقطر باهر
وفل مهامل من قصيدة فى رثاء أخيه كليب

أجبنى يا كليب خلاك ذم لقد فحجت بفارسها نزار
سقاك الغيث انك كنت غيما ويسرا حين يدمس اليسار

والاشعار فى هذا المعنى كثيرة مستفيضة

وقد اختلف فى سبب استسقاءهم لها فقال الوزير أبو بكر عاصم بن
أيوب البطلبوسى تدعو العرب للقبور بالسقيا ليكثر الخصب حولها فيقصد
كل من مر بها دعاء لها بالرحمة

وقال التبريزى فى شرح الحماسة عند قول عكرشة العيسى من رثاء بذي
سقى الله أجسادنا ورأى تركتها بحاضر قنسرين من سبل القطر

(١) بصرى وجاسم موضعان بالشام و (الوسمى) أول المطر لانه يسمى
الارض بالنبات (٢) وروى ابن الاعرابى : ريحان ومسك يثيره على
منتواء . و (يثيره) أى يهيج رائحته ويذكىه و (منتواء) موضع تباعده
عن الاحياء . ومن روى منتهاه أراد قبره لانه الموضع الذى ينتهى اليه سعى
الانسان (٣) الحوذان والعرف نباتان الا أن الحوذان اطيب رائحة .
وقوله (سأبعه من خير ما قال قائل) أى سأثنى عليه بأحسن القول

مضوا لا يريدون الرواح وغالهم من الدهر أسباب جرين على قدر
 ولو يستطيعون الرواح تروحوأ معى وغدوا فى المصبحين على ظهر (١)
 لعمري لقد وارت وضمت قبورهم أ كفاً شداد القبض بالاسل السمر
 والقصد من طلب السقيا لها أن تبقى عهدوها غضة من الدروس طرية لا يتسلط
 عليها ما يزيل جدتها ونضارتها ألا ترى انه لما أراد الشاعر ضد ذلك قال :
 فلا سقاها الا النار تضطرم * وقال السهيلي عند قول كعب بن مالك فى
 رثاء من قتل من الشهداء يوم موة

صلى الأله عليهم من فتية وسقى عظامهم الغمام المسبل
 (وقوله وسقى عظامهم الغمام المسبل يرد قول من قال انما استسقت العرب لقبور
 أحبتها لتخصب أرضها فلا يحتاجوا الى الانتقال عنها لطلب النجعة فى البلاد .
 وقال قاسم بن ثابت فى الدلائل فاهذا كعب يستسقى لعظام الشهداء بموة وليس
 معهم وكذلك قول الآخر

سقى مطفيات المحل جودا وديمة عظام ابن ليلي حيث كان رميمها
 فقوله حيث كان رميمها يدل على أنه ليس مقيا معه وانما استسقاؤهم لاهل القبور
 استرحام لهم لان السقيا رحمة وضدها عذاب)

وكانت العرب تزعم أن المطر يسقى قبر أحد بنى عبد القيس ونسله حكى
 ابن عبد ربه فى كتاب النسب من العقد الفريد أن رباب بن زيد بن عمرو بن
 جابر بن ضبيب كان ممن وحد الله فى الجاهلية وسأل عنه النبى وفد عبد القيس .
 وكان يسقى قبر كل من مات من ولده . وفى ذلك يقول الحجين بن عبد الله
 ومنا الذى بالبعث يعرف نسله اذا مات منهم ميت جيد بالقطر
 رباب وأنى للبرية كلها بمثل رباب حين يخطر بالسمر

وفى المعارف لابن قتيبة (أرباب بن رثاب (٢) هو من عبد القيس من شن .
 وكان على دين عيسى وسمعوا قبل مبعث النبى صلى الله عليه وسلم مناديا ينادى

(١) أى لغدوا فى صباح اليوم التالى على ظهر الارض ولم يصيروا فى بطنها
 مع الاموات (٢) فى السيرة الحلبية نقلا عن ابن قتيبة أن اسمه رباب بن البراء
 (١٣)

خير أهل الارض ثلاثة رثاب الشنى وبحيرا الراهب وآخر لم يأت بعد يريد
النبي صلى الله عليه وسلم . وكان لا يموت أحد من ولد أرباب فيدفن الا رأوا
طشا على قبره (والطش المطر الضعيف

العقر على القبر ونضجه بالدماء - كانوا يعقرون (١) على قبر العظيم أو السيد

الشريف الخليل أو النوق وينضحون القبر بدمائها . وقد ذكر سبب عقرهم الابل
ابن السيد فيما كتبه على كامل المبرد فقال « واختلف في سبب عقرهم الابل على
القبور فقال قوم انما كانوا يفعلون ذلك مكافأة للعت على ما كان يعتز من
الابل في حياته وينجره للاضياف واحتجوا بقول زياد الاعجم

وانضج جوانب قبره بدمائها فاقدر يكون اخادم وذبايح

وقد قال قوم انما كانوا يفعلون ذلك اعظاما للعت كما كانوا يذبحون للاصنام
وقيل انما كانوا يفعلونه لان الابل كانت تأكل عظام الموتى اذا بليت فسكانهم
يثأرون لهم منها . وقيل ان الابل أنفس أمواهم فسكانهم يريدون بذلك انها
قد هانت عليهم لعظم المصيبة « نقل ذلك عنه البغدادى فى خزنة الادب .
والشواهد على عقر الابل والخليل كثيرة من ذلك ما حكاه المبرد فى السكامل
أن رجلا عربياً وقف على قبر النجاشى فترحم وقال : لولا أن القول لا يحيط
بما فيك والوصف يقصر دونك لا طنبت بل لاسهبت ثم عقر ناقته على قبره وقال

عقرت على قبر المجانى نائى بايمن غضب أخته صياقله

على قبر من لو اننى مت قبله لهانت عليه عند قبرى رواحله

وقال حريبة بن الاشيم النقعسى يوصى ابنه بأن يعقر على قبره

اذا مت فادفنى بجداء ما بها سوى الاصرخين أو يفوز راكب

فان انت لم تعقر على مطيتى فلا قام فى مال لك الدهر حالب (٢)

ولا تدفنى فى صوى وادفنى بديمومة تنزو عليها الجنادب (٣)

(١) عقر البعير بالسيف عقر من باب ضرب اذا ضرب قوائمه به لا يطلق

العقر فى غير القوائم وربما قيل عقره اذا نحره كذا فى المصباح (٢) يدعو عليه
بفقد ما يحجب من الشاء والابل اذا لم يعقر مطيته (٣) الصوى جمع صوة بضم

قال ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة « وقد ذكرت في مجموعي المسمى بالعقري الحسان أن أبا عبد الله الحسين بن محمد بن جعفر الخالع رحمه الله ذكر في كتابه في آراء العرب وأديانها هذه الآيات واستشهد بها على ما كانوا يعتمدون في البلية وفلت انه وهم في ذلك وانه ليس في هذه الآيات دلالة على هذا المعنى ولا لها به تعلق وانما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته اما لكي لا يركبها غيره بعده أو على هيئة القربان كالهدي المعقور بمكة أو كما كانوا يعقرون عند القبور . ثم قال ومذهبهم في العقر على القبور مشهور وليس في هذا الشعر ما يدل على مذهبهم في البلية فان ظن ظان أن قوله أو يفوز راكب فيه ايماء الى ذلك فليس الامر كما ظنه ومعنى البيت ادْفنى بفلاة جداء مقطوعة عن الانس ليس بها الا الذئب والغراب أو أن يعتسف راكبها المفازة وهي المهلكة سموها مفازة على طريق الفأل وقيل انها سمي مفازة من فور أي هلك فليس في البيت ذكر البلية ولكن الخالع اخطأ في ايراده في هذا الباب كما اخطأ في هذا الباب أيضا في ايراده قول مالك بن الربيع

وعطل قلوصى في الركاب فانها ستبردا كبادا وتبكي بواكيا
فظن أن ذلك من هذا الباب الذي محن فيه ولم يرد الشاعر ذلك وانما أراد لا تركبوا راحلتي بعدى وعطلوها بحيث لا يشاهدها أعادى وأصادق ذاهبة
جائئة نحت راكبها فيشمت العدو ويساء الصديق

ومن العقر على القبور ما ذكره أبو علي القالي في الامالي قال لما مات عمرو ابن حمزة الدوسي وكان أحد من يتحاكم اليه العرب مر بقبوره ثلاثة نفر من أهل يثرب قادمين من الشام الهدم بن امرئ القيس بن الحارث بن زيد أبو كلثوم ابن الهدم الذي نزل عليه النبي صلى الله عليه وسلم وعتيك بن قيس بن هيشة ابن أمية بن معاوية وحاطب بن قيس بن هيشة الذي كانت بسببه حرب حاطب فمعقروا رواحلهم على قبره وقام الهدم فقال

الصاد وهو ما غلظ وارتفع من الارض و (الديمومة) الفلاة الواسعة
و (نزو) تنب و (الجندب) الجراد جمعه جنادب

لقد ضمت الاثراء منك مرزاً
 حليم اذا ما الحلم كان حزامه
 اذا قلت لم تترك مقالا لقائل
 ليبيك من كانت حياتك عزه
 سقى الارض ذات الطول والعرض مثجماً
 وما بنى سقيا الارض لكن تربة
 وقام عتيك بن قيس فقال :

برغم العلا والجود والمجد والندى
 لقد غال صرف الدهر منك مرزاً
 يضم العفاة الطارقين فناؤه
 ويسرو دجى الهيجا مضاء عزيمة
 وليستهزم الجيش العرمم باسمه
 وينقاد ذو البأو الابى لحكمه
 وبمضى اذا ما الحرب مد رواقه
 فأما تصبنا الحادثات بنسكة
 طواك الردى ياخير حاف وناقل
 نهوضا بأعباء الامور الاثاقل
 كما ضم أم الرأس شعب القبائل (٥)
 كما كشف الصبح أطراق الغياطل (٦)
 وان كان جرارا كثير الصواهل
 فيرتد قسراً وهو جهم الدغاؤل (٧)
 على الروع وارفضت صدور العوامل (٨)
 رمتك بها احدى الدواهي الضآبل (٩)

(١) الاثراء جمع الثرى وهو التراب الندى و (الرزيفة المصيبة كالرزة
 (٢) الحزامه والحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالثقة (٣) الصغر خلاف العظم
 (٤) مثجماً أى سحاب سريع المطر مديمه و (الاحم) الاسود من كل شئ
 و (الرحى) وسط الغيم ومعظمه ووسط الحرب ومعظمها (٥) العافى الرائد
 والوارد والضيف وكل طالب فضل أو رزق و قبائل الرأس) واحده قبيلة
 للقطع المشعوب بعضها الى بعض (٦) يسرو يكشف و (الدجى) الظلمة و (الهيجا)
 الحرب و (اطراق) اطلق الليل ركب بعضه فوق بعض و (الغيطة) الظلمة أو
 اختلاط الاصوات وقال ابن الاعرابى هى التفاف الناس واجتماعهم (٧) البأو
 الفخر و (الدغاؤل) الدواهي (٨) الروع الفزع و (ارفضت) سالت و (عامل)
 الرمح و عاملته صدره (٩) الضآبل الدواهي واحدها ضآبل

فلا تبعدن اب الحتوف موارد
وقام حاطب بن قيس فقال :

سلام على القبر الذى ضم أعظما
سلام عليه كلما ذر شارق
فيا قبر عمرو جاد أرضا تعطف
تضممت جسما طاب حيا وميتا
فلو نطق أرض لقال تراها
الى مرمى قد حل بين ترابه
فلو وألت من سطوة الموت مهجة
فلا يبعدنك الله حيا وميتا
وقد كنت تمضى الحكم غير مهمل
لعمرو الذى حطت اليه على الونا
لقد هدم العلياء موتك جانبا

ومن العقر على القبور فى الجاهلية عقر المنذر الاكبر على قبر عمرو بن مسعود
وخالد بن فضلة الاسديين الابل والخيول وطلاهما بالدماء . وقد بنى على قبرهما
الغريان (٨) روى انهما كانا يفدان على المنذر الاكبر فى كل سنة فيقيم
عنده ويادمانه وكانت اسد وغطقان لا يدينون للملوك ويعفرون عليهم فوفدا
سنة من السنين فقال المنذر لخالد يوما وهم على الشراب يا خالد من ربك فقال

(١) الوائل طالب النجاة (٢) ذر طلع (٣) المثلث السحاب الدائم المطر (٤) والمرزم
الرعد الشديد صوته (٥) المرمى القبر (٦) الضيغم اسمان للاسد
(٧) وألت نجت ويشتم يبغى ويشتم يحرك ويدفع (٨) المهمل المتوقف يقال
حمل عليه فما همل و (الابل) الظلوم و (الغشمشم) الذى يركب رأسه ولا يثنيه
شىء عما يحب ويهوى (٩) الحداير جمع حدبار وهي المنحنية الظهر (والنبي) الشحم
و (المتهم) الذائب (٨) فى القاموس الغرى كغنى البناء الجيد ومنه الغريان بناء ان
مشهوران بالكوفة .

خالد عمرو بن مسعود ربي وربك فامسك عنهما ثم قال لهما ما يمنعكما من
الدخول في طاعتي وان تدنوا مني كما دت تميم وربيعه فقالا أبيت اللعن هذه
البلاد لا تلائم مواشينا ونحن مع هذا قريب منك بهذا الرمل فاداشت
أجبتك فلم انهما لا يدخلان في حكمه فأوحى الى الساقى فسفاهما سما فانصرفا
من عنده بالسكر على خلاف ما كانا ينصرفان فلما كان في بعض الايل أحس
حبیب بن خالد بالامر لما رأى من شدة سكرهما فنادى خالدا فلم يجبه فقام
اليه فحركه فسقط بعض جسده وفعل بعمره مثل ذلك فكان حاله كحال
وأصبح المنذر نادماً على قتلها فغدا عليه حبیب بن خالد فقتل أبيت اللعن
أسعدك الامل نديمك وخيلاك نتابعا في ساعة واحدة فقال له يا حبیب
أعلى الموت تستعدينى وهل ترى الا ابن ميت وأحاميت ثم أمر خفر لهما
قبران بظاهر الكوفة فدفا فيهما ونى عليهما منارتين فهما الغريان وعقر على
قبر كل خمسين فرسا وخمسين بعيراً وغراهما بدمائهما وجعل يوم نادمهما يوم
نعيم ويوم دفنهما يوم يؤس

ومن هذا الباب أيضاً ما حكاه الاصمعياني في الاغانى أن حسان بن ثابت
لما مر بقبر ربيعة بن مكرم قال يعتذر لمدم عقر ناقته على قبره

لا يبعدن ربيعة بن مكرم وسقى الغواذى قبره بذنوب (١)
نقرت فلوصى من حجارة حرة بنيت على طلق اليدبن وهوب
لا تنفري باناق منه فانه شريب خمر مسعر لحروب (٢)
لولا السفار ولعد قفر مهمه لتركتها تحبو على عرقوب (٣)

(١) هذا الشعر نسبته أبو تمام في الحماسة لحفص بن الاحنف الكنانى
وقد مناهنا من تنسب له هذه الابيات أيضاً . و (الذنوب) الدلو العظيمة
وقيل لا تسمى ذنوباً حتى يكون فيها ماء . وقد استعاره للغيث . وربما
جعل الذنوب في الحظ والنصيب (٢) المسعر الذى كانه آلة في أسعار الحرب
(٣) المهمة المفازة . و (الحبو) الزحف قبل القيام وبفعله البعير
المعقول وهو يريد المشى و (العرقوب) من الدابة في رجلها بمنزلة الركبة في

فبلغ شعره بنى كنانة فقالوا والله لو عقرها لسقنا اليه الف ناقة سودا الحدق
ولا عبرة لقول ابن عبد ربه فى العقد الفريد « كان يعقر على قبر ربيعة بن
مكدم فى الجاهلية ولم يعقر على قبر أحد غيره لما قدمناه ومنه ظهر ان العقر
من سنن الجاهلية وعاداتهم المستفيدة ومشابته القران الذى يقدم للاصنام
نهى اليه الصلاة والسلام عنه بقوله لا عقر الاسلام ولتأصل هذه العادة من
نفوس العرب لم يجتنبها بعضهم فى الاسلام وشاهده قول أبى عمر وهانل بن
العلاء الرقى (وعقر فى الجاهلية على قبر ربيعة بن مكدم وفى الاسلام على قبر
المغيرة بن المهلب عقر عليه كعب بن أبى ثور، وقال زياد الاعجم يرثى المغيرة
ابن المهلب بن أبى صخرة

قل للقوافل والغزاة اذا غزوا والباكرين وللمجد الرائع (١)
ان السماحة والمرودة ضحنا قبرا يعمرو على الطريق الواصح
فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الجلال وكل طرف ساج (٢)
وانضج جوانب قبره بدمائها فلقد يكرن اخادم وذبايح (٣)
روى ان زيادا الاعجم أنشد المهلب هذه القصيدة فلما أتى على قوله
فاذا مررت بقبره فاعقر به كوم الجلال وكل طرف ساج
قال له مهلا عقرت عليه يا أبا امامة فرسك قال انى كنت على مقرف ولو
يديها وقوله (تحبو على عرقوب) كناية عن الذبح لان العرب كانوا
يضربون ساق الناقة قبل ذبحها قال أبو طالب
ضرب بنصل السيف سوق سماها اذا عدموا زادا فملك عاقر
(١) روى أبو الحسن والغزى اذا غزوا و (القوافل) جمع قافلة وهي
الرفقة الراجعة من سفرها الى وطنها و (الغزاة) جمع غاز
(٢) عقر البعير اذا ضرب بالسيف قوائمه و (الكوم) بالضم جمع
كوما بالفتح والمد الناقة السمينة و (الجلال) جمع جلدة وهي آدمم الابل
لبنا و (الطرف) بكسر الطاء الاصيل من الخيل و (ساج) جار بقوة و يروى
كل طرف طامح (٣) المضح الرش القليل

كنت على عتيق (١) لفعلت فاستحسن قوله وقال لمن حضره من ولده ومواليه لينفذ كل واحد منكم الى زياد فرساً من خيله فانصرف بمدة افراس ومن ذلك قول الفرزدق يرثى بشر بن مروان ويزعم انه عقر فرسه على قبره من قصيدة أولها

أعني الا تسمداني ألمكما وما بعد بشر من عزاء ولا صبر (٢)
وقل جداء عبرة تسفحانها على انها تشفى الحرارة في الصدر (٣)
ولو أن قرما قاتلوا الموت قبلما بشيء لقاتلت المنية عن بشر
الى أن قال في عقر فرسه

أقول لمحبوك السراة كأنه من الخيل مجنوب الاطاقة والخصر (٤)
أغر صريحاً أبوه وأمه طويل أمرته الجياد على شزر (٥)
أنصهل عندي بعد بشر ولم تذق ذكورة قطاع الضريبة ذى أثر (٦)
غضبت ولم أملك لبشر بصارم على فوس عند الجنازة والقبر (٧)
حانت له لا يتبع الخيل بعدهما صحيح الشوى حتى تكوس من العقر (٨)
أسد شجياً انت ركبته دمه ليوم رهان أو غدوت منى تجري
وقال أبو عبدة دعوى المرزدق أنه عقر فرسه على بشر بن مروان كذب
(وكانوا) يطعمون ما يعقر للفقراء والمساكين
وقد أحسن بعض المحدثين في هذا المعنى فقال

(١) المقرف من الفرس وغيره من أمه عربية لا أبوه والفرس (العتيق)
الكريم (٢) أسعده الله أعانه (٣) الجداء الثواب (٤) محبوك
السراة قوى الظهر (٥) الصريح فرس عبد غوث بن حرب وآخر لبني
نهشل وآخر للخم و(أمرته) قتلته و(الشذر) قتل الجبل عن اليسار والمعنى
ان آباءه أو رثته القوة (٦) المذكر من السيوف ذو الماء و(الضريبة)
حد السيف و(الاثر) فرند السيف وهو ما يرى فيه شبه غبار أو مدب نمل
(٧) الجنازة الميت (٨) الشوى اليدان والرجلان والاطراف (كاس)
البعير مشى على ثلاث قوائم وهو معرّقب

أيها الناعيان من تنعيان وعلى من أراكما تبكيان
 اندبا الماجد الكريم أبا اسحق — اقرب المعروف والاحسان
 واذهباني إن لم يكن لك جماعة — ر إلى جنب قبره فاعقراني
 وانضج من دمي عليه فقد كان دمي من نداه لو تعلمان

العقر للضيافة نيابة عن الميت — كما كانوا يعقرون الابل والخيول عند نزول
 الموت أشعارا بأن أنفس أموالهم هانت عليهم لعظم المصيبة كانوا يعقرون
 عند القبر اذا صروا به نيابة عن الميت في قرى الضيفان قال التبريزي في شرح
 الحماسة عند قول حسان بن ثابت

لولا السفار وبعد قعر مهمه لتركتهما تحبو على عرقوب

كانت العادة في العرب ان الواحد اذا اجتاز بقبر كريم كان مأوى
 للاضيف ينحدر راحلته ويطعمها للناس اذا أعوز الزاد ولم يتسع يفعل ذلك
 نيابة عنه الا أن يمنع مانع من بعد سفر أو ما يجري مجراه فصار هذا
 يعتذر من ابقائه على راحلته وقال في شرح قول جرير يرثي قيس بن ضرار
 ابن القعقاع

وحقّ لقيس أن يباح له الحمى وأن تعقر الوحناء أن خف زادها

كان الواحد منهم اذا مر بقبر رئيس وهر في صحبة أحب أن ينوب عن
 المقبور في الضيافة واذا لم يساعد من الطعام ما يدعو الناس اليه عقر ناقته
 اكراما لذلك قال : وان تعقر الوحناء ان خف زادها — ثم قال وذكر النمرى ما
 يشبه هذا ورد عليه أبو محمد الاعرابي فقال ان قوله وان تعقر الوحناء ان خف
 زادها مثل قول سعيد بن العاص بن أمية يرثي هشام بن المعيرة

ألا هلك المأمول وهو نجيب ومن هو زاد الركب حين يؤوب

فان لم يكن زاد فان قصاره من المفربات صعبة وركوب

ومن العقر على القبر للقري ما ذكره المبرد في الكامل عن لهدم مكاتب لبني
 منقر حين ظلع بمكاتبته فأنى قبر غالب فاستجار به وأخذ منه حصيات فشدهن
 في عمامته ثم أتى الفرزدق فأنشده

بقبر ابن ليلي غالب عذت بعد ما خشيت الردى او ان أُرده على قسر
 بقبر امرئ، تقرى المثين عظامه ولم يك الا غالباً ميت يقرى
 فقال لى استقدم أمامك انما فكاك أن تلقى القرزدق بالمعمر
 قال المبرد يريد بقوله تقرى المثين عظامه انهم كانوا ينحرون الابل عند
 قبور عظمائهم فيطعمون الناس في الحياة وبعد الممات وهذا معروف في أشعارهم
اتخاذ البلية - وقد كان من مذهبهم في الجاهلية اتخاذ البلية وهي ناقة
 تعقل عند قبر صاحبها اذا مات حتى تموت جوعاً وعطشاً
 وذكر البلية مطرود بن كعب الخزاعي من قصيدة يرثي بها المطلب وبني
 عبد مناف جميعاً حين أتاه نعي نوفل بن عبد مناف في قوله
 يا عين فابكى أبا الشعث الشجيات يبكيه حسرا مثل البليات (١)
 يبكيه أكرم من يمشى على قدم يعولنه بدموع بعد عبرات
 وقد بين مذهبهم في ذلك ابن أبي الحديد فقال «والبلية انهم اذا مات منهم كريم
 بلوا ناقة أو بعيره فمكسوا عنقها وأداروا رأسها الى مؤخرها وتركوها في
 حفيرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت وربما أحرقت بعد موتها وربما سلخت
 وملئ جلداه تماماً وكانوا يزعمون أن من مات ولم يبل عليه حشر ماشياً ومن
 كانت له بلية حشر راكباً على بليته » وقد ذكر القلقشندي في صبح
 الاعشى «أن العرب كانت أشد زقة الميت الى قبره ويقبلون رأسها الى ورائها
 ويغطون رأسها بولية وهي البرذعة فاذا أفلتت لم ترد عن ماء ولا مرعى .
 ويزعمون أنهم اذا فعلوا ذلك حشرت معه في المعاد ليركبها » . وقد قال أبو زيد
 في تشبيه رجال بالبلايا

كالبلايا رءوسها في الولايا مانحات السموم خرز الحدود

والولايا البراذع وكانوا يقورون البرذعة ويدخلونها في عنق تلك الناقة
 وقال الشهرستاني كانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس الى مؤخرها مما يلى
 ظهرها أو مما يلى كل كلاها أو بطنها يأخذون ولاية فيشدون وسطها ويقلدون

البليات جمع بلية

عنق الناقة ويتركونها كذلك حتى تموت عند القبر .
ولا يتخذ البلية من لا يؤمن بالبعث . وقال حريبة بن الاشيم الفقمسى
يوصى ابنه بالبلية .

ياسعد أما اهلكن فانى أوصيك ان أأا الوصاة الاقرب
لا تتركن أباك يسعى خلفهم تعباً يخر على اليدين وينكب (١)
واحمل أباك على بعير صالح يوم القيامة ان ذلك أصوب (٢)
ولعل لى مما جمعت مطية فى الحشر أركبها اذا قيل اركبوا
وقال عويمر النبهانى يوصى ابنه أيضا

أبى لا تنس البلية انها لا بيك يوم نشوره مركوب
وقال عمرو بن زيد المتمنى يوصى ابنه عند موته بالبلية .

أبنى زودنى اذا فارقتنى فى القبر راحلة رحل قاتر (٣)
للبعث أركبها اذا قيل اظعنوا (٤) مستوثقين معا لحشر الحاشر
من لا يوافيه على عثراته فالخلق بين مدفع أو عاثر
وقال أبو العلاء المعرى فى رسالة الغفران (وقد كانوا فى الجاهلية يكسمون
ناقة الميت على قبره ويزعمون انه اذا نهض لحشره وحدها قد بعثت له فيركبها
فليتة لا يهض بثقله منكبها وهيهات بل حشروا عراة حفاة)
قولهم للميت لا بعد — كان من عادتهم الدعاء للميت بفولهم لا تبعث
وقد كثرت أشعارهم فى هذا . قال أعشى بأهله من قصيدة فى رثاء المنتشر بن
وهب الباهلى

(١) فى رواية : لا أعرفن أباك يحشر حلفكم . وفى رواية الخطائى

لا تتركن أباك يحشر مرة عدوا يخر على اليدين ويمسك

(٢) رواية . وتق الخطيئة انه هو أصوب (٣) القاتر من الرجال أو

السروج الجيد الوقوع على الظهر أو اللطيف منها الذى يقى الظهر ولا يعقره

(٤) رواية للبعث أركبها اذا قيل اركبوا

فأذهب فلا يبعدنك الله منتشر أما سلكت سبيلا كنت سالكها (١)
 وقالت أم عمرو ترى ربيعة أخاها
 فأذهب فلا يبعدنك الله من رجل لاقى التي كل حى مثلها لاقى
 وقالت الخنساء من رثاء ل أخيها
 أذهب فلا يبعدنك الله من رجل دراك ضيم وطلاب بأوتار
 وقال السموءل

يأليت شعرى حين أئذب هالك ما ذا يؤبذنى به أنواحى
 أيقظن لا تبعد قرب كريهة فرجتها بيسارة وسماح
 وقال مخارق بن شهاب أحد بنى خزاعي بن مالك بن عمرو بن تميم .
 كم شامت بى ان هلكت وقائل لا يبعدن مخارق بن شهاب
 المشتري حسن الثناء بماله والمالي الجففات للاصحاب
 وقد قصدوا بقاء الذكر كما قصد الشنفرى فى قوله وقد قطع يده من أسره
 لا تبعدى اما ذهبت شامه قرب واد نقرت حمامه
 ورب قرن فصلت عظامه

وقال عبد القادر البغدادى فى خزانة الادب ولب لباب لسان العرب عند
 قول الخرنق بنت هفان من قصيدة رثت بها زوجها بشر بن عمرو بن مرثد
 الضبعى وابنها علقمة بن بشر وأخويه حسان وشر حبييل ومن قتل معه من
 قومه فى يوم قلاب

لا يبعدن قومي الدين هم سم العداة وآفة الجزر (٢)

(١) يقال بعد بعدا من باب فرح فرحا اذا هلك (٢) السم سينه
 مثلثة (و) العداة (الاعداء جمع عادٍ و) الآفة (العلة و) الجزر (بضم فسكون
 جمع جزور والاصل بضمين كرسول ورسول فسكن الثانى تخفيفا والجزور هى
 الناقة التى تنحر فان كانت من الغنم فهى جزرة بفتحيتين - وصفتهم (أولا)
 بالشجاعة والنجدة وانهم يقتلون أعداءهم كما يقتلهم السم و (ثانيا) بالكرم
 ونحر الابل للاضياف فكانهم آفة للابل تصيبها فتهلكها

النازليين بكل معترك والطيبون معاقد الازر (١)

وقال ابن السيد في شرح أبيات الجمل فان قيل كيف دعت لقومها بالآهـلكوا وهم قد هلكوا فالجواب ان العرب قد جرت عادتهم باستعمال هذه اللفظة في الدعاء للميت ولهم في ذلك غرضان (احدهما) انهم يريدون به استعظام موت الرجل الجليل . وكأهم لا يصدقون بموته وقد بين هذا المعنى زهير بن أبي سلمى بقوله

يقولون حصن ثم تأبى نفوسهم وكيف بحصن والجبال جنوح
ولم تلفظ الموتى القبور ولم تزل نجوم السماء والاديم صحيح
يريد انهم يقولون مات حصن ثم يستعظمون أن ينطقوا بذلك ويقولون كيف
يجوز أن يموت والجبال لم تنسف والنجوم لم تنكدر والقبور لم تخرج موتاها
وجرم العالم صحيح لم يحدث فيه حادث (الغرض الثاني) انهم يريدون الدعاء
له بأن يبقى ذكره ولا يذهب لان بقاء ذكر الانسان بعد موته بمنزلة حياته
ألا ترى الى قول الشاعر

فائنوا علينا لا أبأ لايبكم بافعالنا ان الثناء هو الخلد

وقال آخر يرثي يزيد بن يزيد الشيباني

فان تك أفنته الليالي فأوشكت فان له ذكرا سيفنى الليالي
وقد بين مالك بن الريب المزني ما في هذا المعنى من المحال فقال من قصيدة
يقولون لا تبعد وهم يدفنوني وأين مكان البعد الا مكانيا
هذا ومن لم يجد في هذا المعنى غناء الضرار السلمي فقال
وكتيبة فرجتها بكتيبة حتى اذا التبتت نفضت بها يدي

(١) تعنى بقولها (النازليين بكل معترك) انهم ينزلون عن الخيل عند ضيق
المعترك فيقاتلون على أقدامهم وفي ذلك الوقت يتداعون نزال وتعنى بقولها
(والطيبون معاقد الازر) انهم اعفاء في فروجهـم لان العرب تكنى بالشيء
عما يحويه أو يشتمل عليه و(المعاقد) اما جمع معقد بكسر القاف وهو موضع
العقد واما جمع معقد بفتح القاف وهو مصدر ميمي قال اللخمي (المعاقد) الحجز

ما كان ينفعى مقال نسائم وقتلت دون رجالهم لا تبعد (١)
ومثله قول الشاعر

يقولون لا تبعدو من يك مسدلا على وجهه ستر من الارض يبعد
وقال قراد بن غوية بن سلمى بن ربيعة بن زبان

ألا ليت شعري ما يقولن مخارق اذا جاب الهام المسيح هامتي (٢)
وذليت في زوراء يسفى ترابها على طويلا في ذراها اقامتي (٣)
وقالوا ألا لا تبعدن اخنياله وصولته اذا القروم تسامت (٤)
وما البعد الا أن يكون مغيبا عن الناس منى نجدتي وقسامتي (٥)

معتقداتهم الدينية

نبدأ هذا الفصل باعتقادهم في الله تعالى فنقول : قد آمن به أصحاب
الاديان السماوية من العرب كما آمن به عدة الاوثان منهم وانما حجوا للاصنام
وقربوا لها القرابين ونذروا لها النذور وعما منهم أنها تشفع لهم عند الله فقالوا
ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى . قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات

والحجزة هي حيث ينشئ طرف الارار في لوث الازار أى طيه و(الازر) جمع
ازار وسكن تخفيفا والاصل ضمها والازار عند العرب ماستر النصف الاسفل
من الانسان والرداء ماستر النصف الاعلى منه والعرب لا تكاد تلبس الا
الازر . ولبس السراويل عندهم نادر . يروى ان اعرابيا مرّ بسر اويل ملقاه
فظنّها قيصا فادخل يديه في ساقيهما وأدخل رأسه فلم يجد منفذا . فقال ما أظن
هذا الا من قص الشياطين (١) في رواية . وقتلت بين (٢) معنى البيت جاب
صداه صداهم على عادتهم فيما كانوا يقولون أن عظام الموتى تصير اصداء وهاما
(٣) أى أرسلت في حفرة معوجه يعنى اللحد و(يسفى ترابها)
أى يهال ترابها على (٤) اختياله أدلاله وتجبره و(القروم) الفحول ويريد
بنسامت القروم تنازلت (٥) القسامة الحسن وروى مكانها لسالى
أى نجدتي وشجاعتي

والارض ليقولن الله . فكان كفرهم بخضوعهم لها الخضوع التام واحترامهم اياها أعظم الاحترام لان الله خص نفسه بغاية التعظيم ولم يرز الوساطة بينه وبين عماده لانه قريب يجيب دعوة الداع اذا دعاه وهو أقرب اليه من حبل الوريد ومن العرب من انكر وجود الله . وحكى الشهرستاني مذهبهم فقال : (وصنف منهم أنكروا الخالق والمبعث والاعادة وقالوا بالطبع المحيى والدهر المفنى وهم الذين اخبر عنهم القرآن المجيد وقالوا ماهى الا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا الا الدهر اشارة الى الطبائع المحسوسة وقصر الحياة والموت على تركها وتحللها فالجامع هو الطبع والمهلك هو الدهر وما يهلكنا الا الدهر وما لهم بذلك من علم ان هم الا يظنون فاستدل عليهم بضرورات فكرية وآيات قرآنية فطرية فى كم آية وكم سورة فقال تعالى : أولم يتفكروا ما بعناهم من جنة ان هو الا نذير مبين أولم ينظروا فى ملكوت السموات والارض . وقال أولم ينظروا الى ما خلق الله . وقال يأيتها الناس اعبدوا ربكم الذى حاقكم فنبئت الدلالة الضرورية من الخلق على الخالق فانه قادر على الكمال ابداء واعادة)

الانبياء والرسل الكرام - قد آمن كل أهل دين سماوى بالانبياء والمرسلين الذين ذكرهم نبيهم أو أخبر عنهم كتابهم . اما الدهريون الذين أنكروا الخالق فأنكروا الانبياء والمرسلين كما أنكرهم عباد الاصنام وقالوا ما لهذا الرسول يأكل الطعام ويمشى فى الاسواق الى قوله ان تتبعون الا رجلا مسحورا قال الشهرستاني (وكان انكارهم لمبعث الرسول فى الصورة البشرية أشد واصرارهم على ذلك أبلغ وأخبر عنهم التنزيل وما منع الناس أن يؤمنوا اذ جاءهم الهدى الا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا أبشر يهدونا فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد أن يأتى ملك من السماء وقالوا لولا أنزل عليه ملك . ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفيع والوسيلة منا الى الله تعالى هم الانصاب المنصوبة اما الاثمة والشرعية من الله الينا فهو المنكر فيعبدون الاصنام (التى هى الوسائل)

البعث والحساب - اختلف اعتقاد العرب في البعث اختلافا كثيرا فكثر عباد الاصنام الذين تقربوا لله بعبادتها أنكروا بعث الاجساد مع اقرارهم بالخالق وابتداء الخلق والابداع - فقالوا (أنذا متنا وكنا ترابا وعظاما ائنا لمبعوثون أو آباؤنا الاولون) وقال تعالى فيهم (وضرب لنا مثلا ونسى خلقه قال من يحيى العظام وهى رميم - وقد استدلل الله تعالى عليهم بالنشأة الاولى لا عترافهم بها فقال (قل يحييها الذى انشأها أول مرة) وقال (أفعيينا بالخلق الاول بل هم فى لبس من خلق جديد) ومن أشعارهم الدالة على انكار البعث قول بعضهم حياة ثم موت ثم لشر حديث خرافة يأثم عمرو وقال شداد بن الاسود الليثى يرثى قتلى بدر من المشركين ويتهم بما أنزل على سيدنا محمد

ألا من مبلغ الرحمن عني بأنى تارك شهر الصيام
إذا ما الرأس زایل منكبيه فقد شبع الانيس من الطعام
أيوعدنا ابن كبشة أن سنجيا وكيف حياة اصداء وهام (١)
أتترك ان ترد الموت عني وتحينى اذا بليت عظامي
ومنهم من كان يؤمن بالله واليوم الآخر وعرض الاعمال يومئذ للحساب بقية
فيهم من الاديان السماوية وقال أعشى قيس فى ذلك
فما أبى على على هيكلى بنهاه وصلب فيه وصارا (٢)
يا روح من صلوات المليك لك طور اسجودا و طور اجوارا (٣)
بأعظم منك تقى فى الحساب اذا النسمات نفضن الغبارا (٤)
وقال حاتم الطائي فى البعث واستنثاره تعالى بعلم الغيب
اما والذى لا يعلم الغيب غيره ويحيى العظام البيض وهى رميم

(١) يريد بان كبشة سيدنا محمد رسول الله (٢) الايبلى الراهب و (الهيكلى) بيت النصرارى فيه صورة مريم وديرهم و (صلب) اتخذ صليبا (٣) الجوار رفع الصوت بالدعاء (٤) النسمة الانسان جمعه نسمات

لقد كنت أطوى البطن والزاديشتهى محافظة من أن يقال لئيم
وقال حاتم أيضا

واني وإن طال الثواء لميت ويعظمنى ماوى بيت مسقف (١)
وإنى لمجزى بما أنا كاسب وكل امرئ كسب بما هو متلف
وقال قس بن ساعدة الايادى فى البعث وكان ممن يعتقد التوحيد
يا بابا كى الموت والاموات فى جدث عليهم من بقايا بزهم خرق
دعهم فإن لهم يوماً يصاح بهم كما ينبه من نوماته الصمق
حتى يحيئوا بحال غير حالهم خلق مضى ثم هذا بعده خلقوا
منهم عراة وموتى فى ثيابهم منها الجديد ومنها الأزرق الخلق
وهو القائل فى وصية له : كلا ورب السكبة ليمودن ما بادر ولئن ذهب
ليعودن يوماً . وقال زيد بن عمرو بن نفيل .

فلن تكون لنفسى منك واقية يوم الحساب اذا ما يجمع البشر
وقال علان بن شهاب التميمى

وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب بأحسن الاعمال

ومن المؤمنين بالبعث عبد الله بن تغلب بن وبرة وعبد المطلب بن هاشم وكان
يقول : انه لن يخرج من الدنيا ظلوم حتى ينتقم الله منه الى أن هلك رجل
ظلوم حتف أنفه لم تصبه عقوبة فليل له فى ذلك ففكر ثم قال والله ان وراء
هذه الدار دارا يحزى فيها المحسن باحسانه والمسيء يعاقب بأساءته . ومنهم
عامر بن الظرب العدوانى حكيم العرب القائل من وصية له : انى مارأيت شيئاً
قط خلق نفسه ولا رأيت موضوعاً الا مصنوعاً ولا جائياً الا ذاهباً ولو كان
يميت الناس الداء لاحياهم الدواء . ثم قال انى أرى أموراً شتى وحتى قيل له
وما حتى . قال : حتى يرجع الميت حياً ويعود ما ليس بشئ شيئاً ولذلك خلقت
السموات والارض فتولوا عنه ذاهبين فقال : ويل أمها نصيحة لو كاذم يقبلها
كتابة الاعمال — اعتقد بعضهم بكتابة الاعمال فى هذه الدار وعرضها

(١) يعظمنى من عظمه عظمة ضرب عظامه وفى رواية : يضطنى

يوم البعث . فهذا زهير بن أبى سلمى كان يمر بالمضاه وقد أوردت بعد ما يبست
فيقول (لولا أن يسبنى العرب لآمنت بأن الذى أحيا الارض بعد يسها
سيحيى العظام وهى رميم) أى لآعلنت هذا المعتقد ثم جهر به فقال :

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينقم
ومعنى البيتين ان الله لا تخفى عليه خافية فلا تضمروا الغدر فيرقه الله
فى كتاب ويؤخر العقاب ليوم الحساب او يعجله فى الدنيا فينتقم من
الغادر .

الايان بالقدر - كانت العرب فى الجاهلية تعتقد ان الله قدر جميع الممكنات
من خير أو شر قبل خلقها . قال الحسن البصرى لم يرل أهل الجاهلية يذكرون
القدر فى خطبهم وأشعارهم . وجاء الاسلام فزاد هذه العقيدة تأكيداً . وعن
سميد بن أبى عروبة قال : سألت قتادة عن القدر . فقال رأى العرب تريدأم
رأى العجم . فقلت رأى العرب . قال فانه لم يكن أحد من العرب الا وهو
يثبت وأنشد

ما كان قطعى هول كل تنوفة الا كتاباً قد خلا مسطورا
ومن الايمان بالقدر قول لبيد بن ربيعة العامرى فى معلقته
فاقنع بما قسم المليك فانما قسم الخلائق بيننا علامها
وقال النابغة :

وليس امرؤ نائلا من هواه شيئا اذا هو لم يكتب
خالق أفعال الانسان - اختلف المتكلمون فى الموجد لأفعال الانسان
الاختيارية فقالت المعتزلة خلقها الانسان وحده وقالت الجبرية بل خلقها الله
وهذا الاختلاف مسبوق بالخلاف فيها عند العرب فى الجاهلية . وتوسط أهل
السنة فقالوا بوجود الجزء الاختيارى للانسان فى أفعاله

وحكى الخشنى أبو عبد الله محمد بن عبد السلام خلافهم فى الجاهلية فقال :
شاعران من فحول الجاهلية ذهب احدهما فى شعره مذهب المدلية والآخر مذهب

الجبرية فالذى ذهب مذهب العدلية أعشى بكر حيث يقول
استأثر الله بالوفاء وبالعد ل وولى الملامة الرجال
والذى ذهب مذهب الجبرية لبید بن ربیعة العامري حيث يقول
ان تقوى ربنا خير نفل وبأذن الله ريث وعجل (١)
من هداه سبل الخير اهتدى ناعم البال ومن شاء أضل
وذكر صاحب الاغانى أن أعشى بكر أخذ مذهبه من أساقفة نجران وكان
يعود في كل سنة الى عبد المدان فيمدحهم ويقيم عندهم يشرب الخمر معهم
وينادهم ويسمع من أساقفة نجران قولهم فكل شيء في شعره من هذا
فمنهم أخذه

التناسخ - هو وصول روح اذا فارق البدن الى جنين قابل للروح .
وافترق القائلون به على فرقتين (الاولى) تميز انتقال الروح لجسد ولو لم يكن
من نوع الجسد الذى فارقه اذ ليس انتقالها الى نوعها أولى من انتقالها الى
غير نوعها . والتناسخ عندهم على سبيل العقاب والثواب فالفاسق تنتقل روحه

(١) النفل محرقة الغنيمة والهبة و (الريث) الابطاء كالريث

قال السيد « ان كان لا طريق الى نسبة الجبر الى مذهب لبید الا هذان
البيتان فليس فيهما دلالة على ذلك . واما قوله . وبأذن الله ريثي والعجل .
فيحتمل ان يريد باذنه علمه كما يتأول عليه قوله تعالى « وما هم بضارين به من
أحد الا باذن الله » أى بعلمه وان قيل فى هذه الآية انه أراد بتخليته وتمكينه .
وان كان لا شاهد لذلك فى اللغة أمكن مثله فى قول لبید . وأما قوله من
هداه سبل الخير فيحتمل أن يكون مصروفا الى بعض الوجوه التى يتأول
عليها الضلال والهدى المذكوران فى القرآن مما يليق بالعدل ولا يقتضى الاجبار
اللهم الا أن يكون مذهب لبید فى الاجبار معروفا بغير هذه الايات فلا
تأول له هذا التأويل بل يحمل مراده على موافقة المعروف من مذهبه «
زاد بعضهم بين بيتي لبید قوله

أحمد الله فلان له بيديه الخير ما شاء فعل

الى أجساد البهائم المسخرة للأعمال الشاقة أو المعدة للذبح أو المرتطمة في
الافذار و (الثانية) تمنع انتقال الروح لجسد يغاير نوع الجسد الذى فارقت
لان النوع الذى أوجب لها طبعها الاشراف عليه والتعلق به لا يجوز ان
تتعلق بغيره والتناسخ مذهب قديم قال به أهل الهند والعرب فى الجاهلية
قال ابن أبى الحديد : وكان من العرب من يعتقد التناسخ وتنقل الارواح
فى الاجساد ومن هؤلاء أرباب الهامة (١)

وقد منا آ نفا عند قولهم للجنائزة كنت فى أهلك ما أنت مرتين عن ابن
حجر انهم كانوا لا يؤمنون بالبعث بل كانوا يعتقدون ان الروح اذا خرجت
تصير طيرا فان كان ذلك من أهل الخير كان روحه من صالح الطير والا فبالعكس
ولقد خالف بعض المسلمين الاجماع فأجاز انتقال الروح لجسد من نوع
الجسد الذى فارقت أو من غير نوعه ومن هؤلاء احمد بن حابط و احمد بن
ناوس تلميذه وأبو مسلم الخراسانى ومحمد بن زكريا الرازى الطيب وهو قول
القرامطة وأكثر جماعة الشيعة وقال رجل من النصيرية

اعجبي امنا لصرف الليالى جعلت اختنا سكينه فاره

فازجرى هذه السنانير عنها وأتركها وما نضم القراره

المسخ - تحويل الصورة الى صورة هى دونها قال الجاحظ قلت لعبيد

الكلابى وكان مشغولا بالابل أبينكم وبين الابل قرابة قال نعم خؤوله فقلت
مسحك الله بعير ا فقال ان الله لا يمسح انسانا على صورة كرم بل لئيم . وينكر
المسخ أكثر الدهرية وأهل الكتاب لم يقرؤا به غير أنهم أجمعوا على أن الله
جعل امرأة لوط حجرا والمسلمون على جوازه لا مكانه ووقوعه قال تعالى (فلما

(١) قال الشهرستانى فى الملل ومن العرب من يعتقد التناسخ فيقول اذا

مات الانسان أو قتل اجتمع دم الدماغ واجزاء بنيته فانتصب طيراهامة فيرجع
الى رأس القبر كل مائة سنة ولهذا أنكر الرسول عليهم فقال لا هامة ولا عدوى
ولا صفر) وانت خبير بأن هذا ليس من التناسخ الذى هو وصول الروح عند
مفارقة البدن لجسم جنين

عتوا عما نهوا عنه . قلنا لهم كونوا قردة خاسئين) أما اعتقاد مسخ شيء معين
فمتوقف على ورود النص

وكانت العرب في الجاهلية تعتقد وقوع المسخ فزعموا أن عشارين مسخ
أحدهما ضبعا والآخر دثباً وزعموا أن سهيلاً كان عشاراً وأن الزهرة كانت
امراًة اسمها اناهيد فسحبا نجمين .

﴿ أحكامهم الدينية ﴾

لا نذكر في هذا الفصل الأحكام الدينية لليهود والنصارى من العرب ولكن
نذكر بعض الأحكام الدينية لمشركيهم وهم الدهماء وتلك الأحكام إما من مجهود
قرائنهم واستحسناتهم ما حسنه عقلهم واستقباحهم ما قبحه أو بقية فيهم من
شريعة إبراهيم وإسماعيل فإن الحنيفية لم تطمس جميع أحكامها بما دخل عليها
من عبادة الأصنام والكواكب وغيرها فقد حرم كثير منهم الزنا لتحريم
شريعة إبراهيم وآياه أو لما فيه من ضرر الاغارة على الاعراض واختلاط الانساب
فن هؤلاء عبد الله بن عبد المطلب والد نبيينا عليه الصلاة والسلام وهو القائل
لما راودته فاطمة بنت مر الخثعمية عن نفسها

أما الحرام فالممات دونه والحل لاهل فأستبيمه
فكيف بالامر الذي تبغينه يحمي الكريم عرضه ودينه
ومنهم الاسلوم اليالي وهو القائل في تحريم الزنا والحرم .

سألت قومي بعد طول مضاضة والسلم أبقى في الامور وأعرف
وتركت شرب الراح وهي أميرة والمومسات وترك ذلك أشرف
وعففت عنه يا أميم تكرمًا وكذلك يفعل ذو الحجا المتعفف
ومنهم عنزة بنى عبس وهو القائل .

ما سمعت أثى نفسها في موطن حتى أوفى مهرها مولها
أغشى فتاة الحى عند حليها وإذا غزا في الحيش لا أغشاها
واغض طرفي ان بدت لي جارتى حتى يوارى جارنى مأواها
وكانوا يرجون في الزنا وبروى أبو هلال العسكري عند قولهم في المثل

(احدى بنات طبق) ان امرأة قالت لزوجها فى سفر احمل لى هذا الكرز
 حملة فلما توسط الثانية وحد بللا على عمقه فقتل به فخرج منه رجل يسمى
 فاستفتى لقمان بن عاد فى شأنها فقال تدفن حية فى كرزها قال أبوحاتم وأظن
 ان أصل رجم المحصنة من هذا وذكر القلقشندى ان أول من رجم فى الزنا
 فى الجاهلية ربيع بن حدان ثم جاء الاسلام بتقريره فى المحصن
 وحرّم كثير من أهل الرأى فيهم الحجر تكريما لانفسهم وصيانتها عن
 معة السكر او اتقاء لضرر الحجر وذكر ان أول من حرّمها الوليد بن المغيرة
 وقيل قيس بن عاصم السعدي وفيها يقول

لعمرك ان الحجر مادمت شارباً لسالبة مالى ومذهبة عقلى
 وتاركتى من الضعاف قواهم ومورثتى حرب الصديق بلا نبل

وحرّمها صفوان بن أمية بن محرز الكنانى وقال وتروى لقيس بن عاصم
 رأيت الحجر صالحة وفيها خصال تفضح الرجل الكريما
 فلا والله أشربها حياتى ولا أشفى بها أبدا سقيما
 ولا أعطى بها نكاحاً حياتى ولا أدعو لها أبدا نديما
 فان الحجر تفضح شاربها وتورثهم بها الامر العظيما
 اذا دبت حمياها نعلت طوالع تسفه الرجل الخليما
 ومنهم مقيس بن صبابة السهمى وذلك انه سكر مرة فجعل يخط ببوله .

ويقول نعامة أو بعير فلما أفاق أخبر بذلك خرمها وقال

رأيت الحجر طيبة وفيها خصال كلها دس ذميم
 ولا والله أشربها حياتى طوال الدهر ما طلع النجوم

ومنهم الاسلوم البالى وعبد المطالب بن هاشم جد النبی عليه السلام وعمه أبو طالب
 وجده قصي بن كلاب وهو القائل لبنية اجتنبوا الحجر فانها تصلح الابدان
 وتفسد الازهار وورقة بن نوفل وشيبة بن ربيعة والوليد بن الوليد وعامر بن
 الظرب العدواني وعبد الله بن جدعان وكان من أجواد قریش وساداتها وسبب
 تحريره الحجر كما قال أبو الزناد انه شرب مع أمية بن أبى الصلت الثقفى فضر به

على عينه فأصبحت عين أمية مخضرة يخاف عليها الذهاب فقال له عبد الله ما بال عينك فسكت فألح عليه فقال له ألت ضاربها بالامس فقال أو بلغ مني الشراب ما أبلغ معه من جليسي هكذا ووداها ديتين عشرة آلاف درهم وقال الحمر على حرام لا أذوقها بعد اليوم أبدا وحرما غفيف بن معد يكرب السكندی عم الاشعث بن قيس وقال

وقائلة هلم الى التصابي فقلت عففت عما تعلمينا
وودعت القداح وقد أراني بها في الدهر مشغوفا رهينا
وحرمت الخمر على حتى أكون بقعر ملحود دفيننا
وقال أيضا

فلا والله لا ألقي وشرباً أنازعهم شراباً ما حييت
أبي لي ذاك إباء كرام وأخوال بعزم ربيت
ومن حرما في الجاهلية وأدرك الاسلام أسد بن كرز وكان يدعي في الجاهلية رب بجيلة وسويد بن عدى بن عمرو بن سلسلة الطائي وهو القائل حين أدرك الاسلام

تركت الشعر واستبدلت منه اذا داعى منادى الصبح قاما
كتاب الله ليس له شريك وودعت المدامة والندامي
وحرمت الخمر وقد أراني بها سدكا وان كانت حراما

وأبو بكر الصديق وعبد الرحمن بن عوف والعباس بن مرداس وقد قيل له حين كبر لو أخذت من الشراب شيئا فانه يزيد في قوتك فقال لا أدخل رأسي شيئا يحول بيني وبين عقلي . وعثمان بن عفان وقيل له مامنعك من شرب الخمر في الجاهلية فقال اني رأيتها تذهب العقل جملة وما رأيت شيئا ذهب جملة ويعود جملة وعدى بن هاشم وقد قيل له مالك لا تشرب الخمر فقال لا أشرب ما يشرب عقلي وقيل له مالك لا تشرب النبيذ فقال معاذ الله أصبح حكيم قومي وأمسى سفيهمهم

ومن بقايا دين ابراهيم فيهم احترام البيت وأعمال الحج والعمرة وحرمة

الاشهر الحرم والغسل من الجنابة وتغسيل الموتى وتكفينهم مما تقدم ذكره
ومن الاحكام الدينية التي ذكرتها مفصلة في كتابي « المرأة العربية في الجاهلية »
حرمة تزوج الامهات والبنات والعمات والخالات وحرمة الجمع بين الاختين
وأول من جمع بينهما أبو احيحة سعيد بن العاص جمع بين هند وصفية ابنتي
المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم وحرمة قربان الحائض والاعتسال من
الحيض والظهار والايلاء والخلع وعدة الوفاة والطلاق والعدة منه وكونه ثلاثا
على التفرقة قال عبد الله بن عباس أول من طلق ثلاثا اسماعيل بن ابراهيم
بثلاث كرات وكانت العرب تفعل ذلك فيطلقها واحدة وهو أحق الناس بها
حتى اذا استوفى الثلاث انقطع السبيل عنها ولقد حرموا السرقة وكانوا
يقطعون يد السارق اليمى وكانت ملوك اليمن وملوك الحيرة تصلب الرجل اذا
قطع الطريق وقدروا الدية في النفس والجوارح وحكموا بأن الخنثى يتبع في
ميراثه المبال وكان طريق الحكم عندهم يمينا أو منافرة الى حاكم يقطع بالبينات
أو جلاء وبرهانا يحل به الحق وتنصح به الدعوى وجاء ذلك في قول زهير
فان الحق مقطعه ثلاث يمين أو نفار أو حلاء

قال بعض الرواة لو أن زهيراً نظر الى رسالة عمر بن الخطاب الى أبي موسى
الاشعري ما زاد على ما قال وكانت اليمين على المدعى . وأول من قال البيعة على
من ادعى واليمين على من أنكر قس بن ساعدة الإيادي . وكانوا يقضون
بالقسامة وهي الايمان تقسم على أهل المحلة في شأن قتيل وجسد في محلتهم لم
يدبر قاتله فيستحلف ولي الدم منهم خمسين رجلاً بالله ما قتلت وما علمت له قاتلاً
وأول قسامة في الجاهلية كانت بحكم أبي طالب وجاء الاسلام فأقر القسامة على
ما كانت عليه في الجاهلية . وكانوا يداومون على طهارات الفطرة العشر التي
ابتلى الله بها ابراهيم وهي خمس في الرأس المضمضة والاستنشاق وقص الشارب
وفرق الشعر والسواك وخمس في الجسد وهي الاستنجاء بالماء وتقليم الاظفار
ونتف الابط وحلق العانة والختان امثالاً لامر ربه . فلما جاء الاسلام أقرها
سنة من سنن الدين ولنيسط الكلام على الختان فنقول

الختان - هو في العرب سنة للنساء والرجال وأول امرأه أختنت هاجر أم
اسماعيل وأول رجل أختنت ابراهيم امثالاً لامرئيه . ولقد حافظت العرب
على سنة الختان حتى أن العربي ليخشى أن يوسم بأنه أغرل (١) وشاهده ما حكاه
ابن هشام في غزوة حنين من انه لما استحر القتل من ثقيف في بني مالك فقتل
منهم سبعون رجلاً منهم عثمان بن عبد الله بن ربيعة وقتل معه غلام نصراني له
أغرل فبينما رجل من الانصار يسلب قتلى ثقيف اذ كشف العبد يسلبه فوجده
أغرل فصاح بأعلى صوته يامعشر العرب يعلم الله ان ثقيفاً غرل قال المغيرة بن
شعبة فأخذت بيده وخشيت أن تذهب عنا في العرب فقلت لا تقل ذلك فذاك
أبى وامى انما هو غلام لنا نصراني . ومنه يعلم أن نصارى العرب كانوا لا يختنون
ومن عاداتهم أن يختنوا الوليد رضيعاً أو صبياً ويتخذون لذلك وليمة يسمونها
الاعذار وحكى أهل السير أن النبي ولد ممدورا (٢) قال الجاحظ في الحيوان
(والختان في العرب في الرجال والنساء من لدن ابراهيم وهاجر الى يومنا هذا
ثم لم يولد صبي مختون قط أو في صورة مختون وناس يزعمون أن النبی وعيسى
ابن مريم عليهما السلام ولدا مختونين والسبيل في مثل هذا الرجوع الى الرواية
الصحيحة) وقد اختلف في ولادة نبينا مختونا على ثلاثة أقوال حكاه ابن القيم
الجوزية في كتابه زاد المعاد (أولها) انه ولد مختونا مسرورا (٣) وقد روى
في ذلك حديث لا يصح ذكره أبو الفرج ابن الجوزي في الموضوعات وليس فيه
حديث ثابت وليس هذا من خواصه فان كثيراً من الناس يولد مختونا والناس
يقولون لمن ولد كذلك ختنه القمر وهذا من خرافاتهم (٤) (ثانيها) انه ختن

(١) الاغرل كالألف ذو الفرلة أو القلفة وهي الجلدة التي تقطع في الختان
(٢) ممدورا أي مختونا يقال عذر الصبي واعذر اذا ختن (٣) مسرورا أي
مقطوع السرة (٤) كانت العرب في الجاهلية تزعم أن الغلام الذي يولد في
القمر يختنه القمر وذلك لان غرلته تنقلص فيصير كالمختون قال ابن أبي الحديد
« ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواص القمر كما أن من خواصه ابلاء
السكران واثنان اللحم وقد روى عن علي بن أبي طالب اذا رأيت الغلام طویل

يوم شق قلبه الملائكة عند ظئره حليلة (ثالثها) ان جده عبد المطلب ختنه يوم سابعه وصنع له مادبة وسماه محمدا « قال أبو عمرو ابن عبد البر وفي هذا الباب حديث غريب مسند الى ابن عباس ومن رجال سنده يحيى بن أيوب القائل قد طلبت هذا الحديث فلم أجده عند أحد من أهل الحديث ممن لقيته الا عند ابن أبي السرى وقد صنف كمال الدين بن طلحة مصنفاً في انه ولد مختوناً وأجلب فيه من الاحاديث التي لا زمام لها فمقضه عليه كمال الدين بن العديم وبين فيه انه ختن على عادة العرب وكان عموم هذه السنة للعرب مغنياً عن نقل معين فيها

✽ الدين الفتشي ✽

يقال له دين الوثن وذى الروح . لان أهله اعتقدوا أن لكل مادة روحاً تحتل الجسم أو تتصل به ولها ساطان على الاجسام الاخرى حتى أن عبید غانة كانوا اذا خرجوا لسفر أقسموا أمام أول كائن يبصرونه انهم يخصونه بأنواع العبادة اذا وفقوا في سفرتهم فعبدوا لذلك الاشجار واغصانها وجزورها وقشورها والجلد والمظم والريش والنباب والمخلب والحافر والسن والظفر والحجر وأنواع الحيوان وآلات الحرب والشمس والقمر وغير ذلك لا اعتبارهم أن لها قوة مؤثرة وقدموا لها القرابين باعتبار الروح التي تتصل بها أو تحتلها واتخذوها تميمة تقيهم عوادي الايام وتدفع عنهم الخطوب . وهذه ديانة كل الامم المتوحشة ويسمى الافرنج هذا الدين فتيش fétichisme وأصلها في اللغة

الغرلة فأقرب به من السؤ د واذا رأيته قصير الغرلة كأنما ختمته القمر فأبعد به « وأنت خبير انه يولد في القمراء كثير ون ومتقاص الغرلة منهم أقل من القليل وكان يصح دعوى جواز الخاصة للقمر لو كان من يولد في القمراء كلهم أو جلهم متقلص الغرلة وانما خاطبهم على رضى الله عنه بحسب ما يعتقدون قال امرؤ القيس لقيصر وقد وجده أقلق حين دخل معه الحمام

انى حلفت يميناً غير كاذبة لانت أغلف الا ما جنى القمر

البرتغالية leico بمعنى السحر لان الملاحين البرتغاليين سموها السحرة من الزنوج . ثم توسعوا فيها فأطلقوها على هذا الدين . ولقد كان اكبار بعض الناس للحكماء الاولين أن اتخذوا لهم الصور والتماثيل اعترافا بفضلهم فيما بذلوا من الارشاد والتهذيب فاتخذ المتأخرون لجهلهم تلك الصور والتماثيل زلفى يعبدونها لتقربهم الى الله ثم آل الامر ببعضهم أن اتخذ تلك الاصنام آلهة خصوصها بأنواع العبادة كما دعتهم أوهامهم الى ذلك

ولشيوع هذا النوع من العبادة في أمم عديدة عبدت الملوك العادلون والعبيد والشجعان والقواد والسمحاء الاجواد ممن بلغ في صفة غاية الكمال ثم زادوا فيه توسعا فعبد كل قوم صنما استحسنوه على صورة انسان أو كوكب أو حيوان أو معدن أو نبات ثم توسعوا في ذلك حتى اختص بعضهم بصنم يعبدده في خلوته دون ذويه وعشيرته

ومعبودات هذا الدين لا تحصر فان من لوازم النفوس البحث عن موحد فتصوروه النافع أو الضار من النبات أو المعدن أو الحيوان أو الكواكب وافترقوا في عبادة ذلك النافع أو الضار بحسب اختلاف النظر الى فرق شتى . فمنهم عباد الثيران . وعباد الشعابين . وعباد الفيلة وعباد القطط وعباد الثوم وعباد شجر الزيتون وعباد الخرنوب وعباد الشمس أو القمر وعباد التماثيل ، وعباد الانسان أو جزء منه أو غير ذلك حتى عبدوا الارواح كالملائكة والشياطين . واعتنق هذا الدين كثير من العرب من قديم الزمان ولم تدل دولة هذا الدين وغيره من الاديان حتى أشرق على العرب نور الاسلام فتبددت بأشعته حجب الاوهام

﴿ عبادة الانسان والحيوان والشجر والملائكة والجن ﴾

من العرب عباد الحيوان أو عبدة الملائكة أو الجن أو الشجر لمعنى تلحظه في المعبود من النفع أو الضرر . فن عبادة الحيوان عبادتهم للجمل وشاهدها ما ذكره السهيلي في قدوم وفد طيئ على رسول الله قال : خرج نمر من طيئ

يريدون النبي عليه السلام بالمدينة وفودا ومعهم زيد الخيل ووزر بن سروس
النبهاني وقبيصة بن الاسود بن عامر بن جوين الجرمي وهو النصراني ومالك
ابن عبد الله بن خيرى بن افلت بن سلسلة وقعين بن خليف الظريفى رجل
من جديلة ثم من بنى بولان فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد ودخلوا فجلسوا
قريبا من النبى صلى الله عليه وسلم حيث يسمعون صوته فلما نظر النبى صلى الله
عليه وسلم اليهم قال ابنى خير لكم من العزى ولاتها ومن الجمل الاسود
الذى تعبدونه من دون الله ومما حازت منا (١) من كل ضار غير نفع ،
ونقل هذا الخبر الاصفهاني فى الاغانى . ومن ذلك ما كان من عمرو بن حبيب
الموصوف بذى الكيود أى كثير الكيد فانه أغار على بنى بكر فأصاب
سقباً (٢) كانوا يعبدونه من دون الله فأراد اغاظتهم فنجره وأكله وفى ذلك
يقول احمد البدوى الشنجيطى عند ذكر محارب وهو أبو قبيلة

وأنسب حبيهم وذا الكيود آكل سقب بكر المعبود

عبادة الانسان — كانوا يعظمون الامراء والرؤساء تعظيم العبادة . وليس
أدل على ذلك من الحج اليهم وتعظيم أما كنهم وآثارهم وقد حجت العرب
عصابة الزرقان بن بدر قال السهيلي « وكان الزرقان يرفع له بيت من عمائم
وثياب وينضح بالزعفران والعليب وكانت بنو تميم تحج ذلك البيت وقد أشار
الزرقان لذلك بقوله من قصيدة

بما ترى الناس تأتينا سراتهم من كل أرض هويا ثم نضطنع (٣)

فننجر الكوم عبطا فى أرومتنا للنازلين اذا ما انزلوا شعبوا

قال البغدادى فى خزنة الادب (وقال أبو محمد الاسود الاعرابي ان بنى سعد
ابن زيد مناة كانوا يحجون عصابة الزرقان اذا استهلوا رجبا فى الجاهلية اجلا لا
له واعظاما لقدره وذكر ذلك ربيعة بن سعد النمري يمدح الزرقان بقوله
كانت تحج بنو سعد عصابته اذا استهلوا على أنصابه رجبا

(١) قال أبو المنذر يعنى بمناع جبل طي (٢) السقب ولد الناقة أو ساعة
يولد أو خاص بالدكر (٣) وفى رواية . من كل أرض هوانا ثم نتبع

سب يزغفره سعد ويعبد في الجاهلية يبتاونه عسبا
والعصابة ما يعصب به الرأس « فأنت ترى الشاعر قد صرح بأن هذا
التمظيم نوع من العبادة في قوله ويعبد في الجاهلية . ولقد هجا الزبرقان بن
بدر المخبل السعدى فقال

ألم تعلمي يا أم عمرة اني تخاطأني ريب الزمان لا كبرا (١)
وأشهد من عوف حلولا كثيرة يحجون سب الزبرقان المرعفرا (٢)

والزبرقان هو حصين بن بدر لقب به لحسن وجهه لان الزبرقان من أسماء
القمر أو لانه كان يز برق عمامته في الحرب أى يصفرها . وكان الزبرقان في وفد
تميم الذين وفدوا على رسول الله فنادوه من وراء الحجرات وقد أسلم وولاه
رسول الله صدقات قومه فأداها في الردة الى أبى بكر فأقره ثم الى عمر وذكر
الكوكبى انه وفد على عبد الملك وقاد اليه خمسة وعشرين فرسا ونسب كل
فرس الى آبائه وأمهاته وحلف على كل فرس منها يمينا غير التى حلف بها
على غيرها فقال عبد الملك : عجبى من اختلاف إيمانه أشد من عجبى بمعرفته
بأنساب الخيل

عبادتهم الملائكة والجن — شاهدها ما ذكره الشهرستانى فى كتابه

(١) تخاطأنى بمعنى تخاطبى وفاتنى و(ريب الزمان) حوادثه و (كبر) فى
السن من باب فرح . يعنى انه كره أن يعيش ويعمر حتى يرى الزبرقان من
الجلالة والعظمة بحيث يحج بنو سعد عصابته (٢) قال البغدادى فى خزانة
الادب قال أبو محمد الاسود (واشهد) بالنصب عطف على لا كبرا و(عوف)
أبو قبيلة وهو عوف بن كعب بن سعد و (الحلول) القوم النزول من حل
بالمكان اذا نزل فيه و (يحجون) يقصدون قال ابن دريد فى الجرة الحج
القصود وأنشد هذا البيت و (السب) بكسر السين المهمة العمامة وكانت
سادات العرب تصبغ العمام بم الزعفران وقال بعض الناس ان الشاعر قصد
بهذا البيت معنى قبيحا وكنى بهذا اللفظ عنه . ويدفعه قوله يزورون فان
الزيارة لا تستعمل فى هذا الا أن يدعى التهمك

الملل والنحل : ان من العرب من يصبوا الى الملائكة فيعبدونهم ومنهم من يعبد الجن ويعتقدون فيهم انهم بنات الله . وقال أبو المنذر « وكانت بنو مليح من خزاعة يعبدون الجن وفيهم نزلت ان الذين تدعون من دون الله عبادةً أمثالكم . وفي شعب الايمان عن مجاهد قال قال كفار قريش الملائكة بنات الله . فقال لهم أبو بكر الصديق فن أمهاتهم قالوا بنات سراة الجن . ولقد رد الله عليهم بقوله « الا انهم من افكهم ليقولون ولد الله وانهم لكاذبون » الى أن قال « وجعلوا بينه وبين الجنة سباً . ولقد عامت الجنة انهم لمحضرون سبحانه الله عما يصفون »

وقد اعتقد بعض العرب في أشخاص من الملائكة والارواح التدبير لاهل الارض فيما دون الامور العظام من اصلاح حال العابد في نفسه وولده وماله وشبههم بحال الشفعاء والندماء . وبعضهم اعتقد أن الله جل جلاله يكتسب من الملائكة علماً ليس عنده قياساً على الملوك بالنسبة للجواسيس . واعتقد العرب أيضاً ان الجن يعلمون الغيب . وانهم قادرون على ايداء الانسان فكانوا يستعيذون بهم اذا ركبوا المفاوز يزعمون انهم اذا استعاذوا بهم دفعوا عنهم كل مكروه حتى قال بعضهم وقد استعاذ بالجنى عظيم الوادى فأكل السبع ولده

قد استعذنا بعظيم الوادى من شر ما فيه من الاعادى

فلم يجرنا من هزبر عادى

وسبوا أكثر الامراض الى الجن وداووها بالتقرب اليها واذا اشترى أحدهم داراً أو استخرج عيناً ذبح للجن ذبيحة لتسعد الدار ولا تنضب العين وأمثال هذه المعتقدات كانت مدعاة لعبادتهم وعن عبد الله بن مسعود في رواية أن نفرأ من العرب كانوا يعبدون نفرأ من الجن فأسلم الجنيون والانس كانوا يعبدونهم ولا يشعرون فأنزل الله تعالى أولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة أيهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه ان عذاب ربك كان محذورا : ولقد رد الله أيضاً على من عبد الملائكة من العرب بقوله

« ويوم نحشرهم جميعاً ثم نقول للملائكة أهؤلاء أياكم كانوا يعبدون . قالوا سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن أكثرهم بهم مؤمنون عبادتهم للأشجار - حكى عبادتهم لها ابن هشام في السيرة عند الكلام على غزوة حنين عن الحارث بن مالك . قال « خرجنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى حنين ونحن حديثو عهد بالجاهلية . فسرنا معه إلى حنين وكانت الكفار قریش ومن سواهم من العرب شجرة عظيمة خضراء يقال لها ذات أنواط (١) يعظمونها ويأتونها كل سنة فيعلقون أسلحتهم عليها ويذبحون عندها ويعكفون عليها يوماً . فرأينا ونحن نسير مع رسول الله سدرة خضراء عظيمة فتنادينا من جنات الطريق يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر قلت والذي نفس محمد بيده كما قال قوم موسى لموسى اجعل لنا الهأ كما لهم آلهة قال انكم قوم تجهلون انما الذين لتركبن سنن من كان قبلكم » وفيها يقول الشاعر

لنا الميمن يكفيننا أعادينا كما رفضنا إليه ذات أنواط

هذا وعبدت العرب العزى وهي كما قال السهيلي « نخلات مجتمعة وكان عمرو بن لحي قد أخبرهم أن الرب يشق بالطائف عند اللات ويصيف بالعزى فعظموها وبنوا لها بيتاً وكانوا يهدون إليه كما يهدون إلى الكعبة »

ومما فعله عمر بن الخطاب مخافة عبادة الشجر قطعه للشجرة التي حصلت تحتها بيعة الرضوان عام الحديبية سنة ست للهجرة فمن نافع قال (كان الناس يأتون الشجرة التي بايع رسول الله صلى الله عليه وسلم تحتها بيعة الرضوان فيصلون عندها فبلغ ذلك عمر فأوعدهم فيها وأمر بها فقطعت . فعل عمر ذلك قطعاً لشأفة الوثنية خشية الفتنة بها وعبادة غير الله تعالى . ولعمر في هذا الباب مواقف مجيدة منها انه عند ما دخل مسجد بيت المقدس استدعى كعب الاحبار فلما أتى به قال له أين ترى أن نجعل المصلى فقال إلى الصخرة فقال

(١) ناطه نوطا علقه والانواط المعاليق سميت بذلك لانهم كانوا يعلقون

بها أسلحتهم

ضاهيت والله اليهودية يا كعب وقد رأيتك وخلعتك نعليك فقال أحبت أن أباشره بقدمي فقال قد رأيتك بل نجعل قبلته صدره كما جعل رسول الله قبلة مساجدنا صدورنا فاذهب إليك فانا لم نؤمر بالصخرة ولكننا أمرنا بالكعبة. ومنها قوله للحجر الاسود لولا اني رأيت رسول الله يقبلك ما قبلتك ولقد أعلم انك حجر لا تضر ولا تنفع

✽ الوثنية في العرب ✽

أول من سجد للأصنام الصابئون . وكانوا كالمجوس يسجدون في مبدأ أمرهم للأجرام السماوية ولما رأوا الشمس تختفي ليلا وسائر الكواكب نهراً وأرادوا التمكن من عبادتها في كل حين مثلوا لها صوراً عبدوها ولذلك كانت أوثان القدماء المشهورة هي المشتري وزحل والمريخ وعطارد وأرطاميس ويونون والزهرة ثم زعموا أن لنفوس الاموات العظماء مدداً الهياً به كانوا عظماء في الحياة فمثلوا لهم صوراً عبدوها واتخذوهم شفعاء عند الله . وأول من فعل ذلك نينوس بن نمرود بن نوح ملك الاشوريين باني مدينة نينوى فانه صنع لانيه تمثالاً سنة ٢٠٥٩ قبل الميلاد وحمل الناس على عبادته وذلك مبدأ عبادة الملوك والامراء والشجعان

وتاريخ دخول الوثنية في بلاد العرب قديم جداً وأول من أدخلها الى مكة وما جاورها عمرو بن لحي سيد خزاعة . وذلك أن جرهما كانوا قد طغوا في الحرم وظلموا واستحلوا منه أمورا عظيمة . فإرسل الله اليهم خزاعة حين أجلاهم سيل العرم من بلادهم فطردوا جرهما منه وقتلوا من قتلوا منهم فشفى ذلك صدور أهل الحرم وفرحوا بانتصار خزاعة على جرهم . وربما ظنوا أن الله قد أرسلهم اليهم ليخلص أهل حرمه من جورهم وكان رئيس خزاعة عمرو بن لحي فتولى سدانة البيت . ودانت له العرب واتخذوه رباً لا يبتدع لهم بدعة الا اتخذوها شرعة . وكان فوق ذلك قد ملكهم بأحسانه فربما نحر في الموسم عشرة آلاف بدنة وكسب عشرة آلاف حلة . وكان يطعم الحجيج السويق فدعاهم لعبادة الاوثان وكانت نفوسهم مستعدة لعبادتها بما كانوا يعظمونه

من حجارة الحرم فأجابوه حكى أبو المنذر عن أبيه وغيره قال « ان اسماعيل ابن ابراهيم صلى الله عليهما وسلم لما سكن مكة وولد له بها أولاد كثير حتى ملؤا مكة ونفوا من كان فيها من العمالق فضاقت عليهم مكة ووقعت بينهم الحروب والمداوات وأخرج بعضهم بعضا فتفسحوا في البلاد والتماس المماش وكان الذى سلخ بهم الى عبادة الاوثان والحجارة انه كان لا يظعن من مكة ظاعن الا أحتمل معه حجرا من حجارة الحرم تعظيما للحرم وصباغة بمكة خيما حلوا وضموه وطافوا به كطوافهم بالكعبة تيمنا منهم بها وحبا لها وهم بعد يعظمون الكعبة ومكة ويحجون ويعتصرون على ارض أبيهم ابراهيم واسماعيل . ثم سلخ ذلك بهم الى أن عبدوا ما استحبوا ونسوا ما كانوا عليه واستبدلوا بدين ابراهيم واسماعيل غيره فعبدوا الاوثان (١) وصاروا الى ما كانت عليه الامم من قبلهم واتجهنوا (٢) ما كان يعبد قوم نوح منها على ارض ما بقى فيهم من ذكرها وفيهم على ذلك بقايا من عهد ابراهيم واسماعيل يتنسكون بها من تعظيم البيت والطواف به والحج والعمرة والوقوف على عرفة ومزدلفة واهداء البدن والاهلال بالحج والعمرة مع ادخالهم فيه مالىس منه . فكان أول من غير دين اسماعيل عليه السلام فنصب الاوثان وسيب السائبة ووصل الوصيلة وبحر البحيرة وحى الحامية عمرو بن ربيعة . وهو لحي ابن حارثة بن عمرو بن عامر الازدى وهو أبو خزاعة . وكان الحارث هو الذى يبلى أمر الكعبة فلما بلغ عمرو بن لحي نازعه فى الولاية وقاتل جُرُهما بينى اسماعيل فظفر بهم واجلاهم عن الكعبة ونفاهم من بلاد مكة وتولى حجابة

(١) لهذا أمر النبي صلى الله عليه وسلم بتسوية القبور وطمس التماثيل ولعن المتخذين على القبور المساجد والسرر ونهى عن الصلاة الى القبور وسأل ربه ألا يجعل قبره وثنا يعبد ونهى أمته أن يتخذوا قبره عيدا وقال اشتد غضب الله على قوم اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد حتى لا تخلف الخلوفا بعد الخلوفا وتنسى ما كان عليه السلف وتتخذ ما تصنع دينا فسدنا للذريعة نهى عن ذلك (٢) اتجهنوا استخرجوا

البيت . ثم انه مرض مرضاً شديداً ففيل له ان باللقاء من الشام حمة (١) ان
أُتيها برأت فأتاها فاستحم بها فبرأ ووجد أهلها يعبدون الاصنام . فقال
ما هذه فقالوا نستسقى بها المطر ونستنصر بها على العدو فساء لهم أن يعطوه منها
ففعلوا فقدم بها مكة ونصبها حول الكعبة (٢) « فانت ترى ان الوثنية كانت
فيهم قبل عمرو بن لحي بما عبدوه من حجارة الحرم في أسفارهم وانما عمرو بن
لحي هو أول من وضع لهم أنواع عبادتها وبين لهم ضروب التقرب اليها من اتخاذ
البحيرة والسائبة والوصيلة والحامي وغير ذلك . وأول من نقل الاصنام الى
الحرم ونصبها حول الكعبة وحمل أهلها على عبادتها ولولاه ما رسخت فيهم
أقدامها ولذلك قال عليه الصلاة والسلام قد عرفت أول من سيب السائبة ونصب
النصب عمرو بن لحي رأيت يوذى أهل النار بريح قصبه (٣) وقال سحنة بن
خلف الجرهمي في اتخاذ عمرو بن لحي للاصنام

يا عمرو انك قد أحدثت آلهة شتى بمكة حول البيت انصبا
وكان للبيت رب واحد أبداً فقد جعلت له في الناس أربابا
لتمرغن بأن الله في مهل سيصطفى دونكم للبيت حجبا
ونظم ذلك أحمد البدوي الشنقيطي في كتابه عمود النسب فقال

قمة قيل جد عمرو بن لحي ذى القصب في حديث أفضل لؤي
أول من حمل أكياس الحرم لكفره على عبادة الصنم
وأدخل اللذين أخرجهما أذا حدثا فسحبا أهلها (٤)

(١) الحمة بفتح الحاء والميم المشددة المفتوحة كل عين فيها ماء حار ينبع
يستشفى بها الاعلاء (٢) حكى أبو المنذر أيضاً أن عمرو بن لحي كان كاهنا
ركان له رئي من الجن يكنى أبا ثمامه فقال له عجل بالسير والظمن من تهامة
بالسعد والسلامة . قال جبر ولا أقامه قال . انت ضف جدة تجد فيها أصناما
معدة . فأوردها تهامة ولا تهب ثم أدع العرب لعبادتها تجب . فأنى شط جده
فاستنارها ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب الى عبادتها قاطبة
(٣) القصب بالضم المعنى جمعه أقصاب (٤) انظر الكلام على أساف صفة ١٣٣

وصلها على الصفا ليتعظ عن الزنا بمكة كل يقظ
ملك أربعين الفا فسمي عن شكرها عيون عشرين جمل (١)
وكاد يعبد فكل ما أمر به من المخملات يعتبر
كالبحر والوصل وكالتسيب والحماية وكل ريب
الى أن قال بعد تفصيل في البحيرة والوصيلة والسائبة والحامى

والعرب قبل متدينونا بمكة الخليل يعملونا
وهو أبو خزاعة واكنم شبهه به النبي منهم (٣)

وقد نص الشهرستاني في الملل أن عمرو بن لحي وضع الاصنام في البيت في
أول ملك سابور ذي الاكتاف وتاريخ دخول الوثنية في الحرم يرجع لتولى
عمرو بن لحي الحرم حين نزوحه مع خزاعة وتغلبه على جرهم عام سيل العرم .
وقد اختلفوا في وقت حدوث ذلك السيل قال حمزة الاصفهاني انه حدث قبل
الاسلام باربعمائة سنة أى في القرن الثالث للميلاد . وقال ابن خلدون أن السد
تهدم في أيام حسان بن تبان أسعد أى في القرن الخامس للميلاد وذكر
ياقوت انه وقع في ملك حبشان ولعلها حسان حرقها النساخ بحبشان فيوافق ابن
خلدون أو المراد بحبشان الاحباش وقد كان ملكهم على اليمن في القرن السادس
(١) في الروض الانف : وذكر أبو الوليد الأزرقي في أخبار مكة أن عمرو
ابن لحي فقاً أعين عشرين بعيراً وكانوا يفتقون عين الفحل اذا بلغت الابل الفا
فاذا بلغت الفين فقوا العين الاخرى قال الراجز

وكان شكر القوم عند المنى كى الصحيحات وفق الاعين

(٢) حكى ابن اسحاق في سيرته أن أبا هريرة قال سمعت رسول الله
يقول لا كنتم من الجون الخزاعي يا أكنم رأيت عمرو بن لحي بن قنعة بن خندف
يجر قصبه في النار . فما رأيت رجلاً أشبهه برجل منك به ولا بك منه . فقال
أكنم عسى أن يضرنى شبهه يا رسول الله قال لا انك مؤمن وهو كافر . انه
كان أول من غير دين اسماعيل فنصب الاوثان وبحر البحيرة وسبب السائبة
ووصل الوصلة وحامى الحامى

وكانت الوثنية في عاد قوم هود وكانت ديارهم بالدو والدهناء وعالج ويبرين ووبار الى عمان وفي نمود قوم صالح وكانت منازلهم بين الشام والحجاز في الحجر وقرح وهي وادي القرى وفي دولة حمورابي وهي الدولة البابلية الاولى من سنة ٢٤٦٠ ق م الى ٢٨١ ق م وفي أثناء هذه الدولة بعث لهم ابراهيم الخليل وقد حكى الله قصة تكسيره الاوثان في قوله « وتالله لا كيدن أصنامكم بعد أن تولوا مدبرين فخلعهم جذاذا الا كبيرا لهم لعلمهم اليه يرجعون » الى آخر الآيات ومعبودات البابليين على ما ذكره جرجي زيدان في كتابه العرب قبل الاسلام كثيرة الشبه في أسمائها وأسماء الذين ينتسبون اليها باقدم الهة العرب في اليمن وغيرها مثل ايل وبل وشمس واشتار وسين وسمدان ونسر ويشع وذكر ايضا أن العرب القحطانيين والعدنانيين يشتركون في عبادة الاصنام الا أن آلهة القحطانيين أهل اليمن أقرب الى معبودات البابليين فعندهم عشتار وايل وبل وغيرها أما العرب الاسماعيليون أو العدنانيون سكان شمال جزيرة العرب فيشتركون في عبادات تختلف عن تلك كالكالات والعزى ومناة وهبل وغيرها وكانت الوثنية في مدين قوم شعيب وكانت منازلهم تجاور أرض معان من أطراف الشام مما يلي الحجاز وكانت الوثنية دين ملوك الحيرة قبل أن يتنصروا ودين أهل اليمن قبل أن يدخل تبع الآخر اليهودية فيهم

✽ أصنام العرب وبيوت عبادتها ✽

قال السهيلي يقال لكل صنم من حجر أو غيره صنم ولا يقال وثن الا لما كان من غير الصخر كالنحاس وغيره وقال أبو المنذر المعمول من خشب أو ذهب أو فضة صورة انسان فهو صنم واذا كان من حجارة فهو وثن وقال غيره الوثن كل ماله جثة معمولا من جواهر الارض أو من الخشب أو الحجارة كصورة الأدمى تعمل وتنصب فتعبد والعنم الصورة بلا جثة ومن العلماء من لم يفرق بينهما وقال اذا كان ما يعبدونه حجرا على غير صورة فهو نصب وان كان تمثالا سمي صنما ووثنا ويقال لبيت الاصنام الذي يتخذ وزين الزونة

وللبيت الذي فيه أصنام وتساوير البد وكان للعرب أصنام عدة وبيوت للعبادة يعظمونها ويجعلون لها سدنة وحجابا ويهدون لها كما يهدون للكعبة ويطوفون بها كطوافهم بها وينحرون عندها وهم يعرفون فضل الكعبة عليها لانهم يعلمون انها من بناء ابراهيم الخليل عليه السلام . ولذا ذكر ماعثنا عليه من ذلك مرتبا على حروف المعجم فنأتى بكل ما جاء منها بكتاب الاصنام لابي المنذر هشام بن محمد السائب بن بشر الشهير بأبن الكلبي وما لم يذكر منها فيه ننبه عليه وقد نعزوه الى مأخذة ونكتفي فيما ذكره احمد بن فارس الشدياق في كتابه الساق على الساق فيما هو الفارياق بقولنا عن احمد فارس وفيما ذكره ابن سيده في المخصص بقولنا عن المخصص وفيما ذكره السيد مرتضى في تاج العروس شرح القاموس بقولنا عن تاج العروس فنقول :

آر - صنم عبدة العرب في الجاهلية (عن تاج العروس)

اساف و نائلة - صنمان عبدهما العرب وكانوا ينحرون ويدبحون عندهما .
حكى ابن المنذر عن أبي صالح عن ابن عباس « ان اساف بن يعلى رجل من جرهم كان يتعشق نائلة بنت زيد من جرهم (١) في أرض اليمن فاقبلا حاجين فدخلوا الكعبة فوجدا غفلة من الناس وخلوة في البيت ففجر بها في البيت فمسخا فأصبحوا فوجدوهما مسخين فأخرجوهما فوضعهما موضعهما ليتعظ الناس بهما فلما طال مكثهما وعبدت الاصنام عبدا معها وكان أحدهما بلسق الكعبة والآخر في موضع زمزم فنقلت قريش الذي كان بلسق الكعبة الى الآخر فعبدهما خزاعة وقريش ومن حج البيت بعد من العرب » وحكى ابن العربي عن ابن اسحاق « ان اسافا و نائلة بعد مسخهما وضع أحدهما على الصفا والآخر على المروة لينزجر الناس عن مثل ما ارتكبا فلم يزل الامر يدرس (١) في سيرة ابن هشام اساف بن بغي و نائلة بنت ديك . وفي الملل للشهرستاني اساف بن عمرو و نائلة بنت سهيل وفي الاغانى جزء ١٣٤ صفحة ١٠٥ عن عثمان بن ساج عن أبي الزناد اساف بن سهيل و نائلة بنت عمرو بن ذئب وقال غيره نائلة بنت ذئب

و يتقادم حتى صار يتمسح بهما من وقف على الصفا والمروة فلما كان عمرو بن لحي أمر بعبادتهما وتعظيمهما والتسح بهما . وقال : انهما كانا معبودين لمن قبلكم فلما كان قصي بن كلاب حولهما من الصفا والمروة فجعل أحدهما ملصقا بالكعبة وجعل الآخر في موضع زمزم وكان يطرح بينهما ما يهدي للكعبة . وكان يسمى ذلك الموضع الحطيم وكان ينجر عندهما ويدبح ولم تكن تدنو منهما امرأة طمئت وفي ذلك يقول بشر بن أبي حازم الاسدي أسد خزيمة

عليه الطير ما يدنون منه مقامات العوارك من اساف

فكان الطائف اذا طاف بالبيت يبدأ باساف ويستلمه فاذا فرغ من طوافه ختم بنائلة فاستلمها فكان كذلك حتى كسرهما رسول الله مع الاصنام يوم فتح مكة « وفي عتبة باب السلام الخارجية أحد أبواب المسجد الحرام حجر عظيم يشبه درجة سلم غير منتظم تطؤه النعال يقول أهل مكة انه اساف ذلك الصنم الاسحيم - صنم عبدته العرب (عن تاج العروس)

الاشهل - صنم وبه سمي عبد الاشهل أبو حي من العرب (عن تاج العروس)

الاقيصر - قال أبو المنذر هو صنم كان لقضاة ولحم وجذام وعاملة وغطفان وكان في مشارف الشام فكانوا يحجونه ويحلقون رؤوسهم عنده فكان كلما حلق رجل منهم رأسه التي مع كل شعرة قرّة من دقيق - والقرّة القبض - فكانت هوازن تنتابهم في ذلك الابان فان أدركا حدهم قبل أن يلتقي القرّة مع الشعر قال : أعطيني فاني من هوازن ضارع وان فاته أخذ ذلك الشعر بما فيه من القمل والدقيق فخبزه وأكله « وفي الاقيصر يقول زهير بن أبي سلمى حلفت بأنصاب الاقيصر جاهدا وما سحقت فيه المقادير والقمل أوال - صنم لبكر وتغلب (عن تاج العروس)

باجر - بالجيم المفتوحة وربما كسرت صنم كان للآزد ومن جاورهم من

طي وقضاة

البجة - صنم عبده العرب (عن تاج العروس)

بس - بيت لغطفان (انظر صفحة ٣٣)

بعل - صنم كان لقوم الياس عليه السلام (عن احمد فارس)

البيعم - صنم (عن تاج العروس)

بلج - صنم (عن تاج العروس)

بوانة - صنم عبده . روى عن أم أيمن أنهم كانوا في الجاهلية يجعلون لهم عيداً عند بوانة وهو صنم لعبده قريش وتعظمه وتنسك أى تذبح له وتحلق عنده وتعكف عليه يوماً الى الليل في كل سنة فكان أبو طالب يحضر مع قومه ويكلم رسول الله أن يحضر ذلك العيد معه فيأبى ذلك . قالت حتى رأيت أبا طالب غضب عليه ورأيت عماته غضبن عليه أشد الغضب وجعلن يقلن انا نخاف عليك مما تصنع من اجتناب آلهتنا وما تريد يا محمد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جماعاً فلم يرالوا به حتى ذهب معهم ثم رجع فزما مرعوباً فقلن ما دهاك فقال : انى أخشى أن يكون بي لمم (جمع) لمة وهى المس من الشيطان فقلن ما كان الله ليبتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك فما الذى رأيت قال انى كلما دنوت من صنم من تلك الاصنام التى عند ذلك الصنم الكبير الذى هو بوانة تمثل لى رجل أبيض يصيح بى وراءك يا محمد لاتمسه قالت أم أيمن فما حاد الى عيدهم حتى تنبأ صلى الله عليه وسلم وتلك احدى ارهاصاته تيم - صنم كانت تعبده بنو تميم في الجاهلية قال أبو عبيدة تيم كلها كانت في الجاهلية يقال لها عبد تيم (عن الاغانى)

الجبهة - صنم كان يعبد في الجاهلية (عن تاج العروس)

جريش - كأمر صنم عبد في الجاهلية واليه نسب عبد جريش والد عبد قيس (عن تاج العروس)

الجلسد - صنم عبد في الجاهلية كما في النخص لابن سيده قال الشاعر

فبات محتاب شقارى كما يقرر من يمشى الى المجلسد (١)

(١) الشُقَارَى شقائق النعمان ويقرر أسرع مطأطأ رأسه

جهاز - صنم كان لهوازن (عن تاج العروس)
 الدار - صنم سمي به عبد الدار بن قصي بن كلاب أبو بطن من العرب
 (عن تاج العروس)

دوار - قال البغدادى فى خزائن الادب « دوار بالفتح صنم كانوا يدورون
 حوله أسابيع كما يطاف بالبيت الحرام قال امرؤ القيس

فمن لنا سرب كان نعاجه عذارى دوار فى ملاء مذيل (١)
 يقول ان هذا القطيع من البقر يلوذ بمضه ببعض ويدور كما تدور
 العذارى حول دوار وهو نسك كانوا فى الجاهلية يدورون حوله . وقال
 العسكرى فى التصحيف ويروى دوار بدال مضمومة ودوار بدال مفتوحة
 وواو مخففة (٢) وهو نسك كان لهم فى الجاهلية يدور حوله « ويطلق الدوار
 على الطواف قال أبو المنذر » وكانت للعرب حجارة غير منصوبة يطوفون
 بها ويعترون عندها يسمونها الانصاب ويسمون الطواف بها الدوار وفى ذلك
 يقول عامر بن الطفيل وأتى غنى بن أعصر يوماً وهم يطوفون بنصب لهم فرأى
 فى فتياتهم جمالا وهن يطفن به فقال :

ألا ياليت اخوالى غنيا عليهم كلما أمسوا دوار
 وقال فى ذلك المنقب العبدى لعمر بن هند

يطيف بنصبهم حجن صفار فقد كادت حواجبههم تشيب (٣)
 ذو الخلصة - بفتحات الخاء المعجمة واللام والصاد المهملة (٤) بيت لخثعم
 كان يدعى الكعبة اليمانية وكان فيه صنم يدعى الخلصة وقيل اسم البيت
 الخلصة واسم الصنم ذو الخلصة . وحكى المبرد ان موضع ذى الخلصة صار
 مسجدا جامعاً لبلدة يقال لها العبلات من أرض خثعم وقال أبو المنذر « ان ذا الخلصة

(١) السرب قطيع من ظباء أو بقر أو شاة أو نساء أو قطا و (الملاء)

بضم الميم جمع ملاءة وهى الملحفة و (المذيل) السابغ (٢) فى القاموس
 الدوار ككتان ويضم صنم ويخفف (٣) حجن صبيان (٤) حكى فيه فتح أوله
 اسكان ثانيه أو ضمه أو ضمهما

كان مروة بيضاء منقوشة عليها كهيئة التاج وكانت بتبالة بين مكة واليمن مسيرة سبع ليال من مكة وكان سدنتها بنو امامة من باهلة بن أعصر وكانت تعظمها وتهدى لها خثعم وبجيلة وازد السراة ومن قاربهم من بطون العرب من هوزان ومن كان ببلاذهم من العرب بتبالة وفيها يقول خداس بن زهير العامري لعنث (١) بن وحشى فى عهد كان بينهم فغدر بهم

وذكرته بالله بنى وبينه وما بيننا من مدة (٢) لو تذكرنا

والمروة البيضاء يوم تبالة ومحبة السعمان حيث تنصرا

فلما فتح رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة وأسلمت العرب ووفدت عليه وفودها قدم عليه حرير بن عبد الله مساماً فقال له يا جرير ألا تسكنينى ذا الخاصة فقال بلى فوجهه اليه فخرج حتى أتى بنى أحمر من بجيلة فسار بهم اليه فقاتلته خثعم وباهلة دونه فقتل من سدنته من باهلة يومئذ مائة رجل وأكثرت القتل فى خثعم وقتل مائتين من بنى جحافة بن عامر بن خثعم فظفر بهم وهزمهم وهدم بنيان ذى الخاصة وأضرم فيه النار فاحترق. وذو الخاصة اليوم عتبة باب مسجد تبالة وبلغنا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا تذهب الدنيا حتى تصطك أليات نساء دوس على ذى الخاصة يعبدونه كما كانوا يعبدونه» وكان يحج اليه ويهدى له روى العباس أحمد بن يحيى ثعلب أن المنتشر بن وهب الباهلى خرج يريد حج ذى الخاصة ومعه غلظة من قومه وكان بنو نفيل بن عمرو بن كلاب أعداء له فلما رأوا مخرجه وعورته وما يطلبه به بنو الحارث ابن كعب وطريقه عليهم وكان من حج ذى الخاصة اهدى له هدياً يتحرم به ممن إقبه فلم يكن مع المنتشر هدى فسار وانذر بنو نفيل بالمنتشر بى الحارث بن كعب وأراد قتالهم فأمنوه وكان قد أسر رجلاً منهم يقال له هند بن أسماء ابن زبئاع فسأله ان يهدى نفسه فأبى عليه فقطع أنمله ثم أبطأ فقطع منه أخرى وقد آمنه القوم ووضع سلاحه فقال أنؤمنون مقطعا والهى لا أومنة ثم قتل فرثاه أخوه لأمه اعشى باهلة بقصيدته التى يقول فى مطلعها

(١) خزانة الادب للبغدادى لعقبة (٢) رواية خزانة الادب من هذه

انى أتتى لسان لا أسر بها من علولا عجب منها ولا سخر (١)
الى أن قال

أصبت فى حرم منا أختة هند بن أسماء لا يهنى لك الظفر
خاطب قاتل المنتشر بقوله أصبت منا أختة فى حرم وهو حرم ذى الخلفة
وروى البخارى بسنده عن جرير قال كان بيت فى الجاهلية يقال له ذو
الخلصة والكعبة اليمانية والكعبة الشامية فقال لى النبى صلى الله عليه وسلم
ألا تريحنى من ذى الخلفة فنفرت فى مائة وخمسين راكبا فكسرناه واستشكله
بعض المحدثين بان معناه كان يقال الكعبة اليمانية والشامية يعنون بالشامية
البيت الحرام فزيادة له سهو وباسقاطه يصح المعنى واجاب عنه السهيلي بان
الحديث فى جامع البخارى بزيادة له كما فى صحيح مسلم وليست له بمزيدة
سهاوا اذ المعنى كان يقال له أى يقال من أجله الكعبة الشامية للكعبة
وهو الكعبة اليمانية وله معنى من أجله لا تنكر كما قال ابن أبى ربيعة
وقير من آخر الليل قد لا ح له قالت القتاتان قوما

ذو الشرى — صنم كان لبني الحارث بن يشكر بن مبشر من الازد
ذو الكعبات — بيت كان لربيعة كانوا يطوفون به كما فى تاج العروس
وكان بسداد وفيه يقول أعشى بن قيس بن ثعلبة

بين الخورق والسدير وبارق والبيت ذى الشروات من سداد
ذو الكفين — صنم كان لبني منهج بن دوس فلما أسلموا بعث النبى عليه
الصلاة والسلام الطفيل بن عمرو الدوسى فجعل يلقي النار فى وجهه ويحرقه ويقول
يا ذا الكفين لست من عبادك ميلادنا أكبر من ميلادك

انى حشوت النار فى فؤادك

الربة — اللات وكعبة كانت بنجران لمذحج وبني الحارث بن كعب (عن
تاج العروس)

(١) اللسان الرسالة واراد بها نعى المنتشر و (سخر) بضمسين أى اتانى
رسالة من أعلى نجد لا أعجب منها وان كانت عظيمة لان مصائب الدنيا كثيرة

رضاء - بيت لبني ربيعة بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم ولها يقول
المستوغر بن ربيعة بن كعب حين هدمها في الاسلام

ولقد شدت على رضاء شدة فتركها فقرا بقاع اسحما
وأعان عبد الله في مكروها وبمثل عبد الله أغشى المحرما
رئام - هو بيت كان بصنعاء للحمير وأهل اليمن يعظمونه وينحرون عنده
ويكلمون منه فيما يذكرون فلما انصرف تبع من مسيره الذي سار فيه الى
العراق قدم معه الخبران اللذان صحباه من المدينة فأمرهم بهدم رئام وقالا
انما هو شيطان يفتنهم فخل بيننا وبينه قال شأنكما فنشر التوراة وجعلا
يقرآنها وهدماه . قال ابن اسحاق فبقاياها اليوم كما ذكر لي بها آثار الدماء التي
كانت تهراق عليه

السجة - صنم كافي القاموس

سعد - قال أبو المنذر هو صنم كان لبني مالك وملك كان ابني كنانة ومكانه
بساحل جدة وتلك الناحية وكان سعد صخرة طويلة فأقبل رجل من بني
ملككان بأبل له ليقفها عليه ابتغاء بركته فلما أدناها منه ورأته وكان يهراق
عليه الدماء نفرت منه فذهبت في كل وجه فغضب ربهما فتناول حجرا فرماه
به وقال لا بارك الله فيك الها أنفرت على ابلي ثم خرج في طلبها حتى جمعها
ثم انصرف وهو يقول

اتينا الى سعد ليجمع شملنا فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد الا صخرة بتنوفة من الارض لا يدعولني ولا رشد

سعد - صنم أيضا كان لمذحج (عن احمد فارس)

سعد - صنم أيضا كانت تعبد هذيل (عن المخصص)

السعيدة - بيت بني مجبل أحد كانت تحجر ربيعة في الجاهلية (عن المخصص)

سكير - بصيغة التصغير صنم كان لعنزة قال ابو المنذر خرج جعفر بن أبي

خلاص السكابي على ناقته فر به وقد عترت غزاة عنده فنفرت ناقته منه

فأنشأ يقول

نفرت قلوصى من عتائر صرعت حول السعير يزوره ابنا يقدم (١)
 وجوع يذكّر مهطعين جنا به ما انت يحير اليهم بتكلم
 سواع — قال ابوالمنذر وكان أول من اتخذ تلك الاصنام من ولد اسماعيل
 وغيرهم وسموها باسمائها على ما بقى فيهم من ذكرها حين فارقوا دين اسماعيل
 هذيل بن مدركة (٢) اتخذوا سواعا وذلك ان عمرو بن لحي دفع للحارث
 ابن تميم بن سعد بن هذيل بن مدركة بن الياس بن مضر سواعا فكان لهم
 (١) يقدم ويذكر ابنا عنزة رأى الشاعر بنى هؤلاء يطوفون حول السعير
 (٢) مقتضاه ان ودا وسواعا ويعوث ويعوق ونسرا هي غير ما عبده
 قوم نوح بل مطابقة لها في الاسم وفي المستطرف انها اصنام قوم نوح لقوله
 واما يعوث ويعوق ونسر . فقليل انهم كانوا اولاد آدم عليه السلام وكانوا
 اتقياء عبادا فمات أحدهم فحزنوا عليه حزنا شديدا فأرادوا أن يصوروا صورته
 ليدكروه اذا نظروه فصوروه من صفر ونحاس وجعلوه في مؤخر المسجد
 كراهة ان يكون في قبلته ثم مات آخر ففعلوا به ذلك الى أن ماتوا كلهم فصوروهم
 هناك وأقام من بعدهم على ذلك الى أن تركوا الدين وعبدوها الى أن بعث الله
 نوحا عليه السلام فنهأهم عن عبادتها . ولما عم الطوفان الارض طمها وعلاعليها
 التراب زمنا طويلا ثم أخرجها مشركو العرب فعبدوها . وذكر الواحدى
 فى الوسيط ان هذه أسماء قوم صالحين كانوا بين آدم ونوح عليهما السلام
 فسول الشيطان لقومهم بعد موتهم أن يصوروا صورهم ليكون أنشط لهم
 وأشوق للعبادة كلما رأوهم ففعلوا ثم نشأ بعدهم جهال بالاحوال فحسن لهم
 عبادتها فعبدوها ومقتضاه أن تكون هذه الاصنام تماثيل أنسانية لكن
 نقل الواقدي ان ودا كان على صورة رجل وسواعا على صورة امرأة ويعوث
 على صورة أسد ويعوق على صورة فرس ونسرا على صورة نسر وهذا
 يصحح ما ذكره أبو المنذر وابن اسحق من أن الاصنام المذكورة ليست هي
 الاصنام التي عبدها قوم نوح وانما سميت باسمائها

برهاطٍ من أرض يَنْبُجٍ يعبدُه من يليه من مضر بن نزار وكانت سَدَنَتُه
بنى لحيان وكانوا يحجون اليه وينحرون عنده ويعكفون عليه وفي ذلك
يقول الشاعر

تراهم حول قبلتهم عكوا كما عكفت هذيل على سواع

تظل جما به صرعى لديه عتائر من ذخائر كل راع

وقد بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم لهدمه عمرو بن العاص قال عمرو
فلم انتهيت اليه وعنده السادن فقال ما تريد فقلت أمرني رسول الله أن أهدمه
قال لا تقدر على ذلك قلت لم قال تمنع فقلت وبحك وهل يسمع أو يبصر قال
فدنوت منه فكسرتة ثم قلت للسادن كيف رأيت قال أسلمت لله

الشارق - صنم كانت تعبدُه هذيل وبه سمى عبد الشارق (عن تاج العروس)

شمس - صنم قديم كان في الجاهلية وبه سمى عبد شمس وهو بطن من
قريش وأول من تسمى به سبأ بن يشجب (عن تاج العروس)

ضمار (١) - صنم عبده العباس بن مرداس ورهطه (سيرة ابن هشام)

الضينرن - صنم كان يعبد من دون الله في الجاهلية (عن المخصص)

الضيزان - صنم كانا للمنذر الأكبر كان اتخذهما بباب الحيرة ليسجد

لهما من دخل الحيرة امتحانا للطاعة (عن المخصص)

عائم - بالهمز صنم كان لازد السراة وأقسم زيد الخير به فقال

تخبر من لا قيت ان قد هزمتهم ولم تدر ما سبهم لاوعائم

عبدة مرحب - صنم كان بحضر موت

عمععب - بالعين المهملة ويقال بالمعجمة صنم كانت قضاة تعبدُه (عن المخصص)

العزى - صنم عبده العرب واتخذ عليه بيت قال ابو المنذر (وهى

(١) قال السهيلي ضمار بكسر الراء مثل حذام ورقاش ولا يكون مثل

هذا البناء الا فى أسماء المؤنث وكانوا يجعلون آلهتهم اناثا كاللات والعزى ومناة

لاعتقادهم الخبيث فى الملائكة انها بنات

أحدث من اللات ومناة وذلك انى سمعت العرب سمت هما قبل العزى فوجدت تميم بن مر سمي ابنه زيد مناة بن تميم بن مر بن اد بن طابخة وعبدمناة ابن اد وباسم اللات سمي ثعلبة بن عكابة ابنه تيم اللات وتيم اللات بن ربيعة ابن ثور وزيد اللات بن ربيعة بن ثور بن وبرة بن مر بن اد بن طابخة وتيم اللات بن النمر بن قاسط وعبد العزى بن كعب بن سعد بن زيد مناة بن تميم فهى أحدث من الاوليين . وعبد العزى بن كعب من أقدم ما سمت به العرب وكان الذى اتخذ العزى ظالم بن أسعد (١) وكانت بواد من نخلة الشامية يقال له حراض بازاء الغمير عن يمين المصعد الى العراق من مكة وذلك فوق ذات عرق الى البستان بتسعة أميال فبنى عليها بيتا وكانوا يسمعون فيه الصوت وكانت العرب وقريش تسمى بها وكانت أعظم الاصنام عند قريش وكانوا يزورونها ويتقربون عندها بالذبائح وكانت قريش قد حمت لها شعبا من وادى حراض يقال له سقام يضاهون به حرم الكعبة فذاك قول ابى جندب الهذلى فى حلف امرأة كان يهواها بها

لقد حلفت جهدا يمينا غليظة بفرع اتى أحمت فروع سقام
وكان لها منحرج ينحرف فيه هداياها يقال له الغنغب (٢) وفيه يقول
نهيكة الفزارى لعامر بن الطفيل

يا عام لو قدرت عليك رماحنا والراقصات الى منى فالغنغب
وكانت قريش تخصها بالاعظام فلذلك يقول زيد بن عمرو بن نفيل وكان
قد تأله فى الجاهلية وترك عبادتها وعبادة غيرها من الاصنام
تركت اللات والعزى جميعا كذلك يفعل الرجل الصبور
فلا العزى ادين ولا ابنتيها (٣) ولا صنمى بنى غنم أزور
ولا هبلأ أزور وكان ربا لنا فى الدهر اذ حلمى صغير

(١) ننقل عن ابن العربى عند الكلام على اللات ان اول من دعا لعبادة
العزى عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب (٢) قال السهيلي الغنغب هو المنحرج
ومراق الدم كأنه سمي بحكاية صوت الدم عند انبعائه (٣) رواية ولا ابتغيها

وكان سدنة العزى بنو شيبان بن جابر بن مرة من بني سليم وكان آخر من سدنها منهم ديبة بن حرمي السلمي . فلم تزل العزى كذلك حتى بعث الله نبيه فعابها وغيرها من الاصنام ونهاهم عن عبادتها ونزل القرآن فيها فاشتد ذلك على قريش ومرض أبو أحيحة مرضه الذي مات فيه فدخل عليه أبو لهب يعوده فوجده يبكي فقال ما يبكيك يا أبا أحيحة أمن الموت تبكي ولا بد منه قال لا ولكنني أخاف ألا تعبد العزى بعدي قال أبو لهب والله ما عبدت حياتك لاجلك ولا تترك عبادتها بعدك لموتك فقال أبو أحيحة الآن علمت ان لي خليفة . وأعجبه شدة نصبه في عبادتها فلما كان يوم الفتح دعا النبي خالد بن الوليد فقال انطلق الى شجرة ببطن نخلة فاعضدها فانطلق فقتل ديبة سادنها (وذكر ابن هشام انها كانت بيتا يعظمه هذا الحى من قريش وكنانة ومضر فلما علم سادنها السلمي بمسير خالد اليها علق عليها سيفه وأسند في الجبل الذي هي فيه وهو يقول

يا عاز شدى شدة لا توى بها (١) على خالد القى القناع وشمرى
فانك الا تقتلى اليوم خالدا فبؤئى بذل عاجلا وتنصرى
فلما انتهى اليها خالد هدمها وقال بعضهم ان خالدا حمل على العزى وهو يقول

يا عاز كفرانك لا سبجانك انى رأيت الله قد أهانك
ثم قتل ديبة السادن وقطع الشجرة وكان من سدنتها أفلح بن النضر السلمي من بني سليم حكى سعيد بن عمرو الهذلي ان أفلح سادنها لما حضرته الوفاة دخل عليه أبو لهب يعوده وهو حزين فقال مالى أراك حزينا قال أخاف ان تضع العزى بعدي فقال له لا تحزن فاني أقوم عليها بعدك . فجعل أبو لهب يقول لكل من لقي أن تظهر العزى كنت قد أخذت عندها يدا وان يظهر محمد على العزى وما أراه يظهر فابن أخى فانزل الله تعالى (تبت يدا أبا لهب) وروى ابن العربي من حديث أبي الوليد ان سدنة العزى بنو شيبان بن سليم حلفاء (١) رواه خزائن الادب : عزى شدى شدة لا تكذبني .

بنى هاشم . وكانت قريش وبنو كنانة وخزاعة وجميع مضر تعظمها فإذا فرغوا من حجهم وطوافهم بالكعبة لم يحلوا حتى يأتوا العزى فيطوفون بها ويحلون عندها ويعكفون عندها يوما وقال أبو المنذر (ولم تكن قريش بمكة ومن أقام بها من العرب يعظمون شيئا من الاصنام اعظامهم العزى ثم اللات ثم مناة فاما العزى فكانت تخصها دون غيرها بالزيارة والهدية وذلك فيما أضل لقرنها منها . وكانت ثقيف تخص اللات كخاصة قريش العرى وكانت الاوس والخزرج تخص مناة كخاصة هؤلاء الآخرين وكلهم كان معظما للعزى ولم يكونوا يرون في الحجة الاصنام التي دفعها عمرو بن لحي وهي التي ذكرها الله تعالى في القرآن المجيد حيث قال (ولا تدرون ودا ولا سواعا ولا يغوث ولا يعقوق وسرا) كرايمهم في هذه ولا قريبا من ذلك فظننت ان ذلك كان لبعدها منهم وكانت قريش تعظمها وكانت غنى وباهلة يعبدونها معهم » وروى ابن العربي بسنده عن ابن عباس ان خالد بن الوليد بعد أن هدم العزى رحع الى رسول الله . وقال الحمد لله الذي أكرمنا بك يا رسول الله وأقصدنا من الهلكة لقد كنت أرى أبي يأتي العرى بخير ماله من الابل والغنم فيذبحها للعزى ويقيم عندها ثلاثا ثم ينصرف اليها مسرورا فنظرت الى مامات أبي عليه والى ذلك الرأى الذي كان يعيش في فضله حتى يذبح لما لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع . فقال رسول الله ان هذا الامر الى الله فمن يسره للهدى تيسر له ومن يسره للضلالة كان لها . وكان هدمها لخمس ليال بقين من رمضان سنة ثمان وجاء حسان بن ثابت الانصارى الى رسول الله وهو في المسجد فقال يا رسول الله ائذن لي أقول فاني لا أقول الا حقا فقال قل فانشأ يقول

شهدت بأذن الله ان محمدا رسول الذي فوق السموات من عل

فقال النبي صلى الله عليه وسلم وأنا أشهد فقال حسان

وان ابايحي ويحيي كليهما له عمل في دينه متقبل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان الذى عادى اليهود ابن مريم رسول أتى من عند ذى العرش مرسل
فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان أخا الاحقاف اذ يعذلونہ يجاهد فى ذات الاله ويعدل

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد فقال حسان

وان التى بالجزع من بطن نخلة ومن دانهما فل عن الحق معزل (١)

فقال عليه الصلاة والسلام وأنا أشهد قال سفيان يعنى العزى

عميانس (٢) — قال أبو المنذر وكان خلوان صنم يقال له (عميانس)

بارض خولان يقسمون له من أنعامهم وحروثهم قسما ببنه وبين الله تعالى بزعمهم
فما دخل فى حق الله تعالى من حق عميانس ردوه عليه وما دخل فى حق الصنم
من حق الله الذى سموه له تركوه . ووهم اليعمرى فى عيون الاثر وابن هشام فى
سيرته فسمياه « عم انس » وقد تبعهما احد البدوى الشنقيطى فى كتابه عمود

الذنب فقال بعد ذكر خولان

أضاهم صنمهم عم أنس كانوا اذا ما الغيث عنهم احتبس

توسلوا اليه بالذبايح فامطروا وأعظم القبائح

ان جعلوا له ولله نصيب من ما لهم وان تغيب النصيب

أعطى للصنم حظ الله وحظه لم يعط للاله

ومن حديث هذا الصنم أن النبى عليه السلام قال خلوان ما أعظم ما رأيتم
من فتنته قالوا له يا رسول الله لقد رأيتمنا وقد اسنتنا حتى أكلنا الرمة وهلك
ثاغيتنا وراغيتنا وحافرنا فقلنا قربوا لعميانس قرباناً يشفع لكم فتغاثوا فتعاونا
فجمعنا ما قدرنا عليه من عين مالنا ثم ذهب داهبنا فابتاع مائة نورثم حشرها
عائنا فنحرقناها فى غداة واحدة وتركناها للسباع ونحن أحوج اليها من
السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا . فأى فتنه أعظم من هذه فلقد رأيتمنا الغيث
يوارى الرجال ويقول قائلنا أنعم علينا عميانس وسأئوه عليه السلام عما قسموا

(١) قال هشام الفل من الارض المجذبة التى لاخير فيها ولا ركة فشبهها بذلك

(٢) فى القاموس عميانس بالضم والياء المثناة تحت بعدها الف ونون صنم خلوان

له من ماله فذكر لهم ان الله أنزل عليه في ذلك « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله . وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون » وفي سيرة ابن هشام عن ابن اسحاق ان ذلك الصنم كان لبطن من خولان يقال لهم الاديم . عوص — ذكر ابن هشام ان ابن السكبي لم يذكره في كتاب الاصنام وقال عوض اسم صنم كان لبكر بن وائل وفيه يقول رشيد بن رميض بالتصغير فيهما العزى

حلفت بمائرات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير

حلف بالانصاب التي حول السعير وبالدماء الجاريات حوله وكانوا يذبحون للاصنام (عن البغدادى فى خزنة الادب)
العوف — صنم (عن القاموس)

غبغب — انظر ععب

غمدان — بيت غمدان بناه الضحاك بمدينة صنعاء اليمن على اسم الزهرة وخر به عثمان ذو النورين (عن الملل والنحل للشهرستانى)
الملس — قال أبو المنذر . وكان لطى صنم يقال للفلس وكان انفاً أحر فى وسط حبلهم الذى يقال له أجأ اسود كانه تمثال انسان . وكانوا يعبدونه ويهدون اليه ويعترون عنده عتائرهم ولا يأتية خائف الا أمن عنده ولا ينطرد أحد طريدة فيلجأ بها اليه الا تركت له ولم تخفر حويته (١) وكانت سدنته بنو بولازوهو الذى بدأ بعبادته فكان آخر من سدنه منهم رجل يقال له صيفى فأطرد ناقة خلية (٢) لامرأة من كاب من بنى عليم وكانت جارة لمالك ابن كلثوم الشمجى وكان شريفاً فانطلق بها حتى وقفها بقضاء الفلس . وخرجت جارة مالك فاخبرته بذهابه بناقتها فركب فرساً عربياً وأخذ رحله وخرج فى (١) الحوية كغنية استدارة كل شئ — والمعنى ان ماصار فى حرمة يترك له (٢) الخلية من معانيها الناقة التى تنتج وهى غزيرة فيجر ولدها من تحتها فيجعل تحت أخرى وتخلى هى للحلب

أثره فأدركه وهو عند الفيلس والناقاة موقوفة عند الفيلس فقال له خل سبيل ناقاة جارتى . فقال انها لربك . قال : خل سبيلها فالأتخفر الهك فبوا له الرمح (١) خل عقالها وانصرف بها مالك وأقبل السادن على الفيلس ونظر الى مالك ورفع يده وقال وهو يشير بيده اليه

- يارب ان مالك بن كلثوم أخفرك اليوم بنابءكوم (٢)

وكننت قبل اليوم غير مغشوم

يخرضه عليه وعدى بن حاتم يومئذ قد عثر عنده وجلس هو ونفر معه يتحدثون بما صنع مالك وفزع لذلك عدى بن حاتم وقال انظروا ما يصيبه في يومه هذا فضمت له أيام لم يصبه شئ فرفض عدى عبادته وعبادة الاصنام وتنصر فلم يزل متنصرا حتى جاء الله بالاسلام فاسلم فكان مالك أول من أخفره فكان بعد ذلك السادن اذا أطرد طريدة أخذت منه فلم يزل الفيلس يعبد حتى ظهرت دعوة النبي عليه السلام فبعث اليه على بن أبى طالب فهدمه وأخذ سيفين كان الحارث بن أبى شعر الغساني ملك غساسق قد اياهما يقال لهما مخذم ورسوب فقدم بهما على بن أبى طالب على النبي صلى الله عليه وسلم فنقلد أحدهما ثم دفعه الى على بن أبى طالب فهو سيفه الذى كان يتقلده

القيس - كنيسة بناها أبرهة الاشرم (انظر صفحة ١٣٤)

القيس - صنم لم يذكره ابن الكلبي وبه سمى امرؤ القيس أى رجل ذلك الصنم ولذلك كان الاصمعي يكره أن يروى قوله في معاقته - عقرت بعيرى يا امرأ القيس فانزل - فكان يقول يا مرأ الله

كثرى - صنم لجديس وطسم كسره نهشل الربيش بن عرعة ولحق بالنبي عليه الصلاة والسلام فأسلم وكتب له كتاباً وقال عمرو بن صخر بن اشنم حلفت بكثرى حلقة غير برة لتستلبن أثواب قيس بن عازب الكسعة - صنم عبدوه فى الجاهلية (عن تاج العروس)

(١) بوا الرمح نحوه قابله به (٢) أخفره نقض عهده وغدره و(الباب) الناقاة المسنة و(الملكوم) الشديدة

الكعبة - هي بيت الله الحرام وهو أول بيت وضع للناس مباركاً وهدى للعالمين بناه بالوحي الإلهي إبراهيم وإسماعيل قال الشهرستاني وكذب من قال أن بيت الله الحرام إنما هو بيت زحل بناه الباني الأول على طوائع معلومة واتصالات مقبولة وسماه بيت زحل ولهذا المعنى اقترن الدوام به بقاء والتعظيم له لقاء لأن زحل يدل على البقاء وطول العمر أكثر مما يدل عليه سائر الكواكب وهذا خطأ لأن البهاء الأول كان مستنداً إلى الوحي على يدي أصحاب الوحي كعبه نجران . كانت ابني الحارث . قال أبو الفرج الأصفهاني أنها بيعة بناها بنو عبد المطلب على بناء الكعبة وعظموها مضاهاةً للكعبة . وسموها كعبة نجران . وكان فيها أساقفة يقيمون وهم الذين جاءوا إلى النبي ودعاهم إلى المباهلة . وقيل أنها قبعة من ثلاثمائة جلد لعبد المسيح بن دارس بن عدي وسمتها العرب كعبة نجران لأنهم كانوا يقصدون زيارتها كما يقصدون زيارة الكعبة . فكان إذا نزل بها مستجير أجبر أو خائف أمن أو أمسترفد أعطى ما طلب أو جائع شبع أو طالب حاجة قضيت وفيها يقول الأعشى يخاطب إقامته فكعبة نجران حتم عليه لك حتى تنساخى بأبوابها

نزور يزيد وعبد المسيح وقيساهو خير أربابها

قال أبو المنذر « وكان ابني الحارث بن كعب كعبة بنجران يعظمونها وهي التي ذكرها الأعشى وقد زعموا أنها لم تكن كعبة عبادة وإنما كانت غرفة لاولئك القوم الذين ذكرهم وما أشبه ذلك عندي بأن يكون كذلك لاني لا أسمع بني الحارث تسمونها في شعر وكان لا ياد كعبة أخرى بسنداد من أرض بين الكوفة والبصرة في الظاهر وهي التي ذكرها الأسود بن يعفر (١) وقد سمعت أن هذا البيت لم يكن بيت عبادة إنما كان منزلاً شريفاً فذكره »

كعب وامراته - صنان لم يذكرها ابن الكلبي كانا في كنيسة القليس وكان كعب خشبة من ساج منقوشة طولها سنون ذراعاً وكانت امرأته

(١) قول الأسود بن يعفر المشار إليه هو

أهل الخورنق والسدير وبارق والقصر ذي الشرفات من سنداد

خشبة من الساج مثلها في الطول وكانوا يتبركون بهما في الجاهلية
اللات - صخرة بالطائف اتخذها العرب عليها بيتا قال أبو المنذر وهى أحدث
من مناة وكانت صخرة مربعة وكان يهودى يلت عندها السوق وكان سدنتها
من ثقيف بنو عتاب (١) بن مالك وكانوا قد بنوا أمامها بناء وكانت قريش
وجميع العرب تعظمها وبها كانت العرب تسمى زيد اللات وتيم اللات وكانت
في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى اليوم وهى التى ذكرها الله فى القرآن
فقال (افرايتم اللات والعزى) وفيها يقول عمرو بن الجععيد

فانى وتركى وصل كأس لكالذى تبرأ من لات وكان يدينها
وقال السهيلي « ان عمرو بن لحي هو اللات الذى يلت السوق للحجيج
على صخرة معروفة تسمى صخرة اللات ويقال ان الذى يلت كان من ثقيف
فلما مات قال لهم عمرو انه لم يمت ولكن دخل فى الصخرة ثم أمرهم بعبادتها
وأن يبنوا عليها بيتا يسمى اللات . ودام أمره وأمر ولده على هذا بمكة
ثلاثمائة سنة فلما هلك سميت تلك الصخرة اللات مخففة الناء واتخذنا يعبد »
وحكى ابن العربى من حديث أبى الوليد بسنده عن ابن عباس قال : « ان رجلا
من مضى كان يقعد على صخرة لثقيف يبيع السمن من الحجاج اذا مر يلت
سويقهم وكان ذا غنم فسميت صخرة اللات فلما فقده الناس قال لهم عمرو ان
ربكم اللات قد دخل فى جوف الصخرة . وكانت العزى ثلاث شجرات نخل
وكان أول من دعا الى عبادتها عمرو بن ربيعة والحارث بن كعب وقال لهم عمرو
ان ربكم يصيف باللات لبرد الطائف ويشتى بالعزى لحرتهامة فبنوا على صخرته
بيتا يعبد به أهل الطائف وهم ثقيف ويسترونه بالثياب ويهدون له الهدى
ويطوفون حوله ويسمون به الربة يضاهون به بيت الله الحرام بمكة ولهدمه خبر
مفصل وهو ان لما قدم وفد ثقيف على رسول الله بعد فتح مكة لاصلاح
لتيقنهم الاطاعة لهم بقتاله وهم بضمة عشر رجلا من أشrafهم فيهم كنانة
وعبد ياليل وهو رئيسهم يومئذ وصاحب أمرهم فعرض عليهم النبي الاسلام
(١) جعل ابن اسحاق سدنتها بنى معتب :

فقالوا له أرأيت الزنا فانا قوم نفترب ولا بد لنا منه قال هو عليكم حرام . قالوا فالربا فانه أموالنا كلها قال والربا حرام ولكم رؤوس أموالكم . قالوا فالخمر فانها عصير أرضنا ولا بد لنا منها قال ان الله قد حرمها وتلا عليهم بذلك كله قرآنا قالوا أرأيت الربة ماذا نصنع فيها . قال اهدمونها . قالوا هيهات لو تلم الربة انك تريد هدمها قتلت أهلها . فقال عمر بن الخطاب ويحك يا عبد الله ما أحقك انما الربة حجير قالوا انا لم نأتك يا ابن الخطاب ثم قالوا يا رسول الله تول أنت هدمها فاما نحن فلا نهدمها أبداً فقال سأبعث من يكفيكم هدمها فرجعوا الى بلادهم وبعث رسول الله سرية منهم أبو سفيان بن حرب ومنهم المغيرة ابن شعبة وأمر عليهم خالد بن الوليد فلما قدموا عليهم عمدوا الى اللات ليهدموها وأنكفت ثقيف كلها الرجال والنساء والصبيان حتى خرج العواتق من الحجال وهم لا يرون انها تدم ويظنون انها ستمتنع فاخذ المغيرة بن شعبة فأساً كبيرة وقال لاصحابه لاضحكنكم من ثقيف قالوا بلى فضرب بالمعول ضربة ثم صاح وخر مغشياً على وجهه فارتجت الطوائف بالصياح سرورا بان اللات قد صرعت المغيرة وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يا مغيرة دونكها ان استطعت ألم تعلم انها تهلك من عاداها . من شاء منكم فليقترب وليجد على هدمها فوالله لا تستطاع ابدا . فوثب المغيرة يضحك منهم ويقول والله يا معشر ثقيف ما قصدت الا الهزء بكم انما هي لكاع حجارة ومدر ثم ضرب الباب فكسره ثم علوا سورها فما زالوا يهدمونها حتى سووها بالارض . وجعل صاحب المفاتيح يقول ليغضبني الاساس فليخسفن بهم الارض فلما سمع ذلك المغيرة قال لخالد : دعني أحفر أساسها خفروه حتى أخرجوا تراها وحرقتها بالنار ثم أخذوا حايها وثيابها وكسوتها فقدموا به على رسول الله فقسمه من يومه وحمدوا الله عز وجل على نصر نبيه واعزاز دينه وروى ان المغيرة لما قام يهدمها قام قومه دونه بنو معتب خشية أن يرمى أو يصاب وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويقلن

لتبكين دفاع أسلمها الرضاع (١) لم يحسنوا المصاع (٢)

وفي اللات يقول كعب بن مالك الانصارى من قصيدة

ونسى اللات والعزى وودا ونسابها القلائد والشنؤفا

ويقول شداد بن عارض الجشمى ينهى ثقيفا عن العود اليها

لا تنصروا اللات ان الله مهلكها وكيف نصركم من ليس ينتصر

ان التي حرقت بالدار فاشتعلت ولم تقاتل لدى أحجارها هدر

ان الرسول متى ينزل بساحتكم يظعن وليس بها من أهلها بشر

المحرق - صنم لبكر بن وائل كان إسلامان (عن تاج العروس)

المدان - صنم وبه سمى عبد المدان وهو أبو قبيلة (عن تاج العروس)

مرحب - صنم كان بمحضر موت اليمن وذو مرحب ربيعة بن معديكرب

كان سادنه اى حافظه (عن تاج العروس)

مناة - صنم من أصنامهم قدم به عمرو بن لحي من البلقاء من أرض

الشام الى مكة ونصبه حول الكعبة . قال أبو المنذر . ان العرب دانت للأصنام

وانخذوها فكان أقدمها كلها مناة وسمت العرب عبد مناة وزيد مناة وكان

منصوباً على ساحل البحر من ناحية المشلل بقديد بين المدينة ومكة . وكانت

العرب جميعاً تعظمه وتذبح حوله . وكانت الاوس والخزرج ومن ينزل المدينة

ومكة وما قارب من المواضع يعظمونه ويذبحون له ويهدون له . وكان أولاد

معد على بقية من دين اسماعيل . وكانت ربيعة ومضر على بقية من دينه ولم

يكن أحد أشد أعظماً له من الاوس والخزرج ومناة هي التي ذكرها الله

تعالى في قوله ومناة الثالثة الاخرى (٣) وكانت لهذيل وخزاعة وكانت قريش

(١) اى أسلمها اللثام (٢) فى رواية اذ كر هوا المصاع - والمصاع القتال

(٣) قال السهيلي مناة وزنه فعلة من منيت الد . وغيره اذا صببته لان

الدماء كانت تمنى عنده تقرباً اليه ومنه سميت الاصنام الدمى وجعلها ثلثة اللات

والعزى وأخرى بالاضافة الى مناة التي كان يعبدونها عمرو بن الجوح وغيره من

قومه فهما مناتان واحداً غير الاخرى بالاضافة الى صاحبتهما

وجميع العرب تعظمه فلم يزل على ذلك حتى خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم من المدينة سنة ثمان من الهجرة وهو عام الفتح فلما سار من المدينة أربع ليال أو خمس ليال بعث عليا (١) اليها فهدمها وأخذ ما كان لها فأقبل به الى النبي صلى الله عليه وسلم . وكاذفيا أخذ سيفان كان الحارث بن أبي شمر ملك غسان أهدهما اسم أحدهما مخزم والآخر رسوب وهما سيفا الحارث اللذان ذكرهما علقمة في شعره فقال

مظاهر سر بالي حديد عليهما عقيلا سيوف مخذم ورسوب

فوهبهما لعل . فيقال ان ذا الفقار سيف على أحدهما . ويقال ان عليا وجدتهما في الفلس صنم لطبيء حين بعثه النبي صلى الله عليه وسلم لهدمه وكانت الاوس والخزرج يخصصونها دون غيرها بالزيارة والهدية »

وروى ابن العربي عن ابن اسحاق ان عمرو بن لحي نصب مناة على ساحل البحر مما يلي قديد وكانت الازد وغسان يحجونها ويعظمونها . فاذا طافوا بالبيت وأفاضوا من عرفات وفرغوا من منى لم يجلوا الا عند مناة . وكانوا يهلون لها ومن أهل لها لم يطف بين الصفا والمروة لمكان الصنمين

مناف - صنم به سمى عبد مناف قال أبو المنذر ولا أدري أين كان ولا من نصبه

منهب - صنم ذكره الجاحظ في الترييع والتدوير

نائلة - صنم (انظر أساف)

نسر - صنم قال أبو المنذر واجابت عمرو بن لحي حمير فدفع الى رجل من ذى رعين يقال له معد يكرب نسرا فكان بموضع من أرض سبأ يقال له بلخع تعبداه حمير ومن والاها فلم يزل يعبدونه حتى هودهم ذونواس ولم أسمع حمير سميت به أحدا ولم أسمع له ذكرا في أشعارها وأسماء العرب وأظن ذلك كان لا تنقل حمير عن عبادة الاصنام الى اليهودية »

(١) في قول آخر ان النبي بعث لهدمها أبا سفيان بن حرب فهدمها وذكر

القولان ابن هشام

(وأقول) ذكره في الشعر عمرو بن عبد الجاهلي فقال

أما والدماء المائرات تحاها على قنة العزى وبالنسر عند ما
نصّر - صنم (عن المخصص)

نهم - صنم عبدة مزينة وبه سميت عبدتهم وكان سادته خزاعي بن عبد
نهم من مزينة فلما سمع ببعثة رسول الله شرح الله صدره الاسلام فكسر
صنمه وانشأ يقول

ذهبت الى نهم لا ذبح عنده عترة نسك كالذي كنت أفعل
فقلت لنفسى حين راجعت عقلها . أهذا إله أباكم ليس يعقل
أبيت فديني اليوم دين محمد إله السماء الماجد المتفضل
ثم لحق بالنبي فأسلم وضمن اسلام قومه مزينة

هبل - كان من أعظم الاصنام عند قريش وكان من عتيق أحمز على صورة
الانسان مكسور اليد اليمنى أدركته قريش كذلك فحملوا له يداً من ذهب وكان
أول من نصبه خزيمة بن مدركة بن الياس بن مضر . وكان يقال له هبل خزيمة
ذكر ذلك أبو المنذر وحكي ابن هشام أن هبل قدم به عمرو بن لحي من أرب
فنصبه في مكة وأمر الناس لعبادته وتعظيمه واختلف في موضعه فالتهمرستاني
ذهب الى انه كان على ظهر الكعبة وابن اسحاق ذهب الى انه كان عند البئر
التي كانت في جوف الكعبة على يمين من دخلها . وكان عمقها ثلاث أذرع حفرها
ابراهيم واسماعيل عليهما السلام ليحفظ فيها ما يهدي الى الكعبة . وكانت
تسمى الاخسف وكان قدامه سبعة أقدح يضربونها عنده اذا اختصموا في
أمر أو أرادوا سفرأ أو عملاً فما خرج عملوا به وانتهوا اليه

ود - صنم عبدة كلب بدومة الجندل قال أبو المنذر « ان عمرو بن لحي أتى
شط جده فاستنار الاصنام ثم حملها حتى ورد تهامة وحضر الحج فدعا العرب
الى عبادتها قاطبة فأجابه عوف بن عذرة بن زيد اللات بن ربيعة بن ثور بن
كلب بن وبرة بن تغلب بن حلوان بن عمران بن الحاف بن قضاعة فدفع اليه
وداً فحمله الى وادي القرى فأقره بدومة الجندل وسمى ابنه عبد ود فهو أول

من سمي به ثم سمت العرب به بعد وجعل غوف ابنه عامرا الذي يقال له غاسر
الاجدار سادنا له فلم يزل بنوه يسدوناه حتى جاء الله بالاسلام . قال السكبي
خحدثني مالك بن حارثة الاجداري انه رأى ودا قال وكان أبي يبعثني بالابن اليه
فيقول اسقه اهلك فاشربه قال ثم رأيت خالد بن الوليد كسره فجعله جذازا وكان
رسول الله بعث خالد بن الوليد من غزوة تبوك لهدمه فحالت بينه وبين هدمه
بنو عبد ود وبنو عامر الاجدار فقاتلهم حتى قتلهم وهدمه وكسره قال السكبي
فقلت لمالك بن حارثة صف لي ودا حتى كافي أنظر اليه قال كان تمثال رجل
كاظم مايكون من الرجال قد ذبر عليه (١) حلتان متزرجة ومرتب بأخرى
عليه سيف قد تقلده وقد تنسكب قوسا وبين يديه حربة فيها لواء ووفضة (٢)
فيها نبل « وفي ود يقول الشاعر

حيالك ود فانا لا يحل لنا لهو النساء وان الدين قد عزمنا
ودع - صنم (عن المخصص)

ياليل - وزن هابيل صنم سمت العرب به عبد ياليل (عن تاج العروس)
اليعسوب - كان لجديلة طيئ صنم فأخذته منهم بنو أسد فاتخذوا بعده
اليعسوب صنما عبوده فلذلك قال عبيد
فتبدلوا اليعسوب بعد الههم صنما فقرؤا يا جديلا وأعذبوا
أى لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا

يعوق - صنم قال أبو المنذر (وأجابت عمرو بن لحي همدان فدفع الى مالك
ابن مرثد بن جشم بن حاشد بن جشم بن خيران بن نوف بن همدان يعوق
فاتخذته خيوان فكان بقرية يقال لها خيوان (٣) من صنعاء على ليلتين مما يلي مكة
تعبده همدان ومن والاها من أرض اليمن ولم أسمع همدان سمت به ولا غيرها
من العرب ولم أسمع لها أو غيرها فيه شعرا وأظن ذلك لانهم قربوا من صنعاء
واختلطوا بحمير فدانوا معهم باليهودية أيام تهود ذونواس فتهودوا معه)

(١) رواية زبر أى نقش (٢) الوفضة الجمبة (٣) خيوان بطن من همدان
كما في ابن هشام

أقول قد ذكره في الشعر مالك بن نمط الهمداني في قوله :

يريش الله في الدنيا ويبرى ولا يبرى يعوق ولا يريش (١)
 يغوث - صنم - قال أبو المذر اتخذته مذحج وأهل جرش وفيه يقول الشاعر
 وسار بنا يغوث الى مراد فناجزناهم قبل الصباح
 ودفعه عمرو بن لحي الى أنعم بن عمرو المرادي فكان بأكمة باليمن يقال لها
 مذحج تعبدده مذحج ومن والاها

﴿ كثرة الاصنام ﴾

ليس في الاستطاعة حصر أصنامهم في الجاهلية فكثرتها تتجاوز العد .
 وقد كان للقبيلة أكثر من صنم وكان منها عند الكعبة كثير حكى النخعي
 انه كان حولها ثلثمائة وستون صنما لكل قوم صنم بحياهم . ولما دخل
 رسول الله يوم فتح مكة المسجد والاصنام منصوبة حول الكعبة جعل
 يطعن بسية قوسه (٢) في عيونها ووجوهها ويقول جاء الحق وزهق الباطل
 ان الباطل كان زهوقا ثم أمر بها فكفئت على وجوهها وارتقى على بن أبي
 طالب على منكبه الشريف حتى صعد الكعبة فقال له عليه السلام الق صنمهم
 الاكبر وكان من نحاس وقيل من زجاج وألقى كل ما عليها من الاصنام ولم يبق
 الا صنم خزاعة موندا بأوتاد من حديد فما زال يعالجه حتى تم كنه منه فقذفه
 فتكسر ثم أخرجت من المسجد فخرقت وفي تكسيرها يقول فضالة بن عمير
 ابن الملوح الليثي (٣)

قالت هلم الى الحديث فقلت لا يا أبا عليك الله والاسلام

() يریش ويبرى من رشت السهم وبريته ثم استعير في المنفع والضر

قال سويد

فرشني بخير طالما قد بريتني وخير الموالي من يریش ولا يبرى
 (٢) سية القوس ماعطف من طرفها (٣) نسبها ابن الكلبي في كتاب

الاصنام لراشد بن عبد الله السلمي

أو ما رأيت محمداً وجنوده (١) بالفتح يوم تكسر الاصنام
لرأيت دين الله أضحي بينا (٢) والشرك يغشى وجهه الاظلام
وقال تميم بن أسد الخزاعي

وفي الاصنام معتبر وعلم لمن يرحو الثواب أو العقاب
وأصنامهم سفرا وحضرا تجل عن الحصر أما في الحضر فذكر ابن اسحاق
ان أهل كل دار اتخذوا في دارهم صنما يعبدونه فاذا أراد أحدهم السفر كان آخر
ما يصنع في منزله أن يتمسح بصنمه واذا قدم من سفره كان أول ما يصنع
اذا دخل منزله أن يتمسح به فلما بعث الله تعالى نبيه ودعاهم لعبادة الله
وحده قالوا أجعل الآلهة إلها واحداً ان هذا شيء عجاب . وأما في السفر
فكان الرجل منهم اذا سافر فنزل منزلاً أخذ أربعة أحجار فنظر الى أحسنها
فاتخذها رباً وجعل الثلاثة اثنى لقدره واذا ارتحل تركه فاذا نزل منزلاً آخر
فعل مثل ذلك قال أبو المنذر « واستهزت العرب في عبادتها فمنهم من اتخذ بيتاً
ومنهم من اتخذ صنماً ومن لم يقدر على اتخاذ صنم أو بناء بيت نصب حجراً اما
من الحرم واما من غيره مما استحسن ثم طاف به كطوافه بالبيت وسموها
الانصاب وسموا طوافهم الدوار » واتخذ كثير منهم في داره صنماً وكثيراً ما
يسميه بأسم الصنم الذي تعبد به القبيلة ويتخذ على مثاله ليتمكن من عبادته
وهو في داره حكى ابن هشام في سيرته ان عمرو بن الجموح أحد سادات بني
سامة وأشرافهم كان قد اتخذ في داره صنماً من خشب يقال له مناة كما كانت
الاشراف يصنعون تتخذها الها تعظمه وتطهره فلما أسلم فتيان بني سامة كانوا
يدلجون (٣) بالليل على صنمه فيجملونه فيطرحونه في بعض حفر بني سامة
وفيها عذر الناس منكساً على رأسه فاذا أصبح عمرو قال : ويلكم من غدا (٤)
على آلهتنا هذه الليلة قال ثم يغدو يلتمسه حتى اذا وجده غسله وطهره وطيبه

(١) رواية وقبيلة (٢) رواية نور الله أضحي ساطعاً (٣) أدلج سار أول
الليل وأدلج سار آخر الليل وقيل الادلاج سير الليل كله (٤) الاصل ان معنى
غدا عليه بكر ثم كثر حتى استعمل في الذهاب والانطلاق في أي وقت كان

ثم قال أما والله لو أعلم من فعل هذا بك لآخزينه فاذا أمسى ونام عمرو غدوا عليه ففعلوا به مثل ذلك فيغدو فيجده في مثل ما كان فيه من الاذى فيفسله ويطهره ويطيبه ثم يغدون عليه اذا أمسى فيفعلون به مثل ذلك فلما أكتثروا عليه استخرجه من حيث ألقوه يوما ففسله فطهره وطيبه ثم جاء بسيفه فعلقه عليه ثم قال له انى والله ما أعلم من يصنع بك ماترى فان كان فيك خير فامتنع فهذا السيف معك فلما أمسى ونام عمرو غدوا عليه فأخذوا السيف من عنقه ثم أخذوا كلبا ميتا فقرنوه به بجبل ثم ألقوه في بئر من آبار بنى سلامة فيها عذر من عذر الناس وغدا عمرو بن الجموح ألم يجده في مكانه الذى كان به نخرج يتبعه حتى وجده في تلك البئر منكساً مقرونا بكلب ميت فلما رآه أبصر شأنه وكله من أسلم من قومه فأسلم وحسن اسلامه وقال حين أسلم يذكر صنعه وما أبصر من أمره

والله لو كنت إلهاً لم تكن أنت وكلب وسط بئر في قرن (١)
أف للملئق إلهاً مستدنف الآن فتشناك عن سوء الغبن (٢)
الحمد لله العلى ذى المنن الواهب الرزاق ديان الدين (٣)
هو الذى أنقذنى من قبل أن أكون فى ظلمة قبر مرتين

ومثله فى ترك عبادة صنمه حين رآه عاجزاً عن الدفاع عن نفسه غاوى بن ظالم فقد كان يأتى صنمه بالخبز والزبد فيضعه عند رأسه ويقول له أطعم وقيل انه كان سادناً له فجاء ثعلبان (وهو ذكر الثعلبان) فأكل الخبز والزبد ثم بال على رأس الصنم فلما رأى ذلك غاوى بن ظالم تبين له الحق فقال لقد خاب قوم أمولك لشدة أرادوا نزالاً ان تكون تحارب فلا أنت تغنى عن أمور تواترت ولا أنت دفاع اذا حل نائب

(١) القرن الحبلى (٢) مستدن من السدانة وهى خدمة البيت وتعظيمه و (الغبن) يكون فى الرأى يقال غبن رأيه بمعنى خسر نفسه وأوبقها (٣) قال السهيلي الدين جمع دينة وهى العادة ويقال لها دين أيضاً ويجوز أن يكون أراد بالدين الاديان أى هو ديان أهل الاديان ولكن جمعها على الدين لانها ملل ونحل

أرب يبول الثعلبان برأسه لقد ذل من بالث عليه الثعالب
 ثم ضرب الصنم فكسره وأتى النبي فآمن وسأله عليه الصلاة والسلام
 عن اسمه فقال غاوى بن ظالم . قال لا بل أنت راشد بن عبد ربه
 (وكانوا) لا يتخذونها من مادة معينة . قال أبو رجاء العطاردي كنا نعبد
 الحجر في الجاهلية فاذا وجدنا حجرا أحسن منه نلقى ذلك ونأخذه فاذا لم
 نجد حجرا جمعنا حفنة من تراب ثم جئنا بغنم خابنها عليه ثم طفنا به . وقال
 أيضا كنا نعمد الى الرمل فنجمعه ونحلب عليه فنعبده وكنا نعمد الى الحجر
 الابيض فنعبده زمانا ثم نلقيه .

وقد اتخذت بنو حنيفة صنما من حيس فعبدوه دهرأ طويلا ثم أدركتهم
 مجاعة فأكلوه . وفيهم يقول الشاعر

أكلت حنيفة ربهما زمن التقحم والمجاعة

لم يحذروا من ربهما سوء العواقب والتباعة

وقال رجل من بني تميم

أكلت ربهما حنيفة من جو ع قديم بها ومن أعواز

عبادة الاصنام وما يتقرب به لها

عبد أكثر العرب الاصنام لا لذاتها بل لتقربهم الى الله زلفى وتشفع لهم
 عنده . روى انهم كانوا يقولون في طوافهم بالكعبة واللات والعزى ومناة
 الثالثة الاخرى فانهم الغرائيق العلى وان شفاعتهم لترتجى فعبادتها
 وسيلة لعبادته ولما كان ذلك من الشرك انكره الله تعالى عليهم في غير ما آية من
 كتابه كما انكر عليهم اعتقادهم انها بنات الله في قوله (أفرايتم اللات والعزى
 ومناة الثالثة الاخرى الحكم الذكر وله الانثى تلك اذن قسمة ضيزى ان هي الا
 أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بهامن سلطان) وما أسرع تزلزل هذه
 المقيدة عند مبدأ النظر فقد روى ان قريشا قالت قيسوا لابي بكر رجلا
 يأخذه فقيضوا له طلحة بن عبيد الله فأتاه وهو في القوم فقال يا أبا بكر قم الى
 فقال الام تدعوني قال أدعوك الى عبادة اللات والعزى فقال أبو بكر من اللات

والعزى قال بنات الله قال فن أمهم فسكت طلحة وقال لأصحابه أجيئوا صاحبكم فسكتوا فقال طلحة قم يا أبا بكر فاني أشهد ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله (فكانوا) يعظمونها ويلبسونها أحسن الثياب وخلف الشنفرى بثياب الاقيصر فقال

وان امرأ اجار عمرا ورهطه على وأثواب الاقيصر يهنف (وكانوا) يتقربون لها بالمناسك والمشاعر وحملوا لها وحرموا وسيبوا لها السوائب والبجائر (وكانوا) يحجون اليها فلذلك نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شد الرحال الا الى ثلاثة مساجد مسجده عليه السلام والمسجد الحرام والمسجد الاقصى لان الله ضاعف أجر العبادة فيها (وكانوا) يطوفون بها تقربا اليها وشاهده قول امرئ القيس يشبه قطيعا من البقر يلوذ بعضه ببعض ويدور كما تدور العذارى حول الصنم دوار

فمن لنا سرب كان نعاجه عذارى دوار في الملاء المذيل (وكانوا) يسبحون ويهللون لها قال ربيع بن صبيغ الفزارى واني والذي نغم الانام له حول الاقيصر تسبيح وتهليل (وكانوا) يستقسمون عندها بالارلام (وكانوا) يجمعون لها نصيبا من انعامهم وحرورهم (وكانوا) يقفون لها الاوقاف ويهدونها أقواتهم يرجون بذلك الخير والبركة * روى نافع عن أبي نعيم قال : كان أبو طالب يعطى عليا قدحا من اللبن يصبه على اللات فكان على يشرب اللبن ويبول على اللات (وكانوا) يسمون أنفسهم باسماء مضافة اليها بالعبودية أو الاختصاص كعبد اللات وعبد العزى وامرئ القيس فغير النبي عليه الصلاة والسلام ما كان من أسماء أصحابه كذلك بعبد الله وعبد الرحمن و (كانوا) يقسمون بها فيقول الحالف واللات أو وهبل مثلا ويرون ان الحلف بها كذبا يستوجب نقصا في الاموال والانفس والثمرات فلا يقدمون على ذلك . ويستحلف الاخصام بعضهم بعضا باسمائها فنهوا عن ذلك بقوله عليه السلام من حلف بغير الله فقد أشرك (وكانوا) يندرون لها الندور ومنها مولى السائبة وهو ما سيب نذر اللاهة

فلا يمنع من ماء ولا كلاء وان كان رقيقا وأعتقه مالكه سائبة فلا يعقل عنه ولا يورث ولا ولاء عليه لاحد . ومن اعتق سائبة سالم مولى أبى حذيفة اعتقه قتيبة بنت يعار وقيل اسمها ثبيثة بنت يعار فانقطع سالم الى أبى حذيفة ابن عتبة بن ربيعة فتنبأه فقيلا سالم مولى أبى حذيفة

و (كانوا) يسجدون لها وينكسون رأسهم عندها قال الشاعر

فبات يجتاب شقارى كما يقرر من يمشى الى الجلسد (١)

و (كانوا) يستعينون بها في حوائجهم من شفاء المريض وغنى الفقير وغير ذلك فأوجب الله عليهم أن يقولوا في صلاتهم (اياك نعبد و اياك نستعين) وقال تعالى (فلا تدعوا مع الله أحدا) و (كانوا) لا يمكنون الحيض من النساء من الدنو منها ولا التمسح بها انما كانت الحائض تقف ناحية منها قال بلعاء بن قيس بن عبد الله بن يعمر وهو الشداخ الاثني

و قرن قد تركت الطير منه كمعتز العوارك من مناف (٢)

و (كانوا) يجعلون لاصنامهم أعيادا وروينا حديث أم أيمن في ذلك عند ذكر الصنم بوانة و (كانوا) يهدون لها الهدايا ويقربون لها القرابين فمنها (الفرع) وفسره الشافعي بأنه أول نتاج البهيمة كانوا يذبحونه ولا يملكونه لاحد رجاء البركة في الام وكثرة نسلها وفسره أبو على القالى بأنه ذبح كان أهل الجاهلية يذبحونه على أصنامهم ويلبسون جلده سقبا آخر وفي المحكم الفرع أول نتاج الابل والغنم كان أهل الجاهلية يذبحونه لا سنامهم ثم يأكلونه ويلقى جلده على الشجر وعن أبى مالك انه البكر ينجره الرجل للصنم اذا بلغت ابله مائة ويقال انه ذبح كانوا اذا بلغت الابل ما تمناه صاحبها ذبحوه وكذلك اذا بلغت ابله مائة يعتر منها بعير كل عام ولا يأكل منه هو ولا أهل بيته ويطلق الفرع أيضا على الطعام الذى يصنع لنتاج الابل كالخرس للولادة وقال الميداني في مجمع الامثال عند قولهم في المثل (أول الصيد فرع) مانصه الفرع أول

(١) البيقرة أن يعدو الرجل منكسا رأسه و (الجلسد) صنم (٢) المعتز

المتنحى في ناحية - و (مناف) صنم

ولدت ثنتجة الماقة كانوا يذبحونه لألهتهم يتبركون بذلك وكان الرجل يقول
إذا تمت ابلى كذا نحرت أول فتيج منها (كاوا) إذا أرادوا نحرة زينوه
والبسوه ولذلك قال أوس بن حجر يذكر أزمة في شدة البرد

وشبه الهيدب العمام من الاقوام سقبا مجللا فرعا (١)

وأفرع القوم إذا ذبحوا الفرع يقال أفرع إذا أراق الدم مأخوذ من الفرع
ومنه قولهم للضبيع اذ وقعت في الغنم

أفرعت في قرارى كائنما ضرارى أردت يا جمار (٢)

ومنها (العتيرة) بوزن عظيمة وهي كما قال أبو عبيد ذبيحة كانوا يذبحونها
في الجاهلية في رجب يتقربون بها لاصنامهم وهي الرجبية. ولغيره انهم كانوا
ينذرون من بلغ ماله كذا أن يذبح من كل عشرة منها في رجب عتيرة. وفي
الصحاح العتيرة هي أن الرجل كان يقول في الجاهلية ان بلغ ابلى مائة عترة
منها عتيرة في رجب ونقل أبو داود تقييدها بالعشر الاول من رجب. وروى
الحميدى انها الشاة التي تذبح عن أهل بيت في رجب وسميت بذلك لذبحها وهو
العترة. وفسرها النووى بأنها ذبيحة كانوا يذبحونها في العشر الاول من رجب
ويسمونها الرجبية وفيها يقول الماينة الجعدى وكان من المعمرين

قالت أمامة كم عمرت زمانة وذبحت من عترة على الاوثان

وقد أبطلت الشريعة المطهرة كلا من الفرع والعتيرة لقوله عليه السلام
في الحديث الصحيح لا فرع ولا عتيرة وهذا النهى محمول على ما اذا كان
ذبحهما لطواغيتهم وآلهتهم كما كانوا يصنعون في الجاهلية أما اذا لم يقصد
بذبحهما غير وجه الله تعالى فلا حظر فيه وعليه يحمل ما رواه البيهقي بسنده
عن الحارث بن عمر قال أتيت النبي بعرفات أو قال بمنى وسأله رجل عن العتيرة
فقال من شاء عترة ومن شاء لم يعتر ومن شاء فرع ومن شاء لم يفرع ولكنهم
نہوا عن تخصيص ذبح العتيرة في رجب لحديث ان رجلا نادى رسول الله

(١) الهيدب الغبي الثقيل (و) العمام (و) العبي الثقيل (و) السقب (و) الذكر

من ولد الناقة ساعة يولد (٢) القرار الغنم (و) جمار (و) كقطام الضبيع

انا كنا نعتز عتيرة في الجاهلية فأتأمرنا قال اذبحوا لله في أى شهر كان لما
 في التخصيص من تفضيل بعض الاوقات على بعض وتميزها بالعبادة من غير
 نص من الشارع كما نهوا عن تخصيص ذبح الفرع أول ما يولد لان رسول الله لما
 سئل عن الفرع قال الفرع حق وأن تركوه حتى يكون بكرا أو ابن مخاض
 أو ابن لبون (١) فتعطيه ارملة أو تحمل عليه في سبيل الله خير من أن تذبحه
 فيلزق لحمه بوبره (٢) وتكفي اناءك (٣) وتوله ناقتك (٤) ومنه تعلم ان
 الفرع كان يصلح عندهم للنسك ولو ذبح صغيرا أما غيره فلا يصلح لذلك
 الا اذا ذبح كبيرا وشاهده قول أبي علي القالى في أماليه (الحلان والحلام
 فويق الجدى وأنشد لابن احر

تهدى اليه ذراع الجدى تمكرمة اما ذبيحا واما كان حلانا
 فالذبيح الذى يصلح للنسك والحلان الصغير الذى لا يصلح للنسك ثم قال
 وانشدنا أبو عبيدة قول مهلهل

كل قتيل في كليب حلام حتى ينال القتل آل همام
 يقول كل قتيل صغير ليس هو بوفاء من كليب بمنزلة الحلام الذى ليس بوفاء أن
 يذبح للنسك حتى ينال القتل آل همام فانهم وفاء به »
 (و كانوا) يذبحون قربانهم عند الاصنام اذا كانوا بمقربة منها وحينئذ
 يلطخونها بدمائها يلتمسون بذلك الزيادة في أموالهم ودفع المكروه عنهم
 وشاهده قول زهير بن أبى سلمى
 فزل عنها وأوفى رأس مرقبة كمنصب المتردى رأسه النسك (٥)

(١) البكر الفتى من الابل والانى بكرة (٢) ابن المخاض) الفصيل اذ
 لقحت أمه وقيل ما دخل في السنة الثانية لان أمه لحقت بالمخاض أى الحوامل
 وان لم تكن حاملوا (ابن اللبون) ولد الناقة اذا كان في العام الثانى واستكتم
 وقيل اذا دخل في الثالث والانى ابنة لبون لان أمه وضعت غيره (٢) يريد
 انه لا شيع فيه (٣) يشير به الى ذهاب اللبن لان ذهاب ولدها يدفع لبنه
 فكانه اذا فعل ذلك كما اناءه وأراقه (٤) يعنى تفجعهما بولدها (٥) معنى البينة

وقد هجا شاعرهم رجلا فشبّه برأس بقرة قد قاربت أن يذهب بصرها
فلا تصلح الا للذبح والنسك فقال

لقد أنكحت أسماء رأس بقيرة من الادم أهداها أمرؤ من بنى غم
رأى قدعا في عينها اذ يسوقها الى غبغب العزى فوسع في القسم (١)
وكذلك كانوا يصنعون اذا نحرروا هديا قسموه فيمن حضرهم و (كانوا)
يهلون بأسمائها عند الذبح فيقولون باسم اللات أو العزى مثلا وغلوا في ذلك
حتى قالت كفارقريش ما ذكر اسم الله عليه فلا تأكلوه وما ذبحتم لغيره فكلوه
خرم الله ذلك واعتبر ذبيحتهم نجسة يحرم أكلها بقوله (ولا تأكلوا مما لم
يذكر اسم الله عليه وانه لفسق (٢)) وتبعت نصارى العرب كفارقريش في
تعمد ترك اسم الله تعالى عند الذبح ولذلك نهى عليه الصلاة والسلام عن ذبيحة
نصارى العرب على أن من العرب من فتح الله بصيرته فلم سوء صنيعهم هذا
من هؤلاء زيد بن عمرو بن ثعلبة وكان ممن اعتزل عبادة الاوثان وحرّم أكل
ذبائح المشركين ومن قوله في ذلك (يامعشر قريش أيرسل الله قطر السماء وينبت
بقل الارض ويخلق السائمة فترعى فتذبجونها لغير الله)

ومن أنواع قرايينهم في الجاهلية البهيرة والسائبة والوصيلة والحامى وورد
ذكر الثلاثة الاخيرة في قول الشاعر

حول الوصائل في شريف حقة والحاميات ظهورها والسيب (٣)

زل الصقر عن القطاة وأشرف على رأس (مرقبة) وهى المسكان المرتفع حيث
يرقب الرقيب وقوله (كمنصب العتر) أى كأن الصقر مما به من الدم الحجر
الذى يمتز عليه وهو المنصب و (العتر) ذبح كان يذبح في رجب (١) القدع
ضعف البصر من ادمان النظر و (الغبغب) المنجر مہراق الدماء (٢) فسر الفسق
بمترك التسمية عمدا لقوله تعالى أوفسق أهل لغير الله به (٣) حول جمع حائل
ويقال فى جمعها أيضا حوال والحائل كل أنثى لاتحمل و (الشريف) اسم موضع
واذا طعنن الابل فى الرابعة فهى حق وحقة و (وصائل) ووصل جمع وصيلة
و (سيب) وسوائب جمع سائبة - وفى نسخة حول الفصائل

وتتميز كل واحدة منها عما عداها بعلامة كما قال الجاحظ « وقد أعلم العرب البحيرة بغير علم السائبة لتمييز عنها واعلموا الحاي بغير علم الفحول وكذلك الفرع والرجبية والوصيلة والعتيرة من الغنم وكذلك سائر الاغنام السائمة » ولنبين معانيها فنقول ، أما البحيرة فهي فعيلة بمعنى مفعولة من البحر وهو الشق جمعها بحائر وبحر . وفسرها الزجاج بأن أهل الجاهلية كانوا اذا نتجت الناقة خمسة أبطن آخرها ذكر بحروا أذنفا وحرموها ونحرها وركوبها ولا تطرد من ماء ولا تمنع من مرعى واذا لقيها المعبي لم يركبها وفسرها ابن اسحاق بأنها بنت السائبة (١) وتعقبه ابن هشام بأنها عند العرب ليست كذلك بل البحيرة عندهم الناقة تشق أذنفا فلا يركب ظهرها ولا يجز وبرها ولا يشرب لبنها الاضيف ولا يتصدق به وتعمل لآلهتهم

وقال السكبي كانت الناقة اذا نتجت خمسة أبطن فكان الخامس ذكرا أكله الرجال دون النساء وان كان أنثى بحروا أذنفا وشقوها وترك لا يشرب لها لبن ولا تركب قيل ولا يجز لها وبر ولا يحمل عليها شيء ولا يذكر اسم الله عليها ان ذكيت وتكون ألبانها للرجال دون النساء وان كانت سبعة اشترك فيها الرجال والنساء . وقيل البحيرة الناقة التي ولدت خمسة أو سبعة وقيل بل عشرة أبطن وتترك هملا واذا ماتت حل لحمها للرجال خاصة وقيل هي في الشاة خاصة اذا نتجت خمسة أبطن بحرت . وعن ابن المسيب انها التي منع لبنها للطواغيت فلا تحلب وقيل هي السقب الذي اذا ولد شقوا أذنفا وقالوا اللهم ان عاش فقتى وان مات فذكى فاذا مات أكلوه . وقيل التي تترك في المرعى بلا راع

أما السائبة فهي فاعلة من سييته أى تركته وأهملته فهو سائب وهي سائبة قال ابن اسحاق هي الناقة اذا تابعت بين عشر أناث ليس بينهما ذكر سيبت فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الاضيف فانتجت بعد ذلك من أنثى شقت أذنفا ثم خلى سبيلها مع امها فلم يركب ظهرها ولم يجز وبرها ولم يشرب لبنها الاضيف كما فعل بأمها فهي البحيرة بنت السائبة وتعقبه

(١) من معانيها في القاموس انها ابنة السائبة وحكمها حكم أمها

ابن هشام بأن السائبة عند العرب هي التي ينذر الرجل أن يسيبها إن برى من مرضه أو أن أصاب امرا يطلبه فإذا كان ذلك اسباب ناقة من ابله أو جلا لبعض آلهتهم فسابت فرعت لا ينتفع بها وعن أبي عبيدة كان الرجل إذا قدم من سفر بعيد أو نجته دابته من مشقة أو حرب . قال هي سائبة أو كان ينزع من ظهرها فمارة أو عظماً (١) وكانت لا تمنع من ماء ولا كلاء ولا تركب وكان هذا نذرا من نذورهم وقيل هي البعير الذي يدرك نتاج نتاجه فيترك ولا يركب وقيل ماترك ليحج عليه وعن ابن عباس وابن مسعود أنها التي تسبب للانصنام فتعطى للسدنة ولا يطعم من لبنها الا أبناء السبيل ونحوهم والسائبة أيضا العبد يعتق على ألا يكون عليه ولاء ولا عقل ولا ميراث

وأما الوصيلة فهي فعيلة بمعنى فاعلة على الاظهر وقيل بمعنى مفعولة وفسرها ابن اسحاق بأنها الشاة إذا اتأمت عشر أناث متتابعات في خمسة أبطن ليس بينهما ذكر جعلت وصيلة قالوا قد وصلت . فكان ما ولدت بعد ذلك للذكور منهم دون أناتهم (٢) الا ان يموت منها شيء فيشترك في أكله ذكورهم وأناتهم . وتلقب ابن هشام بأن الوصيلة عند العرب هي التي تلدها اثنتين في كل بطن فيجعل صاحبهما لآلهته الاناث منها ولنفسه الذكور فتلقدها (٣) أمها ومعها ذكر في بطن فيقولون وصلت أخاها فيسبب أخوها معها فلا ينتفع بهما

وقال الفراء هي الشاة تنتج سبعة أبطن عناقين (٤) عناقين وإذا ولدت في آخرها عناقا وجديا قيل وصلت أخاها فلا يشرب لبن الام الا الرجال دون النساء وتجري مجرى السائبة . وعن ابن عباس هي الشاة تنتج سبعة أبطن فان

(١) نقل الفلقشندي في صبح الاعشى سببا آخر لاغلاق الظهر اذا قل

كان الرجل منهم اذا بلغت ابله مائة عهد الى البعير الذي كلمت به المائة فاغلاق ظهره بأن ينزع شيئا من فقراته ويعقر سنامه كي لا يركب ليعلم ان ابل صاحبه قد أمأت (٢) يروى فكان ما ولدت بعد ذلك لذكور بينهم دون أناتهم (٣) أي الانثى (٤) العناق كسحاب الانثى من أولاد المعز جمعه أعنق وعنوق

كان السابع انى لم ينتفع النساء منها بشى الا ان تموت فيأكلها الرجال والنساء وكذا ان كان ذكرا وانى قالوا وصلت أخاها فترك معه وينتفع بها الرجال دون النساء فان ماتت اشتركوا فيها قال ابن قتبية ان كان السابع ذكرا ذبح وأكلوا منه دون النساء . وقالوا خالصة لذكورنا محرمة على أزواجنا وان كان انى تركت فى الغنم وان ذكرا وانى فكقول ابن عباس

وقال الزجاج هى الشاة اذا ولدت ذكرا كان لآلهتهم واذا ولدت انى كانت لهم واذا ولدت ذكرا وانى قالوا وصلت أخاها أى دفعت عنه الذبح فلم يذبحوا الذكر لآلهتهم . وقيل هى الشاة تنتج خمسة أبطن أو ثلاثة . فان كان جديا ذبحوه وان كان انى أبقوها وان كان ذكرا وانى قالوا وصلت أخاها . وقيل الوصلة من الابل هى الناقة التى وصلت بين عشرة أبطن لا ذكر بينها . وقيل أنها الناقة التى تبكر فتلد أنى ثم تنثى بولادة أنى أخرى ليس بينهما ذكر فيتركونها لآلهتهم ويقولون قد وصلت أنى بأنثى ليس بينهما ذكر

وأما الحامى فهو فاعل من الحمى بمعنى المنع واختلف فيه . فقال ابن اسحاق انه الفحل اذا نتج له عشر أناث متتابعات ليس بينهما ذكر حتى ظهره . فلم يركب ظهره ولم يحز وبره وخلقى فى ابله يضرب فيها لا ينتفع منه بغير ذلك وقيل هو الفحل ينتج له سبع أناث متواليات فيحمى ظهره . وقال الشافعى انه الفحل يضرب فى مال صاحبه عشر سنين وقال القراء هو الفحل اذا لقح ولد ولده فيقولون حمى ظهره فيهمل ولا يطرد من ماء ولا مرعى . وقال أبو عبيدة والزجاج انه الفحل يولد من ظهره عشرة أبطن فيقولون حمى ظهره فلا يحمل عليه ولا يمنع من ماء ولا مرعى . وروى هذا القول عن ابن عباس وابن مسعود

وكانوا يرون أن الضرورة تبيح المحظور . وشاهده ما رواه المفضل الضبي أن جميل بن عبد الله أخا بنى قريع بن عوف أغار على ابل جرية بن أوس بن عاصم يوم سلوق فاطرد ابله غير ناقة كانت مما يحرم أهل الجاهلية ركوبها وكان لجرية ابن أخت يرعى أبله فبلغ الخبر خاله والقوم قد سبقوا

بالأبل غير تلك الناقة الحرام فقال جرية للسلام رد على تلك الناقة لأركبها في أثر القوم فقال الغلام أنها حرام فقال جرية «حرامه يركب من لاحتلال له» فخرجت مثلاً لمن اضطر إلى ما يكرهه

واختلاف أئمة اللغة والمفسرين في معناها يرجع لاختلاف القبائل في ذلك فنقل بعضهم عن قبيلة معنى يخالف ما نقله غيره عن قبيلة أخرى وبهذا تعلم أن لا وجه لابن هشام في تعقبه ابن اسحاق ويؤيد ما ذهبنا إليه ما رواه أبو هريرة أن النبي عليه السلام قال إن عمرو بن لحي بن قعدة بن خندف أول من غير دين اسماعيل وبحر البحيرة وسيب السائبه وحى الحامى وما رواه زيد بن أسلم أن رسول الله: قال قد عرفت أول من بحر البحائر رجل من مدلج كانت له ناقتان جدد آذانهما وحرم ألبانهما وظهورهما وقال هاتان لله ثم احتاج إليهما فشرب ألبانهما وركب ظهورهما قال فلقد رأيته في النار يؤذى أهل النار ريح قصبه فقد أخبر النبي عليه الصلاة والسلام في حديث أبي هريرة أن أول من بحر البحيرة عمرو بن لحي وهو أبو حزاعة من القحطانية (١) وآخر في حديث زيد بن أسلم أن أول من بحرهما رجل من مدلج وهم بطن من كنانة بن خزيمه بن مدركة من العدنانية . وأوليتهما انما هى بالنسبة لمن اتبعهما فيما ابتدعا فلا ينأى أولية غيرهما فاختلف المعنى لاختلاف الواضعين وقد أبطل الشارع ذلك وحرمه لقوله تعالى (ما جعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام) ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لا يعقلون) وقوله (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها الا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء (٢) سيجزيهم

(١) قال القاضى عياض المعروف فى نسب خزاعة انه عمرو بن لحي ابن قعدة بن الياس بن مضر وعليه فهو من العدنانية وان لم يكن من بنى مدلج (٢) الحجر الحرام كانوا لا يطعمون ما حرموا من الحرث والانعام الا من

وصفهم (١) انه حكيم عليم »

الاستقسام بالازلام

من عادتهم معرفة ما قدر لهم بالاستقسام بالازلام أى القداح فاذا أراد أحدهم سفرا أو غزوا أو تجارة أو أمرا من معازم الامور ضرب بالقداح وهى ثلاث قطع من الخشب مكتوب على بعضها نهای ربى وعلى بعضها أمرنى ربى وبعضها غفل كذا قال الفراء فان خرج الأمر مضى لطيمته وان خرج الناهى أمسك وان خرج الغفل أجالها عودا . وقيل كان يستقسم بقدحين مكتوب على أحدهما افعل وعلى الثانى لا تفعل . فان خرج افعل مضى وان خرج لا تفعل ترك وقيل كان لا يعصى حتى يخرج له لا تفعل ثلاث مرات فان خرج له مرة افعل ومرة لا تفعل ولم يخلص له أحدهما ثم مضى فى ذلك فقد مضى وهو يرجو ويخاف . وذهب ابن ظفر الى أن الازلام سبعة قداح مكتوب على أحدها نعم وعلى الآخر لا وعلى قدح منكم وعلى قدح من غيركم وعلى قدح ملصق وعلى قدح العقل وعلى قدح فضل العقل وكانت بيد سادن الاصنام فيأتيه ذو الحاجة بدراهم فيأل الصنم أن يوضح له ما سأل عنه بضرب القداح . وجعلها ابن هشام سبعة أيضا لكنه اسقط فضل العقل وجعل سابعها للمياه اذا أرادوا أن يحفروا المياه ضربوا به فما خرج عملوا به وذكر انها كانت عند الصنم هبل شياء وان من خدمة الاوثان والرجال دون النساء . وكانوا يجرمون ظهور السوائب والبحائر والحوامى وكانوا يجرمون ذكر اسم الله على بعض الانعام فلا يحجون عليها ولا يلبون على ظهورها كما حرموا ذكر اسمه تعالى على ما ذبح للانصنام وجعلوا ما فى بطونها لذكور دون الاناث . وفى الآية من الفقه الزجر عن التشبه بهم فى تخصيصهم الذكور دون الاناث بالهبات حكى البخارى فى التاريخ ان عمرة روت عن عائشة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال يعبد أحدكم الى المال فيجعله عند ذكور ولده ان هذا الا كما قال الله تعالى « وقالوا ما فى بطون هذه الانعام خالصة للذكورنا » (١) أى سيجزيهم الله بما كذبوا عليه فى التحليل والتحریم

فكانوا يذهبون اليه اذا ارادوا أمرا مما يستشار فيه ويعطون الذي يضرب بالقдах مائة درهم وجزور فان شكروا في نسب أحد قربوا من يشكون في نسبه ثم قالوا يا إلهنا هذا فلان ابن فلان قد أردنا به كذا وكذا فأخرج الحق فيه ويأمرون صاحب القдах أن يضرب بالقдах الموسومة بمنكم ومن غيركم وملصق فان خرج منكم أضافوا نسبه الى أنفسهم وان خرج من غيركم كان حليفه وان خرج عليه ملصق كان على منزلته فيهم لان نسب له ولا حلف واذا تنازعوا في العقل وهي دية المقتول أحضروا المتهم بالقتل واستقسم لهم الامين بقدحين أحدهما موسوم بالعقل والآخر غفل فان خرج الموسوم بالعقل تحمل الدية وان خرج الغفل لا وان اشتبهوا فيمن يحمل العقل منهم ضربوا بهذين القدحين أيضا فان خرج على قوم العقل برئ منه الآخرون وان عقلوا ففضل شيء فان اختلفوا فيه ضرب بالقдах الموسوم بفضل العقل فان خرج عليه أداه واذا أراءوا معرفة ما في فعل أمر من خير أو شر أجال لهم أمين القдах قدحى أمرني ربي ونهاني ربي (١) فان خرج قدح الامر اتهموا وباشروا المسئول عنه من حرب أو سفر أو زواج أو ختان أو بناء أو نحو ذلك وان خرج قدح النهي أخروا ذلك العمل الى سنة أخرى فاذا انقضت استقسموا مرة أخرى

هذا ما ذكره الثقات ويتاخص من كلامهم ان الاستقسام هام وخاص فالعام ما يزاوله كل واحد بان يعمد الى ثلاث قداح مكتوب على احدها امرني ربي وعلى الآخر نهاني ربي والثالث غفل فيضعها في خريطة ويحياها ثم يخرج منها واحدا فان خرج الامر فعل وان خرج النهي ترك وان خرج الغفل أعاد . والخاص وهو ما يراد منه الحكم لا مجرد الاستشارة . يكون لدى سادن الصنم كما اذا ارادوا معرفة من عليه العقل أو غير ذلك . وقال ابن اسحاق كان لهبل سبعة قداح يضرب بها على الميت والعذرة والسكاح وكان قربانه مائة بعير . وكان له حاجب . وكانوا اذا جاءوا هبل بالقربان ضربوا بالقдах وقالوا (١) يروى ان الاستقسام حينئذ بقدحين كتب على احدهما نعم وعلى

الآخر لا

انا اختلفنا فهب السراحا ثلاثة ياهبـل فصاحا
الميت والعذرة والذكاكا والمبرئ المريض والصحاها
ان لم تقله فر القداها

ولم يقصرها الفلقشـندي في صبح الاعشى على سبعة لقوله « كانوا اذا ارادوا فعل امر ولا يدرون ما الامر فيه أخذوا قداحا مكتوباً على بعضها افعل. وعلى بعضها لا تفعل وعلى بعضها نعم وعلى بعضها لا وعلى بعضها خذ وعلى بعضها سر وعلى بعضها مريع فاذا أراد احدهم سفراً مثلاً أتى سادن الارثان فيضرب له بتلك القداح ويقول اللهم أيها كان خيراً له فاخرجه فما خرج له عمل به واذا شكوا في نسب رجل أجالوا القداح وفي بعضها مكتوب صريح وفي بعضها مكتوب ملحق فان خرج الصريح اثبتوا نسبه وان خرج الملحق نفوه وان كان بين اثنين اختلاف في حق سعى كل منهما له سهما وأجالوا القداح فمن خرج سهمه فالحق له »
ومن شواهد الاستقسام عند النصب قول طرفة بن العبد

للقى عقل يعش به حيث تهدي ساقه قدمه
أخذ الازلام مقتسما فأنى اغواها زلمه (١)
عند انصاب لها زفر في صعيد حمة ادمه (٢)

واخبار استقسامهم كثيرة فنما ما حكاها الاصمغاني وغيره انهم كانوا يستقسمون عند ذي الخلصة وان امراً القيس لما قتل بنو أسد اباه حجراً اخذ أزالامه وأتى الصنم ذا الخلصة فاستقسم نخرج له القدح الذي يكره فكسر الازلام وضرب بها وجه الصنم وقال لو كان ابوك قتل ماعقتنى ثم انشد
لو كنت يا ذا الخلصة الموتورا مثلى وكان شيخك المقبوراً

(١) يروى : فافاض القدح مقتسما و (اغواهما) من الغواية وثنى الضمير في اغواهما وهو الازلام لان الشعر لحكم قافيته يحتمل ما لا يحتمله النثر و (الزلم) واحد الازلام

(٢) الانصاب الحجارة التي كانوا يذبحون عليها و (الصعيد) التراب و (حمة) كثيرة و (ادمه) جلوده يعنى جلود ما حمل الرجل الى الانصاب

لم تنه عن قتل العداة زورا

ثم خرج فظفر ببني أسد . قال أبو المذر فلم يستقسم أحد عند ذي الخليفة بعد ذلك حتى جاء الاسلام فكان امرؤ القيس أول من أخفره

ومن ذلك ما حكاه ابن اسحاق «أن عبد المطلب بن هاشم شرع في حفر بئر زمزم فلما تمادى به الحفر وجد فيها غزالين من ذهب وهما الغزالان اللذان دفنت جرمهم فيها حين خرجت من مكة ووجد فيها أسيافا قاعية (١) وأدراعا فقالت له قريش يا عبد المطلب لنا ملك في هذا شرك وحق قال لا ولكن هلموا الي أمر نصف ببني وينكم نضرب عليها بالقداح . قالوا وكيف تصنع قال أجعل للكعبة قدحين ولى قدحين ولكم قدحين فن خرج له قدحاه على شىء كان له ومن تخلف قدحاه فلا شىء له قالوا أنصفت فجعل قدحين أسودين له وقدحين أصفرين للكعبة وقدحين أبيضين لقريش وضرب صاحب القداح بها عندهبل أعظم أصنامهم وهو الذى عناه أبو سفيان بن حرب يوم أحد حين قال اعل هبل أى أظهر دينك فخرج الأصفران على الغزالين وخرج الاسودان على الاسياف والادراع لعبد المطلب وتخلف قدحا قريش فضرب عبد المطلب الاسياف بابا للكعبة وضرب في الباب الغزالين من ذهب فكان أول ذهب حليته الكعبة فيما يزعمون

ومنها ان قريشا استقسمت في غزوة بدر الكبرى عند هبل للخروج لحرب رسول الله فاستقسم أمية بن خلف وعتبة وشيبة نحر القدح الناهى فاجمعوا المقام حتى أزعجهم أبو جهل وخرج زمعة بن الاسود حتى اذا كان بذى طوى أخرج قداحه واستقسم بها نحر الناهى عن الخروج فلقي غيظا ثم أعادها الثانية فلقي مثل ذلك فكسرها وقال ما رأيت كاليوم قدحا كذب ومن الشواهد على استقسام الرؤساء بالازلام قول شمعلة بن أخضر الضبي جلبنا الخيل من أطراف فلج ترى فيها من الغزو أقورارا (٢)

(١) نسبة الى القلعة بلد ببلاد الهند واليه ينسب السيوف (٢) فلج اسم

بلد و (الاقورارا) الضمور والتغير

بكل طمرة وبـكل طرف يزبن سواد مقلته العذارا (١)
حوالى عاصب بالرأس منا جبين أغر يستلب الدرار (٢)
رئيس ما ينازعه رئيس سوى ضرب القداح اذا استنار
على أن منهم الحازم الذى لا يستشير قداحه بل اذا هم بالامر مضى فيه
كجدع بن سنان حيث يقول

أتانى قائم وبنو أبيه وقد جن الدجى والليل لاحا
وحذرني أمورا سوف تأتى أهر لها الصوارم والرماحا
سأمضى للذى قالوا بعزم ولا أبغى لذلك قداحا

وقد حدث الاستقسام بالازلام فيهم بعد أن كانوا يعتمدون في المعرفة
على الرؤيا المنامية . وقد رأى رسول الله صورة ابراهيم واسماعيل وفي
أيديهما الازلام فقال لقد علموا أنهما لم يستقسما قط وقد حرمه الله تعالى
وجعله رجسا أى مأثما وفسقا في قوله (انما الحجر والميسر والانصاب والازلام
رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه) وقال (وان تستقسما بالازلام ذاكم فسق)
واما حرمه لانه تهجم على علم الغيب الذى استأثر به علام الغيوب وقل (لا يعلم
من فى السموات والارض الغيب الا الله) فان الغيب لا يمكن ادراكه بصناعة
من الصناعات وافتراء على الله فى قوله أمرنى ربى ونهانى ربى وما يدريه أنه
أمره ونهاه . ومن الفسق أيضا الرجوع الى الكهنة والمنجمين لان مفسدته
كهذه المفسدة

❖ الاقسام ❖

اذا أراد أحدكم فعل أمر أو تركه وخشى أن تهن عزيمته قواها بالحلف
لان الحنث يوجب المؤاخذه . فكانوا يحلفون بمعبوداتهم وبشعائر دينهم

(١) الطمرة الفرس الكريم و (الطرف) الكريم الطرفين من
الامهات والآباء (٢) (الدر) النفس وجمعه الدرار يعنى أنه شجاع يفتهب
النفوس

وبما عظم فيه ولما كان قصد تعظيم المحلوف به غاية التعظيم هو داعية البر في
 اليقين وهذا نوع من أنواع العبادة وهى لاتتلىق لغير الله تعالى قال عليه الصلاة
 والسلام من كان حالفا فليحلف بالله أو ليصمت فحرم الحلف بالنبي وبأخذ من
 ذريته وبالكعبة والصالحين واماكن المسلمين خصوصا فى هذه الايام لبسوا
 الدين مقلوبا وفعلوا ما نهوا عنه (وكان العرب) مع اختلاف عقائدهم ونحلهم
 يحلفون بالله تعالى وبصفاته لانهم ما عبدوا الاصنام الا لتقربهم اليه بل كان
 الحلف به أعظم ايمانهم قال المابغة الديباني

حلفت فلم أترك لنفسك ريبة وليس وراء الله للمرء مذهب

وقال أوس بن حجر

وباللوات والعزى ومن داند دينها وبالله ان الله منهـن أكبر

ومن الحلف بصفاته تعالى قول عنتره العبسى

قسما بالذى أمات وأحيا وتولى الارواح والاجساما

وقول مهمل التغلبى

قتلوا كليباً ثم قالوا لا تثب كلا ورب البيت ذى الاحرام

وقولهم لا ورب هذه البنية . (١) لاوقائت (٢) نفسى القصير . وقولهم

لا والذى لا أنقيه الا بمقتله (٣) لاوالذى أخرج العذق (٤) من الجرعة (٥)

والنار من الوثيمة (٦) لاومقطع القطر . لاوفالق الاصباح . لاومهب الرياح .

لا ومنشر الارواح . لا والذى مسحت أعين كعبته . لا والذى جلد الابل

جلودها . لا والذى شق الجبال للسيل والرجال للخيول . لا وبارى الخلق .

لا والذى يرانى من حيث مانظر لا والذى نادى الحجييج له لا والذى رقصن

ببطحائه . لا والذى أمد اليه بيد قصيرة . لا والذى كل الشعوب تدينه .

(١) كغنية الكعبة (٢) القائت من القوت يعطيه قليلا قليلا -

(٣) أى كل شئ منى مقتل من حيث شاء قتلى (٤) النخلة (٥) الزواه

(٦) هى الموثومة أى المربوطة يريد به قدح حوافر الخيول النار من

لا والذي وجهى زمم بيته (١) لا والذي شقهن (٢) خمساً من واحدة لا والذي أخرج قاتبة من قوب (٣) وقد أكثروا من الحلف بشعائر الحج ومشاهده لانهم كانوا على اختلاف نحلهم يرون الحج من دين ابراهيم واسماعيل وحلف زهير ابن أبي سلمى بالكعبة فقال

فاقسمت بالبيت الذي طاف حوله رجال بنوه من قريش وجرحم وحلفوا بزمام والحطيم قال ابن دريد وسمى بالحطيم لان أهل الجاهلية كانوا يحلفون به فيحطم الكاذب وحلف زهير بن أبي سلمى بالمنازل من منى فقال فاقسمت جهداً بالمنازل من منى وما سحقت فيه المقادير والقمل حتى حلفوا بالابل التي تؤم مزدلفة فقالوا لا والراقصات ببطن جمع وبالي تؤم منى قال أعشى قيس

حلفت له بالراقصات الى منى اذا محرم خلفته بعد محرم وحلفوا بشهر رجب لتعظيمهم له لانه الشهر الذي كانوا يعتمرون فيه ويذبحون فيه العتيرة وهي الرجبية وحلف الوثنيون بالاصنام وبما ألبسته من الثياب وبالانصاب وهي حجارة كانت في الجاهلية يهل عليها ويذبح وبما هريق لها أو عايبها من الدماء قال مهلهل بن ربيعة

قتلوا كليباتم قالوا ارتعوا كذبوا لقد منعوا الجيادرتوعا كلا وانصاب لنا عادية معبودة قد قطعت تقطيما

وقال طرفة بن العبد يخاطب الملك عمرو بن هند
انى وجدك ما هجوتك وال أنصاب يسفح بينهن دم
وقال النابغة الذبياني

فلا لعمرو الذي مسحت كعبته وما هريق على الانصاب من جسد (٤)
ما قلت من سوء مما..... أتيت به اذا فلا رفعت سوطى الى يدي

(١) أى تجاهه وحذاءه - (٢) يعنون الاصابع (٣) يعنون فرخاً من بيضة

(٤) رواية فلا ورب الذي قد زرتة حججاً و (الجسد) والجساد الزعفران

والمراد به هنا الدم

وقال رشيد بن رميض العنزي
 حلفت بمائزات حول عوض وأنصاب تركن لدى السعير
 وقال المتلمس من قصيدة يهجو بها عمرو بن هند الملقب بالحرق
 أطردتني حذر الهجاء ولا واللات والانصاب لا تثل (١)
 وحلف مهلهل بن ربيعة بالحرام والحل فقال
 كذبوا والحرام والحل حتى يسذب الخدر بيضه المحجولا (٢)
 وحلف عدي بن زيد وكان نصرانيا بالله والصليب فقال يخاطب النعمان
 لما حبسه

سعى الاعداء لا يأثون شرا غلبك ورب مكة والصليب
 ارادوا كي تمهل عن عدى ليسجن او يدهده في القلب
 وحلفت النصاري بالابيل وهو الناسك والراهب قال في لسان العرب (وكانوا
 يعظمون الابيل فيحلفون به كما يحلفون بالله) حتى حلف الاعشى بمسوح
 الراهبان فقال :

حلفت بشوبي راهب الدير والى بناها قصي والمضاض بن جرهم
 وحلفوا بانفسهم فقالوا لعمري أى وبقائى ولعمرك قال طرفة بن العبد
 لعمرك ما أمرى على بغمة نهارى ولا ليلى على بسرمد (٣)
 وحلفت العرب بالآباء قال عروة بن الورد
 فلا واييك لو كاليوم أمرى ومن لك بالتدبر فى الامور
 وكانت قريش تحلف بأبائها فنهاهم النبي عليه السلام عن ذلك بقوله لا تحلفوا
 بابائكم (وكانوا) يحلفون بالملح والرماد كقول الاعشى فى حرب ذى قارفا
 رواه الاصمغاني فى الاغانى

حلفت بالملح والرماد وبالعسزى وباللات تسلم الحلقة

(١) أطردتنى أى صيرتنى طريدا . وىروى والله والانصاب . (و لا تثل)
 لا تنجو (٢) الحل بالكسر ما جاوز الحرم (٣) الغمة الكرب (والسرمد)
 الدائم اى اذا هممت بأمر أمضيته وأمضى همى بالليل ولا ابالى طوله

حتى يظل الهمام منجدلا ويقرع النبل طرة الدرقه
وقد اختلفوا في المراد باسمهم المقسم به من قول أعشى قيس
رضيحي لبان ثدى ام تحالفا باسمهم داج عوض لان تغرق
على سبعة أقوال ذكرها ابن السيد البطليموسى فى الافتضاب أولها هو
الرماد وكانوا يحلفون به قال الشاعر

حلفت بالملح والرماد وبالنـار وبالله تسلم الحلقة
حتى يظل الجواد منعفرا وتخضب النبل غرة الدرقه

(ثانيها) هو الليل (ثالثها) هو الرحم (رابعها) هو الدم لانهم كانوا
يغمسون ايديهم فيه اذا تحالفوا حكى هذه الاقوال الاربعة يعقوب وحكى
غيره وهو (الخامس) انه حلة الثدى وقيل وهو (السادس) زق الحر وقيل
وهو (السابع) دماء الذبائح التى كانت تذبح للاصنام وجعله اسمهم لان الدم
اذا بفس اسود قال ابن السيد وابعده هذه الاقوال من قال انه الرماد لان الرماد
لا يوصف بانه اسمهم ولا داج وانما يوصف بأنه أ ورق وبمن ذكر حلقهم بالنار
ابن قتيبة فى ابيات الممانى عند الكلام على اراء التحالف حيث قال كانوا يحلفون
بالنار وكانت لهم نار يقال أنها كانت بأشواف اليمن لها سدة فادا تقام الامر
بين القوم خلف بها انقطع النزاع بينهم وكان اسمها هولة والمهولة وكان سادتها
اذا أتى برجل هيمه من الحلف بها ولها قيم يطرح فيها الملح والكبريت فاذا
وقع فيها استشاطت فيقول هذه النار قد تهددتك فاحلف فان كان مريبا نكل
وان كان بريئا حلف قال أوس بن حجر يصف عيرا على مرتفع من الارض
اذا استقبلته الشمس صد بوجهه كما صد عن نار المهول حالف (١)
وقال الكميت

مخوفونا بالعمى هوة الردى كما شب نار الحالفين المهول
وقال ابو عبيدة كان فى الجاهلية لكل قوم نار وعاليها سدة وكان اذا
وقع بين الرجلين خصومة جاء من ثبت عليه اليمين الى النار فيحلف عندها
(١) كحدث المحلف

وكان السدنة يطرحون بهاملحا من حيث لا يشعر يهولون بها عليه قال الكميث
وذكر امرأة

فقد صرت عما لها بالمشيب زوالا لديها هو الازول

كهولة ما أوقد المحلفون لدى الخالفين وماهولوا (١)

وفي القاموس « التهويل شيء كان يفعل في الجاهلية اذا أرادوا أن
يستجلفوا انسانا أوقدوا نارا ليحلف عليها وكان السدنة يطرحون فيها ملححا
من حيث لا يشعر يهولون بها عليه والجمع التهويل ». والتجليف عند النار
أو بها أثر من آثار المجوسية سرى لهم من مجاورتهم لفارس

وحلفت الكهان بماجل قدره وعظم خطره كالسما والارض والليل
والنهار والشمس والقمر وامتازوا عن غيرهم بكثرة الايمان في صدر كلامهم
وأخبارهم بالمغيبات كقول سامي الهمدانية الحميرية

والخفو والوميض (٢) والشفق والاعريض (٣) والقلة والحضيض ان
خزيما لمنيع الجيز (٤) وقول زبراء أمة حويلة والليل الفاسق واللوح (٥)
الخافق والنجم الطارق والمزن الوادق ان شجر الوادي ليأدوا (٦) ختلا
وقول السكاكن الخزاعي لما تنافر اليه أمية بن عبد شمس وهاشم بن عبد مناف
والقمر الباهر والكوكب الزاهر والغمام المطر وما بالجومن طائروما اهدى
بعلم مسافر من منجد وغائر لقد سبق هاشم أمية الى المفاخر ولامية أواخر .
ولقد اقسم الله في القرآن بكثير من الازمنة والامكنة والاشياء وحاشاه ان
يحتاج في تأكيد اخباره الى القسم بشيء هو صنع قدرته بل اقسم لاغراض
منها تقرير وجود المقسم به في عقل من انكره وتعتظيم شأنه عند من احتقره
أولئك الغافل الى موضع العبرة فيه او غير ذلك من الاغراض الشريفة

(١) هاله هولا افزعه كهوله فاهتال

(٢) الخفو اللمعان الضعيف (والوميض) اشد من الخفو (٣) الاعريض
حجارة النورة (٤) الجيز الناحية (٥) اللوح بضم اللام الهاء بين السماء
والارض واللوح بفتح اللام العطش (٦) ادوت له ادوا ختلته

أما الحلف بالطلاق فما كانت العرب تعرفه ولا نستحلف به وفي محاضرات
الادباء ١ واول من استحلف به ابن مسleme وكان واليا على كرمان استحلف
جنده بالطلاق فقال بعضهم

رايت هذيانا حدثت في طلاقها طلاق نساء لم يسوقوا لها مهرا
وقيل ان اول من استحلف بالطلاق العباس بن عبد المطلب استحلف
الانصار ليلة العقبة حين اخذ عليهم البيعة لرسول الله « ويبعد صدور ذلك عن
العباس خاصة وعن العرب عامة لانهم لم يكونوا يذكرون الطلاق الا عند ارادة
حل عقدة الزواج وانى لم اثر على ذكر ذلك في سيرة من السير ولو صح لنقل
واستفاض . وكانت بيعة رسول الله ان يقول لمن بايعه بايعتك او ابايعك على
السمع والطاعة في العسر واليسر والمنشط والمكره فحدث الحجاج كما قال
ابن قيم الجوزية بيعة غير هذه تتضمن اليمين بالله تعالى والطلاق والعتاق
وصدقة المال والحج (كانوا) يغفلون الايمان بالحلف عند الامكنة المحترمة
كالانصاب وشاهده قول طرفة بن العبد

فأقسمت عند النصب انى لهالك بمثلقة ليست بغبط ولا خفض (١)

او مكة كقول زهير بن ابى سلمى

فتجمع أيمن منا ومنكم بمقسمة تمر بها الدماء (٢)

او الحطيم وفي القاموس « والحطيم حجر الكعبة او جداره او ما بين الركن
وزمزم والمقام وزاد بعضهم الحجر او من المقام الى الباب او ما بين الركن
الاسود الى الباب الى المقام حيث يتحطم الناس للدعاء وكانت الجاهلية
تتحالف هناك »

وكانوا يحرسون على البر في اليمين وعدم الخنث فيها حتى لقد زعم علماء
كندة كما حكاه الاصبهاني في الاغانى ان جد امرئ القيس وهو الحارث بن
عمرو بن حجر آكل المرار بن معاوية بن ثور وهو كندة خرج الى الصيد

(١) المتلفة المفازة و (بغبط) أى تغبط (٢) المقسمة موضع القسم

وأراد بها مكة حيث تنجر المدن فتسبل دماؤها

فألظ بئيس (١) من الظباء فأعجزه فألى الية ألياً كل اولاً الا من كبده فطلبته الخيل ثلاثاً فأنى بعد ثلثه وقد هلك جوعاً فشوى له بطنه فتناول فلذة من كبده فأكلها حارة فمات وفى ذلك يقول الوليد بن عدى الكندى فى بنى بجيلة فشوا فكان شواء هم خبطاله ان المنية لا تجل جليلاً

و(كانوا) لا يتركون المحلوف عليه الا اذا وجدوا مخرجاً من اليمين. وشاهده ما ذكره ابن رشيقي فى العمدة من ان المنذر بن ماء السماء حلف فى يوم اواراة الاول ليقتلن بكرى على راس اواراة حتى يلحق الدم بالحضيض فشفع لهم رضيع المنذر مالك بن كعب العجلي وقال للمنذر انا اخرجك من يمينك فصب الماء على الدم فلحق الارض وبر يمين المنذر فكشف عن القتل وماروى ان الحارث ابن عباد آلى الا يصالح تغلب حتى تكلمه الارض فلما كثرت وقائعه فى تغلب ورات تغلب انها لا تقوى عليه حفروا سرباً تحت الارض وادخلوا فيه رجلاً وقالوا اذا مر بك الحارث فغن بهذا البيت

أبا منذر أفنيت فاستبق بعضنا حنانيك بعض الشر أهون من بعض فلما أتى الحارث على ذلك الرجل غنى بذلك البيت فقيل للحارث بر قسمك فأبقى بقية قومك ففعل واصطلحت بكر وتغلب (وكانوا) يخافون عقوبة الله فى الحنث ولا نعلم من تجرأ على الله بالحلف حائثاً قبل امرى القيس فى قوله فقلت يمين الله أبرح قاعدا وان قطعوا رأسى لديك وأوصالى (٢) حلفت لها بالله حلقة فاحر لنا ما ان من حديث ولا صالى

ولقد نحناجوه الشماخ بن ضرار الغطفانى فى الاسلام فقال

وجاءت سليم قضها بقضيضها تمسح حولى بالبقيع سبالها (٣)

يقولونلى يا احلف ولست بحالف أخادعهم عنها لكيا أناها (٤)

(١) الظ به لازمه ولم يفارقه (٢) تعارفوا يمين الله حلفاً به تعالى (٣) قضها بقضيضها بالنصب أى منقضى آخرهم على اولهم و(البقيع) موضع بالمدينة و(السبال) جمع سبلة وهى مقدم الاحية

(٤) عنها أى عن الحلقة المفهومة من احلف أى يقولون احلف فأقول

ففرجت هم النفس عنى بحلفة كما قدت الشقراء عنها جلالها (١)
 يقول كشفت هم النفس عنى باليمين الكاذبة وخرجت من الهم كما خرجت الفرس
 الشقراء من جلالها . ومثله قول بعضهم
 سألوني اليمين فارتعت منها ليفروا بذلك الانخداع
 ثم ارسلتها كمنحدر السيل تعالى من المكان اليفاع
 ومثله قول ابن الرومي
 واني لدو حلف كاذب اذا ما اضطررت وفي الحال ضيق
 وهل من جناح على مسلم يدافع بالله ما لا يطيق

* التحالف *

التحالف التعاقد . ولقد دعانا لذكره ما يكون عنده من الاقسام بما هو
 محترم ديناً فقد كانت قبائلهم لكثرة شتمهم الغارات وطلبهم الثارات ووقوع
 العداوة والبغضاء فيما بين بعضهم وبعض تحتاج القبيلة لحفظ كيائها ان تتحالف
 مع قبيلة او اكثر حسبما تقتضيه حاجتها الى البقاء او رغبتها في الانتصار
 على الاعداء وقد يكون التحالف لكف القتال والصلح بعد الضال .
 وكانوا يغمسون ايديهم في دم أو خلو أو رب أو غير ذلك عند الحلف كناية
 عن صبغتهم بصبغة واحدة فمن التحالف بغمس اليد في الدم ما كان من تحالف
 قبائل عبد الدار ونجروم وعدى وسهم وجمح فانهم عند ما تحالفوا على الا
 يتخاذلوا ولا يسلم بعضهم بعضاً اخرجوا جفنة مملوءة دم جزور نحروها وقالوا
 من ادخل يده في دمها فلحق منه فهو منا ففعلوا ذلك فسموا لعقة الدم لذلك .
 ومن ذلك ايضاً ما كان من امر الدم الذي قربوه عندما ارادوا الحلف مع
 الهجرس بن كليب وذكر خبر ذلك الاصفهاني في الاغانى قال

لا احلف حتى يقبلوها مى فاحلف فتنقطع الخصومة (١) قدت شقت والجل
 بالضم وبالفتح ما تلبسه الدابة لتصان به

« ان جساسا لما قتل كليبا وكانت اخت جساس تحت كليب فرجعت الى اهلها ووقعت الحرب بين الفريقين زمنا طويلا ثم صاروا الى المودعة بعد ما كادت القبيلتان تتفانيان فولدت اخت جساس غلاما سمته الهجرس رباه جساس فكان لا يعرف اباً غيره فزوجه ابنته فوقع بين الهجرس وبين رجل من بني بكر بن وائل كلام فقال البكرى ما انت بمنته حتى تلحقك بأبيك فأمسك عنه ودخل الى امه كئيبي فسالته عما به فأخبرها الخبر فلما آوى الى فراشه ونام الى جنب امراته وضع انفه بين ثدييها فتنفس تنفسا ما بين ثدييها من حرارتها فقامت الجارية فزعة قد افلتتها رعدة حتى دخلت على ابيها فقصت عليه قصة الهجرس فقال جساس نأثر ورب الكعبة وبات جساس على مثل الرصف حتى اصبح فارسل الى الهجرس فأثاه فقال له انما انت ولدى ومنى بالمكان الذى قد علمت وقد زوجتك ابنتى وانت معى وقد كانت الحرب فى ابيك زمانا طويلا حتى كدنا نتفانى وقد اصطاحنا وتحاجزنا وقد رايت ان تدخل فيما دخل فيه الناس من الصلح وان تنطلق حتى نأخذ عليك مثلما اخذ علينا وعلى قومنا فقال الهجرس انا فاعل ولكن مثلى لا يأتى قومه الا ببلاء مته وفرسه خمله جساس على فرس واعطاه لأمه ودرعا . نخرجا حتى اتيا جماعة من قومهما فقص عليهم جساس ما كانوا فيه من البلاء وما صاروا فيه من العافية . ثم قال وهذا الفتى ابن اختى قد جاء ليدخل فيما دخلتم فيه ويعقد ماعدتكم . فلما قربوا الدم وقاموا الى العقد اخذ الهجرس بوسط رمحه ثم قال . اما وفرسى واذنيه ورمحى ونصليه . وسيفى وغراريه لا يترك الرجل قاتل ابيه وهو ينظر اليه ثم طعن جساسا فقتله ثم لحق بقومه » . ومن ذلك ما كان من بكر بن وائل وذلك ان جساس بن مرة لما قتل كليبا اخذه ابوه فأوثقه رباطا وجعله فى بيت ثم دعا بطون بكر بن وائل واستشارهم فى امره . فقال سعد بن مالك بن صبيبة البكرى لا والله ما نعطي تغلب جساسا ولنقاتلن دونه حتى نفنى جميعا فدعا بخزور فنحرت ثم تحالفوا على الدم . ومن ذلك ما قيل ان جثعم وهم بطن من انمار سموا بذلك من التخمع وهو التملطخ بالدم وذلك انهم نحروا بعيرا

وغمسوا ايديهم في دمه واحتلفوا عليه

ومن التحالف بغمس اليد في الخلق ما كان من امر بنى عبد مناف وبنى اسد بن عبد العزى وزهرة بن كلاب وتيم بن مرة والحارث بن فهر فانهم تحالفوا على النصرة وغمسوا ايديهم في جفنة مملوءة طيباً ثم مسحوا الكعبة بأيديهم توكيداً على انفسهم فسموا بالمطيبين لذلك . ومن ذلك ما روى ان منشم كانت صرب المثل بعطرها فقبل اشأم من عطر منشم ودقوا بينهم عطر منشم كانت امرأة عطارة تبيع الطيب فكانوا اذا قصدوا الحرب غمسوا ايديهم في طيبها وتحالفوا عليه بأن يستमितوا في تلك الحرب ولا يولوا أو يقتلوا

ومن التحالف بغمس اليد في الرب ما كان من أمر بنى عبد مناة بن اد بن طابخة وهم تيم وعدى وعكلى وثور فانهم غمسوا ايديهم في الرب في حلف على بنى صبة فلقبوا بالرباب كذا في العقد الفريد وفي القاموس والرباب احياء نسبة لانهم ادخلوا ايديهم في رب وتعاقدوا - والرب بالضم سلافة خثارة كل ثمرة بعد اعتصارها وثقل السمن و (كانوا) يوقدون نارا عند التحالف وذكرها الجاحظ في البيان والتبيين فقال : وكانوا يتحالفون على النار ويتعاقدون ويأخذون العهد المؤكد واليمين الغموس مثل قولهم ماسرى نجم وهبت ريح وبل بحر صوفة وخالفت جرة درة . ولذلك قال الحارث بن حازة اليشكري . واذكروا حلف ذى الجواز وما دم فيه اليهود والكفلاء

حذر الخون والتعدى وهل تنقض ما في المهارق الالهواء (١) وقال في كتاب الحيوان « كانوا لا يعقدون حلفهم الا عند نار فيذكرون عند ذلك منافعها ويدعون الله بالحرمان والمنع من منافعها على الذى ينقض عهد الحلف ويخيس بالعهد ويقولون في الحلف الدم الدم (٢) والهدم الهدم

(١) الخون الخيانة ويروى الجور و (المهرق) الصحيفة جمعه مهارق

(٢) قال ابن قتيبة : كانت العرب تقول عند عقد الحلف والجوار دى دمك وهدى هدمك أى ما هدمت من الدماء هدمته انا ويقال أيضاً بل الدم الدم والهدم الهدم وأنشد (ثم الحقى بهدى ولدى) فالدم

(بحر كون الدال في هذا الموضع) (١) لا يزيد طول الشمس الا شدا وطول الليالي
الامدا مابل البحر صوفة وما أقام رضوى في مكانه ان كان جبلهم رضوى
وكل قوم يذكرون جبلهم وربما دنوا منها حتى تكاد تحرقهم ويهلون على من
تخاف عليه الغدر بحقوقها ومنافعها والنخوف من حرمان منفعتها . ولقد
يحالفت قبائل من مرة بن عوف عند نار فدنوا منها حتى محشتهم فسموا الحاش
وربما تحالفوا وتعافدوا على الملح قال الشاعر

حلفت لهم بالملح والقوم شهد وبالنار واللات التي هي أعظم
والملح شيئان أحدهما المرققة والآخر اللبن وأنشدوا الشقيم بن خويلد
الغزاري

لا يبعد الله رب العباد والملح ما ولدت خالده
وأنشدوا في قول أبي الطمحان

واني لارجو ملجها في بطونكم وما بسطت من جلد أشعث أغبر
وذلك أنه كان جاورهم فكان يسقيهم الابن كانه يقول كنتم مهزبل
والمهزول يتكشف جلده وينقبض فبسط ذلك من جلودكم « قال ابن السيد
البطليوسي ولانهم كانوا يتحالفون على النار ذكر اعشى بكر المار عند المحالفة
في قصيدته التي امتدح بها المخلق حيث قال

لعمري قد لاحت عيون كثيرة الى ضوء نار في يفاع تحرق

تشب لمقرورين يصطليانها وبات على النار المدى والمخلق

رضيحي لبان ندى أم تحالفا باسمح داج عوض لا تتفرق

جمع لادم وهم أهله الذين يلتدون عليه اذا مات وهو من لدمت صدره اذا ضربته
(١) قال ابن هشام الهدم بفتح الدال الحرمة وانما كنى عن حرمة الرجل
وأهله بالهدم لانهم كانوا أهل نجمة وارتحال ولهم بيوت يستخفونها يوم ظعنهم
فكلما ظعنوا هدموها والهدم بمعنى المهدوم كالقبض بمعنى المقبوض ثم جعلوا
الهدم وهو البيت المهدوم عبارة عما حوى فهو كقولهم هدمي هدمك أى رحلتى
مع رحلتك أى لا أظعن وأدعك وأنشد يعقوب (كانها هدم في الجفر منقاض)

وعلى العسكري تحالفهم على النار بأن منفعتها تختص بالإنسان لا يشاركه فيها غيره من الحيوان. وأرى أن حلفهم بالنار وتعاقدهم عليها أثر من آثار الديانة الجوسية سرى اليهم من مجاورتهم لفارس ثم رأيت ابن عبد ربه قال في العقد الفريد في بيت الاعشى المتقدم « قوله تقاسما باسحج داج يقول تحالفا على الرماد وهذا شئ تفعله الفرس لا ينفرقوا أبد الدهر » فإذا كان تحالفهم على الرماد الذي هو أثر النار المقدسة جاءهم من مجاورتهم الفرس فلان يكون تحالفهم على المار جاءهم من مجاورتهم الفرس من باب أولى

❖ الدعاء ❖

العربي ككل انسان ذى دين اذا نزل به مكروه لجأ الى المعبوده في كشف الضر عنه وادا أصابه قوى بمصيبة أضرع لبارئته أن ينتقم له ممن ظلمه وكانوا يعتقدون أن من دعى عليه فاضطجع لم تستجب فيه دعوة الداعي وشاهد ذلك ما حصل عند دعوة خبيب بن عدى وذلك انه قدم رهط من عضل والقارة وهما قبيلتان من الهون بن خزيمه بن مدركة على رسول الله فقالوا يا رسول الله ان فينا اسلاما فابعث الينا من يفقهوننا في الدين فبعث اليهم ستة نفر منهم خبيب بن عدى فغدروا بهم وباعوا خبيبا من قريش بأسير من هذيل كان بمكة فابتاع خبيبا حجير بن أبي اهاب التميمي لعقبة بن الحارث بن عامر ليقتله بأبيه فأقام في أيديهم حتى انقضت الاشهر الحرم ثم خرجوا به الى التنعيم ليصاموه ورفعوه على خشبة وقتلوه طعنا بحربة قال ابن اسحاق « فلما أوثقوا خبيبا قال : اللهم احصهم عددا واقتلهم بددا ولا تغادر منهم أحدا ثم قتلوه رحمه الله فكان معاوية بن أبي سفيان يقول حضرته يومئذ فيمن حضره مع أبي سفيان فلقد رأيت يلقى الى الارض فرقا من دعوة خبيب وكانوا يقولون ان الرجل اذا دعى عامه فاضطجع لجنبه زالت عنه »

❖ الصابئون ❖

ينسب الصابئون دينهم الى سيدنا نوح والى ابراهيم الخليل بالتلقى عن نوح

وعن أدريس ومنهم عبدة الاصنام والكواكب والفئة الباقية منهم على معتقدها الالهى بعد أن مزجته بالعقليات يتوجهون في عبادتهم للقطب الشمالى ويصلون ثمانى ركعات عند ظهور شفق الشمس الشروق وخمسا وقت الزوال ومثلها وقت غروب الشمس يسجدون في كل ركعة منها ثلاث سجدة بلا انحناء ويتلون في قيامهم وسجودهم كلمات تشتمل على مناجاة ودعوات واستغفار ويصومون في كل سنة ثلاثين يوما عدد ما تقطعه الشمس في كل برج من بروجها يسكون فيها عن الطعام والشراب من شفق شروق الشمس الى شفق غروبها ويفطرون على غير اللحوم من الالبان والنباتات الا ما حرم منها عندهم يصومون من الثلاثين يوما أربعة عشر يوما متتالية في فصل الشتاء موافقة لاعداد الكواكب السبعة وأفلا كها وسبعة أيام في الربيع موافقة لاعداد الكواكب وحدها وتسعة ايام في أواخر الصيف موافقة للافلاك السبعة مع فلكى الثوابت والمحيط ويقدمون الضحايا في هياكلهم ومعابدهم للسنة والفقراء ويعظمون الكواكب لاعتقادهم أنها أعظم أثر الهى فعال في الاجرام السفلية ويمنعون توريث الفاسق من العدل ويعتقدون بعث الارواح لا الاجسام وطهارة النفس العاصية بعد تعذيبها ثلاثة آلاف سنة وان الرسل لم يبعثهم الله بل هم ملهمون من المجدات وان الخير من الله والشر من النفوس وان الله لا تدركه الابصار لا في هذه الدار ولا في الدار الآخرة وحرروا تعذيب الحيوان وقتله الا ما أحل كل لحمه وكلاهما ثم لا يكفر الا بالضحايا المبينة في كتبهم . ذلك هو الاصل ثم تعددت المذاهب واختلفت فبعضها يحرم من النبات والحيوان ما أحله الآخر وبعضها يحل زواج امرأة الاب التي لم تعقب منه والبعض يحرمها مطلقا وبعضها يوجب غسل جراحات القتل عند دفنه والآخر يحرمه الى غير ذلك من القروع ثم اشتغلوا بالاهيات الحكماء وكتب الفلاسفة على أنها كتب تعليم وارشاد ككتب الرسل والصابئون يعتقدون في الانواء اعتقاد المنجمين في السيارات حتى لا يتحرك أحدهم ولا يسكن ولا يسافر ولا يقيم الا بنوء من الانواء ويقول مطرنا

بنوء كذا وهم ينقسمون الى مؤمن وكافر ولذلك ذكرهم الله تعالى في الامم الاربع الذين تنقسم كل أمة منهم الى ناج وهالك في قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والنصارى والصابئين من آمن بالله واليوم الآخر وعمل صالحا فلهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) فذكرهم في آية الوعد بالجنة لذلك ولما ذكر المجوس والمشركين وليس منهم سعيد حكم عليهم بالفصل بينهم في قوله (ان الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا ان الله يفصل بينهم يوم القيامة) وحران دار الصابئة وهم فرق فصائبة حنفاء وصابئة مشركون وصابئة فلاسفة وصابئة يأخذون محاسن ما عايناهم الملل والنحل من غير تقيد بجملة ومنهم من يقر بالنبوات جملة ويتوقف في التفصيل ومنهم من يقر بها جملة وتفصيلا ومنهم من ينكرها جملة وتفصيلا

والمشركون منهم يعبدون الله بالتقرب للكواكب والعلويات بأنواع للعبادة من التضرع والابتغال بالدعوات والصلوات وذبح القرابين والبخور والعزائم لتستمد نفوسهم منها بغير واسطة الرسل وأقاموا لها الهياكل للعبادة فكان كفرهم لعبادة العلويات والكواكب

عبادتهم الكواكب وآثار عبادتهم لها

نظر فريق من الناس الى الكواكب نظر المتقدمين من علماء النجوم من حيث تأثير الكواكب في هذا العالم فجمعوا الموجودات الارضية أثرا للشمس عند قوم وللکواكب بتوزيع التأثير فيها عند آخرين وهذه الطائفة ترى الكواكب مدبرة لهذا العالم وعنهما يصدر ما فيه من خير وشر وسعادة ونحس وغير ذلك بسبب أوضاع الكواكب من الثلاث والتسديس والتربيع ومقارنة كوكبين أو أكثر من الكواكب السبعة السيارة في درجة واحدة من برج واحد ومن الصابئين من عدل عن معتقده الالهى فاعتقد التأثير للكواكب وهؤلاء ثلاث فرق (الفرقة الاولى) ذهبوا الى أن الكواكب واجبة

الوجود لذاتها غير محتاجة الى مخصص و (الفرقة الثانية) ترى أن الكواكب
آلهة . ولكل منها عمل قائم به في هذا العالم يصدر عنه لا يقدر عليه غيره وانها
أبدية الوجود أزلية الاولوية تجرى أحكامها لا لغاية (والفرقة الثالثة) ترى
أن لهذه الكواكب والافلاك الهاً مبداً أعطاهها قدرة و ارادة ذاتية نافذة
في هذا العالم وفوض اليها تدبيره وهذه الطوائف كان لها عصبية في بلاد
العرب فدانت العرب بهذا الدين واعتقدته وبنوا الهياكل العظيمة للشمس
وقربوا لها القرايين وحجوا اليها وذبحوا لها الذبائح واعتكفوا عندها خاضعين
عابدين وأول من دان بهذا الدين من العرب قبائل سبأ الحميرية فلما تهدمت
سدودهم وتحزبت أراضيتهم تفرقوا في بلاد العرب وقبائلها فانتشرد دينهم في القبائل
التي نزلوا بها أو جاوروها والبطون التي سكنوا معها وعاشروها حتى شاع في
بلاد العرب وانتقل منها الى مجاوريتهم أهل الحبشة والشام ومن قبائل سبأ قوم
بلمقيس وقد حكى القرآن حديث الهدهد لسيدنا سليمان عبادتها وقومها في قوله
« وجئتك من سبأ نبأً يقيناً اني وجدت امرأة تملكهم واوتيت من كل شئ ولها
عرش عظيم وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان
أعمالهم فصدّهم عن السبيل فهم لا يهتدون » وعبدت تمود الشمس وكانوا بين
الحجاز والشام بأرض الحجر فدعاهم صالح لعبادة الله تعالى وهدم هياكل الشمس
فما آمن به الا قليل . وأخص أنواع عبادتهم للشمس كانت بالسجود لها عند
شروقها وعند غروبها وعند توسطها السماء فللهذا نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن
الصلاة في هذه الاوقات قطعاً لمشابهة الكفار ظاهراً وسداً لذريعة الشرك
وبعض كتمانها كانت تعبد القمر والديبران وبنو لخم وجرهم كانوا يسجدون
للمشترى ومن العرب من عبد عطار وبنو طي عبد بعضهم سهيلاً وبعضهم
النريا وهي عدة كواكب مجتمعة وبعض قبائل ربيعة عبدوا المرزم كمنبر
(والمرزمان نجمان مع الشعريين يسمى أحدهما كف الكلب وهو يتبع الشعري
العبور وثانيهما هو الكوكب الاخفى من كوكبي الذراع) وطائفة من تميم
عبدوا الديبران وبعض قبائل لخم وخزاعة وقريش عبدوا الشعري العبور

وهي الشعرى اليمانية ذكر بعضهم ان اول من سن لهم ذلك أبو كبشة وجزء ابن غالب جد وهب بن عبد مناف وهو أبو آمنة أم نبيينا عليه السلام فلما بعث الرسول وخالف العرب في عبادتهم الاوثان دعوه بابن أبي كبشة (١) لمخالفته لهم كخالفه أبي كبشة لقومه في عبادة الشعرى

قال ابن قتيبة « وكان قوم في الجاهلية عبدوا الشعرى العبور وفتنوا بها وكان أبو كبشة الذي كان المشركون ينسبون اليه رسول الله صلى الله عليه وسلم أول من عبدها وقال قطعت السماء عرضا ولم يقطع السماء عرضا غيرها وعبدها وخالف قريشا فلما بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم ودعا الى عبادة الله وترك عبادة الاوثان قالوا هذا ابن أبي كبشة أى شبهه ومثله » وخص الله الشعرى بالذكر في قوله : « وانه هو رب الشعرى » اما لعبادة كثير منهم لها واما للاشعار بأن النبي عليه السلام ان وافق أبا كبشة في مخالفته دين قومه فانه يخالفه في أن دين أبي كبشة باطل ودين محمد الحق لعبادته الله تعالى أما آثار عبادتهم لاكوا كب فمنها تسميتهم أنفسهم بأسماء مضافة لها بالعبودية كعبد شمس وعبد المشتري فان ذلك دليل على عبادتهم لها ومنها تسميتهم للشمس بالالهة والالاهة قال الشاعر

تروحننا من الالعباء عصرا واعجلنا الالاهة أن تؤوبا (٢)

قال الفارسي سموها الالهة على نحو تعظيمهم لها وعبادتهم اياها وعلى ذلك نهاهم الله عز وجل عن عبادتها وأمرهم بالتوجه في العبادة اليه دون ما خلقه وأوجده بعد ان لم يكن فقال « ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لا تسجدوا للشمس ولا للقمر واسجدوا لله الذي خلقهن »

(١) في القاموس وكان المشركون يقولون للنبي ابن أبي كبشة شبهوه بأبي كبشة رجل من خزاعة خالف قريشا في عبادة الاوثان أو هي كنية وهب بن عبد مناف جده صلى الله عليه وسلم من قبل أمه لانه كان نزع اليه في الشبه أو كنية زوج حليمة السعدية أو كنية عم ولدها (٢) تروحننا سرنا وقت الرواح وهو العشى أو من الزوال الى الليل (العباء) اسم مكان و (اعجلنا) سبقنا

ومن آثار عبادة الشمس ما يفعله الغلام اذا سقطت سنه وذلك انه كان اذا سقطت له سن أخذها بين السجاية والابهام واستقبل الشمس اذا طلعت وقذف بها وقال : يا شمس أبدلينى بهاسنا أحسن منها ولتجر فى ظلمها أياتك أويقول اياؤك وهما جميعا شعاع الشمس زعموا انه يأمن على اسنانه العوج اذا صنع ذلك . والى هذا أشار شاعرهم

شادن يجلو اذا ما ابتسمت عن اقاح كأقاح الرمل غر
بدلته الشمس من منبته برداً أبيض مصقول الاثر (١)
وقال طرفه بن العبد البكرى يصف ثغر محبوبته

سقته آية الشمس الا لثاته أسف ولم تكدم عليه بأثمد (٢)
وقال آخر

وأشذب واضح عذب الثنايا كأن رضا به صافى المدام
كسته الشمس لونا من سناها فلاح كأنه برق الغمام
وقال آخر

بذى أشر عذب المذاق تفردت به الشمس حتى عاد أبيض ناصعا

ووجه كون هذه العادة من آثار عبادة الشمس ان الشمس كانت من معبوداتهم فى الجاهلية والعبد يطالب من معبوده سؤاله والاباء يلقنون عقائدهم لابنائهم فالظاهر أن يكون عابد الشمس علم ولده أن يسأل معبوده الشمس أن تبدله بسنه التى سقطت سنا أخرى خيرا منها بريئة من الفساد والعوج ويكون الولد قد امثل أمر والده فسمعه غيره من الابناء الذين لم تسكن الشمس معبودة لهم ولا لابائهم فقلدوه . وبهذا البيان لا تكون هذه العادة من الاوابد التى

(١) أشر الاسنان التحزين الذى يكون فيها خلقة ومستعملا يقال أشرت

المرأة أسنانها حزرتها وهذا كان من صنيعهم (٢) أى ثغرها براق اللثاته فانها حواء و (أسف) ذر عليه و (الاثمد) الكحل و (اللثات) اللحم الذى تنبت فيه الاسنان و (آية الشمس) ضوءها و (لم تكدم) لم تعض و (بأثمد) متعلق بأسف أى ذر الاثمد على اللثاة والشفاه وكانت تلك عاداتهم التى يستحبونها

لا يفهم معناها ولا يزال الخلف ينقل هذه العادة عن السلف في الولد اذ اليوم
من اذا سقطت سنه رمى بها في عين الشمس وقال « ياشمس يا شمس خذى سنة
الحمار وهاتى سنة العروسة »

✽ المجوسية والزندقة ✽

المجوس يمتقدون نبوة ابراهيم الخليل وقد بحثوا في كتب الحكماء مقتصرين
على مبحثي التكوين والخير والشر فنظروا في مبحث التكوين الى انفصال الحرارة
التكوينية من ممكن الصادر الاول ثم تدرجها الى الحرارة المركزية بالنسبة
لبطن الارض ومحيط سطحها وبها صارت الارض ذات رواب وجبال وصحارى
وجزائر ونظروا للانسان من حيث تركيبه وأصل نشأته فجعلوه ابن الارض التي
هى بنت الحرارة المتعاقبة عندهم للقدرة الالهية فاتخذوا النار من حيث هى أثر
الأله وفيها صفته التكوينية دالا على معبود ومع تقادم الزمن وكثرة تصرف
الرؤساء الدينيين في هذا الاصل اختلفوا في الاعتقاد حتى قالت طائفة منهم
أن النار معبود قائم بذاته ونظر قدماءهم في مبحث الخير والشر لقول الحكماء
ان البارئ بتوحيد ذاته جهة واعتبارا يستحيل صدور التكثر عنه لانه لو صدر
الخير والشر عنه لكان عين التكثر في امكانه وهو باطل فقالوا بوجود فاعلين
أزليين يصدر عن أحدهما الخير وعن الثاني الشر فاعتقدوا بوجود الهين أحدهما
نور ومبدأ الخير كله ويسمونه أرمزاد أو يزدان والثاني ظلام ومبدأ الشر
كله ويسمونه اهرمان او اهرمن يكون الغالب منهما إله الشر متى كثرت
الشرور ومنه يطلب الانسان الشر والبلاء لأعدائه ويغلب إله الخير متى كثرت
الخيرات واليه يضرع الانسان في طلب الخير لنفسه ولا حباؤه وهؤلاء هم الثنوية
وانتهى الامر بالمتأخرين أن صوروا الههم بصورة على كنفها صورتا الخير
والشر ولما نشأ زرادشت بن بيورشت المتوفى سنة ٤٨٧ قبل الميلاد أبطل
القول بألهي النور والظلمة وعلمهم أن الاله واحد وانه خلق ملكى الدور
والظلام وان الشر في العالم يصدر عن طبيعة المخلوقات وعند انتهاء العالم تبعث

الاموات للجزاء فيسجن ملك الظلام وأتباعه في مكان ظلمة وعذاب أبدي ،
 أما ملك النور وأتباعه فيجتمعون خالدين في مكان نور وسعادة وشرع لهم
 شرائع مدونة في مجلدات والمجوس تقر بنبوته وأتباعه غم الزرادشتية ولم يكن
 للمجوس هياكل قبله وكانوا يسجدون للشمس لأنهم يزعمون انها مسكن الاله
 والنار لمشابتها للشمس في الحرارة والنور فأمرهم ببناء الهياكل حتى لا ينعمهم
 مزاج الفلك عن العبادة في أى وقت وجسد لهم بيوت النيران التي أخذها
 منوشهر وأخبرهم انه عرج الى السماء ورأى الله في سحابة لامعة وسمع صوته
 ثم هبط منها بقدس من النار اشعلت به النار المقدسة التي في هياكلهم ولا يجوزون
 للكهنة تفخها بأفواههم ومن يفعل ذلك فجزاؤه القتل ولا يقربها الكهنة الا
 وعلى وجوههم براقع لئلا يفسدوها بانفاسهم ولا يطفئونها ليلا ولا نهارا
 ووقودها حطب نظيف مقشور وان انطفأت لاتجدد الا من نار هيكل آخر .
 وهو الذي شرع لهم عيد النيروز أى اليوم الجديد في الاعتدال الربيعي وعيد
 المهرجان أى الخريف في الاعتدال الخريفي ولما ظهر مزدك الخارجي في أيام قباز
 ابن فيروز بن يزديجرد زعم انه يدعو الى شريعة ابراهيم واستحل المحارم
 والمنكرات وسوى بين الناس في الاموال والاملاك والنساء والعبيد والاماء
 حتى لا يكون لاحد على أحد فضل في شئ وكان يأخذ امرأة هذا فيسلمها الى
 ذاك وكذا في العبيد والاماء والاموال فكثير أتباعه وعظم شأنه ، وكان مما
 شرعه تحريم ذبح الحيوان واكتفاء الانسان في طعامه بما تنبت الارض وما
 يتولد من الحيوان كالبيض واللبن والسمن والجبن وأتباعهم المزدكية .

وقد دخلت المجوسية بلاد العرب قال ابن قتيبة « وكانت المجوسية في تميم
 منهم زرارة بن عدس التميمي وابنه حاجب بن زرارة وكان تزوج ابنته ثم ندم
 (١) ومنهم الاقرع بن حابس (٢) كان مجوسيا وأبو سود جد وكيع بن
 حسان كان مجوسيا . »

(١) ندم لان زواج البنات كان من الفواحش عند قريش في الجاهلية

(٢) أدرك الاسلام فأسلم وله صحبة

وفي تاريخ ابن الاثير قال بعض العلماء ان المجوسية كان يدين بها بعض العرب بالبحرين فكان زرارة بن عدس وابناه حاجب ولقيط والاقرع بن خابض وغيرهم مجوسا وان لقيط تزوج ابنته دختنوس وسماها بهذا الاسم الفارسي وقتل وهي زوج له فقال في ذلك

ياليت شعري عنك دختنوس اذا أتاها الخبر المرموس

أتلقى القرون أو تميم لا بل تميمس انها عروس

وقال أبو زيد احمد بن سهل البلخي في كتابه البدء والتاريخ (كانت المزدكية والمجوسية في تميم) ومن آثار هذه الديانة فيهم نار الاستسقاء ونار الحلف وحلفهم بالرماد والنار

وأما الزندقة فكانت عند العرب أيضا : قال ابن قتيبة في كتاب المعارف عند الكلام على أديان العرب في الجاهلية وكانت الزندقة في قريش أخذوها عن الحيرة . وقال البلخي في كتاب البدء والتاريخ كانت الزندقة والتعطيل في قريش وقال ابن الاثير في تاريخه وفي أيام قباذ بن فيروز بن يزدجرد ملك الفرس خرج مزدك فدعا الناس الى الزندقة فأجابه قباذ الى ذلك ودعا قباذ المنذر بن ماء السماء عامله على الحيرة ونواحيها فامتنع فدعا الحارث بن عمرو بن حجر آكل المزار ملك نجد الى ذلك فأجابه فاستعمله على الحيرة وطارده المنذر من مملكته وفي القاموس (الزنديق بالكسر من الثنوية أو القائل بالنور والظلمة أو من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية أو من يبطن الكفر ويظهر الإيمان أو هو معرب زن دين أي دين المرأة) وفي اللسان الزنديق القائل ببقاء الدهر فارسي معرب وهو بالفارسية زندكراي يقول بدوام الدهر والزندقة الضيق وقيل الزنديق منه لانه ضيق على نفسه ورد ابن الكمال اذهب اليه القاموس من انه معرب زن دين وقال ان زنداسم كتاب أظهره مزدك رئيس الفرقة المزدكية من الفرق الثنوية ونقل بعضهم عن ابن خلدون انه قال ان زرادشت بن بيورشت الحكيم جاء بكتاب ادعاه وحيا وان كيستاسف وضع هذا الكتاب في هيكل باصطخر ووكل به الهرامزة ومنع العامة من تعليمه ويسمى هذا الكتاب تستاه ثم

فسره زرادشت ومعى تفسيره زند ثم فسر التفسير ثانيا وسماه زنديه فكانت هذه اللفظة أصلا لكلمة زنديق لان العرب عربتها هكذا واختصت في عرف الشرع بمن يظهر الاسلام ويبطن الكفر والظاهر ان ابن قتيبة يريد بالزندقة احدى الفرق المجوسية من الثنوية أو المرذكية أو الزرادشتية بدليل قوله اخذوها عن الحيرة فان الحيرة وان كانت من بلاد الفرس سكانها وملوكها العرب دينهم دين الفرس أو دين المسيح ولو كانت مراده من لا يؤمن بالآخرة وبالربوبية لم يكن لاخذها من الحيرة وجه فان كثيرا من قبائل العرب كانوا كذلك .

﴿الموحدون من العرب﴾

كانت العرب قبل البعثة عدا من كان على دين سماوى أو غير سماوى مشركين يعبدون الاصنام الإله من أنار الله بصائرهم وهم أفراد قليلون وأحدوا الله وعبدوه بما ارتضته عقولهم أو بما أخذوه عن الشرائع السابقة ولا نخلى كتابنا من ذكر بعضهم فمنهم (تبع الاول) و(خالد بن سنان العبسى) و(حنظلة بن صفوان) وذكرت خبرهم في المختلف في نبوتهم من العرب ومنهم (زيد بن عمرو بن نفيل بن عبد العزى) وقد خلاص هو وورقة بن نوفل ابن أسد وعبيد الله بن جحش بن ذئب وعثمان بن الحويرث بن أسد يتناجون فيما حكاه ابن اسحاق وقد اجتمعت قريش يوما في عيد لهم عند صنم من أصنامهم كانوا يعظمونه وينحرون له ويعكفون عنده ويدرون به وكان ذلك عيدا لهم في كل سنة فقال بعضهم لبعض تصادقوا ولا يكتم بعضكم على بعض قالوا أجل قال تعلموا والله ما قومكم على شيء لقد اخطئوا دين أبيهم ابراهيم ما حجر نطيف به لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع يا قوم اتمسوا لانفسكم فانكم والله ما أنتم على شيء ففترقوا في البلدان يلتمسون الحنيفية دين ابراهيم فاما ورقة بن نوفل فاستحكم في النصرانية واتبع الكتب من أهلها حتى علم علما من أهل الكتاب واما عبيد الله بن جحش فأقام على ما هو عليه من الالتباس حتى أسلم ثم هاجر مع المسلمين الى الحبشة فلما قدمها تنصر وفارق

الاسلام حتى هلك هناك نصرانيا واماعثمان بن الحويرث فقدم على قيصر ملك الروم فتنصر وحسنت منزلته عنده وأما زيد بن عمرو بن نفيل فوقف فلم يدخل في يهودية ولا نصرانية وفارق دين قومه فاعتزل الاوثان والميثة والدم والذبائح التي تذبح على الاوثان ونهى عن قتل المؤودة وقال اعبد رب ابراهيم ونادى قومه بعيب ما هم عليه . وروى البخارى في صحيحه بسنده قال حدثنا موسى حدثنا سالم بن عبد الله عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم لقي زيد بن عمرو بن نفيل بأسفل بلدح (١) قبل ان ينزل على النبي صلى الله عليه وسلم الوحي فقدمت الى النبي صلى الله عليه وسلم سفره (٢) فأبى « أى زيد » أن يأكل منها ثم قال زيد انى لست آكل مما تذبحون على انصابكم ولا آكل الا ما ذكر اسم الله عليه (٣) وان زيد بن عمرو كان

(١) بلدح مكان في طريق التنعيم ويقال هو واد (٢) تلك رواية البخارى في المناقب وروايته في باب ما ذبح على النصب والاصنام فقدم اليه رسول الله سفره فيها لحم فأبى أن يأكل منها . وجمع ابن المنير بينهما بأن القوم الذين كانوا هناك قدموا السفره للنبي فقدمها لزيد فقال زيد مخاطبا لاولئك القوم ما قال (٣) قال السهيلي فان قيل فالنبي عليه الصلاة والسلام كان أولى من زيد بهذه الفضيلة فالجواب انه ليس في الحديث انه عليه السلام أكل منها وعلى تقدير ان يكون أكل فزيد انما كان يفعل ذلك برأى يراه لا بشرع متقدم وانما تقدم شرع ابراهيم بتحريم الميثة لا بتحريم ما ذبح لغير الله وانما نزل تحريم ذلك في الاسلام واذا كانت الاشياء قبل ورود الشرع حكمها الاباحة كما يقوله بعض الاصوليين فان كان أكل فقد فعل أمرا مباحا وان كان لم يأكل فلا اشكال وان قلنا على ما هو الاصح ان الاشياء قبل ورود الشرع لا توصف بالاباحة ولا بالتحريم فان الذبائح لها أصل في تحليل الشرع المتقدم ولم يقدح في هذا التحليل ما ابتدعوه من الذبح على النصب حتى جاء الاسلام وأنزل الله تعالى (ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه)

يعيب على قريش ذبائهم ويقول الشاة خلقها الله وأنزل لها من السماء الماء وانبت لها من الارض الكلأ ثم تذبجونها على غير اسم الله انكارا لذلك واعظاما له . قال موسى حدثني سالم بن عبد الله ولا اعلمه الا تحدث به عن ابن عمر ان زيد ابن عمرو بن نفيل خرج الى الشام يسأل عن الدين ويتبعه فلقى عالما من اليهود فسأله عن دينهم فقال اني لعلى ان ادين دينكم فاخبرني فقال لا تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله قال زيد لا أفر الا من غضب الله ولا أحمل من غضب الله شيئا أبداً واني استطيعه فهل تدلني على غيره قال ما اعلمه الا أن يكون حنيفاً قال زيد وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهوديا ولا نصرانيا ولا يعبد الا الله خرج زيد فلقى عالما من النصارى فذكر مثله فقال لن تكون على ديننا حتى تأخذ بنصيبك من لعنة الله قال ما أفر الا من لعنة الله ولا أحمل من لعنة الله ولا من غضبه شيئا أبداً وانا أستطيع فهل تدلني على غيره قال ما اعلمه الا أن يكون حنيفا قال وما الحنيف قال دين ابراهيم لم يكن يهودياً ولا نصرانيا ولا يعبد الا الله فلما رأى زيد قولهم في ابراهيم عليه السلام خرج فلما برز رفع يديه فقال اللهم اني أشهد أني على دين ابراهيم وقال الليث كتب الى هشام عن أبيه عن أسماء بنت أبي بكر رضى الله عنهما قالت رأيت زيد بن عمرو بن نفيل قائما مسندا ظهره الى الكعبة يقول يا معشر قريش والله ما منكم على دين ابراهيم غيرى وكان يحى المؤودة يقول للرجل اذا أراد أن يقتل ابنته لا تقتلها أنا أكفيكها مؤنتها فيأخذها فاذا ترعرعت قال لا يبيها ان شئت دفعتها اليك وان شئت كفيتك مؤنتها وكان زيد بن عمرو بن نفيل يقول اللهم لو اني أعلم أى الوجوه أحب اليك عبدتك به ولكنى لا أعلمه ثم يسجد على راحته قال ابن اسحاق وحدثت أن ابنه سعيد وابن عمه عمر بن الخطاب قالا لرسول الله صلى الله عليه وسلم استغفر لزيد بن عمرو قال نعم فانه يبعث يوم القيامة أمة وحده ولم يكن زيد يأكل الميتة ولا الدم وهو القائل
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له الارض تحمل صخرها ثقلا

دحاما فلما رآها استوت على الماء أرسى عليها الجبالا
وأسلمت وجهي لمن أسلمت له المزن تحمل عذبا [زلالا]
إذا هي سيقت الى بلدة أطاعت فصبت عليها سجالا

ولما خرج زيد بن عمرو بن نفيل من مكة يطلب دين ابراهيم سار
يسأل الرهبان والاحبار حتى بلغ الموصل والجزيرة كلها ثم أقبل لخال الشام
كلها حتى اذا كان بأرض البلقاء أخبره كاهن انتهى اليه علم أهل النصرانية
بأنه قد اظل زمان بنى يبعث من بلاد العرب بدين ابراهيم فرجع سريرا يريد
مكة حتى اذا توسط بلاد ظلم عدوا عليه فقتلوه فقال ورقة بن نوفل يرثيه

رشدت وأنعمت ابن عمرو وانما (١) تجنبت تنورا من النار حاميا
بدينك ربا ليس رب كمثله وتركك أو ثان الطواغى كاهيا
وادرأك الدين الذى قد طلبته ولم تك عن توحيد ربك ساهيا
فأصبحت فى دار كريم مقامها تعمل فيها بالكرامة لاهيا

ومن شعر زيد بن عمرو بن نفيل فى الالهيات قوله

عبادك يخطئون وأنت رب بكفيك المنايا والحتوم (٢)

(ومنهم قس بن ساعدة الايادى) كان من أقدم من آمن بالبعث من العرب
وعمر طويلا وسمعه النبي عليه السلام قبل البعثة بمكاف يقول فى خطبته
ايها الناس اسمعوا وعوا فان وعيتم فانتفعوا انه من عاش مات ومن مات
فات وكل ما هو آت آت ان فى السماء ظبرا وان فى الارض لعبرا مهام موضوع
وسقف مرفوع ونجوم تمور وبحار لن تغور ليل داج وسما ذات أبراج
أقسم قس قسما حتما ان لله دينا هو أحب اليه من دينكم الذى أنتم عليه مالى
أرى الناس يذهبون ولا يرجعون أرضوا بالمقام فأقاموا أم تركوا فناموا ومنهم
(سحنة بن خلف الجرهمي) وقد منا قوله فى لوم عمرو بن لحي على وضع الاوثان
حول الكعبة وحمله العرب على عبادتها ومنهم « المتلمس بن أمية

(١) رشدت وأنعمت أى رشدت وبالغت فى الرشد كما يقال أعمنت

فى النظر وأنعمته (٢) الختوم الاقضية

السكذاني) وكان يخطب بفناء الكعبة ويقول أطيعوني ترشدوا قالوا وما ذاك قال انكم تفردتم بالهة شتى وانى لا اعلم ما الله راض به وان الله رب هذه الالهة وانه ليجب أن يعبد وحده ففترقت عنه العرب وزعموا أنه على دين بنى تميم ومنهم أجداده عليه السلام كعب بن لؤى وقصى وعبد مناف وهاشم وعبد المطلب فاما (كعب) فقد كانت العرب تجتمع اليه في كل يوم جمعة فيحشهم على صلة الارحام وحفظ العهد ومراعاة حق القرابة والتصدق على الفقراء والاحسان للايتام ويذكروهم بالموت وأهواله وينبئهم ببعثة رسول من عند الله وأما : قصى « فكان يأمر قومه بتعظيم الحرم وينهاهم عن عبادة الاوثان ويخبر قومه ببعثة نبي ينهى عن عبادة الاصنام (وأما عبد مناف) فكان يبغض الاصنام ويأمر قريشا بتقوى الله وصلة الرحم وأما (هاشم) فكان يؤدى الحقوق ويحمل ابن السبيل وبجانب عبادة الاوثان ويؤمن بالله واما (عبد المطلب بن هاشم) فقد منّا ايمانه بالبعث وتوحيده الله ورجوعه اليه في قصة الفيل ومن الموحدين (وكعب بن سلمة بن زهير بن أبياد) وكانت له ولاية أمر البيت بعد جرهم وبني صرحا بأسفل مكة وجعل فيه أمة يقال لها حزورة وبها سميت حزورة مكة وجعل في الصرح سلما فكان يرقاه ليخلو بنفسه ويتفكر في ملكوت السموات والارض والعرب يعدونه من الصديقين ومن أقواله مرضعة أوظامة ووادة أواقصة والقطيعة والفجيرة وصلة الرحم وحسن الكلام . ومن كلامه زعم ربكم ليجزين بالخير ثوابا وبالشر عقابا ان من في الارض عبيد لمن في السماء هلك جرهم وربلت اباد وكذلك الصلاح والفساد فلما حضرته الوفاة جمع ايدا فقال لهم أسمعوا وصيتي الكلام كلمتان والامر بعد البيان من رشد فاتبعوه ومن غوى فافضوه وكل شاة برجلها معلقة . ولما مات نعى على الجبال وفيه يقول بشير بن الحجير الياىدى

ونحن أباد عبيد الاله ورهط مناجيه في سلم

ونحن ولالة حجاب العتيق زمان النخاع على جرهم (١)

(١) هلك من جرهم بدء النخاع ثمانون كهلا في ليلة واحدة سوى الشبان

ومنهـم (قيـس بن نـشبة) قال فيه ابن سيدة في المخصـص كان منجـما متفلسفا واعدـا
ببعثة الرسول فلما بعث عليه الصلاة والسلام أتاه فقال يا محمد ما كحـلة فقال
السماء فقال وما كحـلة فقال الارض فأمن به وقال لا يعرف هـذا الا نبـي
وقال حين آمن

تابعت دين محمد ورضيته كل الرضا لامانتى ولدينى
مازلت آمـله وأرقب وقته والله قدر أنه يهـدينى .
ومنهـم (عبد الطابـخة بن ثعلب بن وبرة بن قضاة) وروى له الشهرستانى فى الملل قوله
أدعوك يا ربى بما أنت أهله دعاء غريق قد تشبث بالمصم
لأنك أهل الحمد والخير كله وذو الطول لم تعجل بسخط ولم تلم
وأنت القديم الاول الماجد الذى تبدأت خلق الناس فى أكرم العدم
وأنت الذى أحلمتنى غيب ظلمة الى ظلمة من صلب آدم فى ظلم
ومنهـم (علان بن شهاب التميمى) القائل فى الايمان بالله ويوم الدين
وعلمت أن الله جاز عبده يوم الحساب باحسن الاعمال
ومنهـم زهير بن أبى سلمى وقد اعترف بوجود الله واثبت له الحياة والعلم
والقدرة وأقر بالبعث والنشور والثواب والعقاب وكتابة الاعمال مما جاءت
به الحنيفية فى قوله

فلا تكتمن الله ما فى نفوسكم ليخفى ومهما يكتم الله يعلم
يؤخر فيوضع فى كتاب فيدخر ليوم الحساب أو يعجل فينتقم
ومنهـم (عبد الله بن ثعلب بن وبرة بن قضاة) وكان ينهج فى ديانتـه منهج الحنيفية
ومنهـم عبيد بن الابرص الاسدى القائل

ولتأتين قبلى قرون جمـة ترى مخارم أيكـة ولدودا
فالشمس طالعة وليـل كاسف والنجم يجرى انحسا وسعودا
وليفنين هذا وذاك كلاهما الا الآله ووجهه المعبودا
ومنهـم (عامر بن الظرب العدوانى) وقدمنا قوله فى البعث ومنهـم (سيف بن ذى يزن)
وقد بشر عبد المطلب بن هاشم ببعثته عليه الصلاة والسلام . ومنهـم (أبرقيـس

صرمة بن أبي أنس) قال ابن قتيبة وهو من بني النجار وكان ترهب ولبس المسوح وقارق الاوثان وهم بالنصرانية ثم أمسك عنها ثم دخل بيتاً له فاتخذ مسجداً لا يدخله طامث ولا جنب وقال أعبد رب ابراهيم فلما بعث رسول الله عليه الصلاة والسلام أسلم وحسن اسلامه وقال في الجاهلية

سبحوا الله شرق كل صباح طلعت شمسُه وكل هلال

يا بني الارحام لا تقطعوها وصلوها قصيرة من طوال

ومنهم (أمية بن أبي الصلت الثقفى) فقد حدث الزبير بن بكار عن عمه ان أمية نظر في الجاهلية الكتب وقرأها ولبس المسوح تعبدًا وذكر ابراهيم واسماعيل والحنيفية وحرم الخمر وتجنب الاوثان وصام والتمس الدين طمعا في النبوة لانه علم ببعثة نبي من العرب وكان يرجو أن يكونه فلما بعث عليه السلام حسده وقال فيه النبي عليه السلام ، آمن شعره وكفر قلبه ، ومنهم (الناطقة الجعدى حسان بن تيسر بن عبد الله) شاعر قديم مفلق طويل البقاء في الجاهلية والاسلام ، وأذكر في الجاهلية الخمر وهجر الاوثان والازلام وقال في الجاهلية قصيدته التي أولها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما

وكان يذكر دين ابراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر ويتوقع أشياء لمواقبها

ولما جاء الاسلام وفد على النبي وأسلم لحسن اسلامه

﴿ اليهودية ﴾

اليهودية هي الشريعة المنزلة على موسى الكليم عليه السلام نسبة الى يهوذا أحد اسباط اسرائيل الذي تناسل منه أكثر الملوكة ونشأت هذه الديانة في مصر ولما لم يؤمن بها فرعون وقومه خرج موسى وبنو اسرائيل من مصر سنة ١٤٩١ قبل الميلاد وضرب بعصاه البحر فانشق فجاوزه موسى وأغرق فرعون وجيشه فوصلوا جبل طور سيناء بعد خمسة وأربعين يوما من خروجهم من مصر ثم انتقلت اليهودية الى الاراضى المقدسة ومنها الى بلاد العرب وكان دخولها

اليها زمن موسى على ما رواه ابن زبالة بسنده عن عروة بن الزبير قال : كانت العماليق قد انتشروا في البلاد فسكنوا مكة والحجاز كله وعتوا عتوا كبيرا فلما أظهر الله موسى عليه السلام على فرعون وطيء الشام أو بعث اليها بعثا فأعلمك من بها من الكنعانيين ثم بعث بعثا آخر الى الحجاز للعماليق وأمرهم الا يستبقوا أحدا منهم بل بلغ الحلم فقدموا عليهم فأظهرهم الله فقتلهم حتى انتهبوا الى ملكهم الارقم بن أبي الارقم فقتلوه وأصابوا ابناله وكان شابا من أحسن الناس فضنوا به عن القتل وقالوا نستحييه حتى نقدم به على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فأقبلوا وهو معهم فقبض الله موسى قبل قدوم الجيش فلما سمع بهم الناس تملقوهم فسألوهم فأخبروهم بالفتح وقالوا لم نستبق منهم الا هذا الفتى فاننا لم نر شابا أحسن منه فتركناه حتى نقدم به على نبي الله موسى عليه السلام فيرى فيه رأيه فقالت لهم بنو اسرائيل ان هذه لمعصية منكم لما خالفتم أمر نبيكم لا والله لا تدخلون علينا بلادنا أبدا فقال الجيش ما بلد اذ منعتم بلادكم بخير من البلد الذي خرجتم منه وكان هذا أول سكنى اليهود الحجاز بعد العماليق . وفي الروض الانف عن أبي الفرج الاصبهاني ان السبب في كون اليهود بالمدينة وهي وسط أرض العرب مع أن اليهود أسلمهم من أرض كنعان ان بنى اسرائيل كانت تغير عليهم العماليق من أرض الحجاز وكانت مبارهم يثرب والجحفة الى مكة فشكت بنو اسرائيل ذلك الى موسى فوجه اليهم جيشا وذكروا نحو ما تقدم ثم قال ولا أحسب هذا صحيحا لبعدهم عمر موسى عليه السلام وذكروا الطبري ان نزول بنى اسرائيل بالحجاز كان حين وطيء بختنصر بلادهم بالشأم وخرب بيت المقدس وذكروا صاحب كتاب وفاق الوفا اليهود الذين نزلوا المدينة فمنهم قريظة والنضير والنحام وهذل . وفي خطط المقرئ ان العرب تعلموا كبس الشهور من اليهود الذين نزلوا يثرب من عهد شعوبل نبي بنى اسرائيل وهو صمويل المتوفى سنة ١٠٥٧ قبل الميلاد وفي كتاب وفاق الوفا باخبار دار المصطفى « وحكى ياقوت عن بعض علماء الحجاز من يهود ان سبب نزولهم الحجاز ان ملك الروم حين ظهر على بنى اسرائيل وملك الشام خطب

الى بنى هرون وفي دينهم ألا يزوجوا النصارى يخافوه وألعموا له وسألوه ان يشرفهم باتيانهم اليهم فأتاهم ففتكوا به وبمن معه ثم هربوا حتى لحقوا بالحجاز فأقاموا بها وزعم بنو قريظة ان الروم لما غلبوا على الشام خرج قريظة والنضير وهذل هاربين من الشام يريدون من كان بالحجاز من بنى اسرائيل فوجه ملك الروم في طلبهم فاعجزوا رسله »

أما الذى ادخل اليهودية بلاد اليمن فهو تبع الاصر أبو كرب تبان اسعد وقد منا خبر ذلك عند الكلام على المختلف في نبوتهم من العرب وقيل سبب تهود العرب غير ذلك . ولما خربت اورشليم على عهد طيطوس في القرن الاول للميلاد نزح كثيرون من اليهود الى بلاد العرب وتوطنوها ونشروا تعاليم دينهم بين العرب واشهر من دان باليهودية من قبائل العرب بنو نعيم وبنو كنانة وبنو الحارث بن كعب وبنو كندة ولعلها سرت اليهم من مجاورة اليهود لهم في ثيما . ويثرب وخيبر

ولم تغلب اليهودية على الوثنية في بلاد العرب لان كثيرآ من احكامها مبنى على المشقة وتلك لا يسلس لها قياد العربي ولانها وان أباحت قتال الوثنيين والقتال دين العربي الا انها لا تبسح الانتفاع بغنائمهم بل تحرقها والعربي انما يقاتل لينتقم من عدوه في نفسه وينتفع بماله واهله ومن طرق معاشهم الغزو والسلب والنهب وكانت بعض نساء العرب تنذر تهود ابنها في الروض الانف (ان جملة من كان من اليهود بالمدينة وخيبر انما هم قريظة والنضير وبنو قينقاع غير أن في الاوس والخزرج من قد تهود . وكان من نساءهم من تنذر اذا ولدت ان عاش ولدها أن تهوده لان اليهود عندهم كانوا أهل علم وكتاب) وقد ذكر ليبيد بن ربيعة صلاة اليهود من قصيدة له يصف رجلا غلب عليه النعاس يلمس الاحلاس في مثله بيديه كاليهودى المصل (١)

(١) فاعل يلمس : ضمير المجهود في البيت قبله وهو (ومجود من صبابات الكرى) والمجود الذى جاده النعاس وألح عليه حتى أخذ فنام و (الاحلاس) جمع حلس بالكسر وهو كساء رقيق يكون على ظهر البعير تحت رحله أى

قال البغدادى فى خزانة الادب « وقوله كاليهودى المصل . قال الطومى
فى شرحه كأنه يهودى يصلى فى جانب يسجد على جبينه هذا كلامه واليهودى
يسجد على شق وجهه وأصل ذلك انهم لما تتق الجبل فوقهم قيل لهم اما أن
تسجدوا واما أن يلقى عليكم فسجدوا على شق واحد مخافة أن يسقط عليهم
الجبل فصار عندهم سنة الى اليوم »

✽ النصرانية ✽

هى دين المسيح بن مريم عليه السلام نسبة للناصر اول قرية بث فيها
عيسى دعوته فقال العرب ناصرى ونصرانى . وكان يقال للمسيح الناصرى
ودخلت النصرانية بلاد العرب زمن الحواريين فقد نقل ان القديس توما أول
من دعا اليها فى بلاد اليمن اثناء مسيره الى الهند وان بولس دعا اليها فى الشام
فاعتنقها كثير من عرب الشام وفى بعض التواريخ المسيحية ان اوريجانوس
فى القرن الثالث للميلاد زار أحد حكام العرب فهدى قبيلة للنصرانية وفى
القرن الرابع سار موسى الراهب المصرى الى العرب ودعاهم للنصرانية فتنصرت
زوجة حاكمهم المسماة موفية . وفى تاريخ القرون الوسطى ان عرب غسان
تنصروا فى أيام القيصر والنتين وكان تنصرهم على يد عباد الصحراء بالشام ،
(يعنى النساك) وقال ابن خلدون كان أهل نجران (هم بنو الحارث بن كعب من
مذحج) من بين العرب يدينون بالنصرانية وكان لهم فضل فى الدين واستقامة
أخذوا هذا الدين عن رجل سقط لهم من ملك التبعية يقال له سيمون من
بقية اصحاب الحواريين وكانت العرب تسمى عيسى عليه السلام ابيلى الايلين
والايل (الراهب أو الناسك والزاهد فى الدنيا) وشاهده قول عمرو بن
عبد الجن .

أما والدماء المائرات تخالها على قة العزى وبالنسر عند ما (١)

يطلب الاحلاس بيديه وهو لا يعقل من غلبة النعاس (٢) نسر صنم و« المائرات»
المرتدات من مار الدم على وجه الارض يمور اذا تردد و(قة العزى) اعلاها
و(العندم) البقم ودم الاخوين

وما سبّح الرهبان في كل ليلة أيّيل الابلين المسيح بن مريم (١)
 لقد هزمني عامر يوم لعل حساما اذا ماهز بالكف صمما (٢)
 وكان ولدان النصراني يتبركون بالراهب الذي يحى من بيت المقدس ويمسحه
 الذي هو لابس وأخذ خيوط منه حتى يتمزق ثوبه وشاعده قول امرئ القيس
 الكندي يصف أدراك كلاب الصيد لفرسه

فأدر كنه يأخذن بالساق والنسا كما شبرق الولدان ثوب المقدس (٣)
 وكانت النصرانية تقيم اعيادها في بلاد العرب فنما يوم السباسب ويسمونه
 يوم السعانيين . ويقال شعانيين وعيد الفصح وهو ما يتقدم عليه صوم الاربعين
 أنشد سيبيويه لبعض العرب

صدت كما صد عما لا يحل له ساقى نصارى قبيل الفصح صوام
 وكانوا في الفصح يوقدون المشاعل قال اوس بن حجر يصف رمحه ويشبه سنانه
 بمصباح يوقده رئيس النصارى يوم الفصح

عليه كمصباح العزيز يشبه بفصح ويحشوه الذبال المفتلا
 وقال عدى بن زيد يشير الى تعمير قنديل الفصح
 بكرروا على بسحرة فصبحتهم بأناء ذى كرم كقعب الحالب
 بزجاجة ملء اليدين كأنها قنديل فصح في كنيسة راهب
 ومن اعيادهم الدنح ذكره ابن سيده في المخصص عن ابن دريد . وكانت
 الراهبات تلبس في الاعياد الملاء والانسجة الطويلة الاذيال . قال امرؤ القيس
 يصف سربا من بقر الوحش

فأنت سرباً من بعيد كأنه رواه عيد في ملاء مهذب
 ولم تستطع النصرانية أن تتغلب على الوثنية في بلاد العرب لان
 تعاليمها تبين اخلاقهم الغريزية فمن العرب يرضى اذا ضربته على خده

-
- (١) سبّح أى نزه وسمى الراهب أيّيلا لتأبله وبعده عن النساء
 (٢) يريد أن عامراً وجدّه حساماً ذلك اليوم و«صم» مضى يقال
 صمهم الرجل في الامر اذا جد فيه . (٣) شبرق جلده أى قطعه .

الايمان ان يدبر لك خذه لايسر لتصفعه عليه مرة أخرى بل قلد النصارى العرب
 فى كثير من أمورهم الدينية فكانوا يحجون ويعتمرون ألا أنهم كانوا يقفون
 فى الحج فى بطن محسر . وأنشد عليه السلام لما أفاض من عرفة الى مزدلفة
 وكان فى بطن محسر الذى كان موقف النصارى قول شاعر جاهلى
 اليك تعدو قلقاً وضينها معترضاً فى بطنها جنينها
 مخالفادى النصارى دينها

يشير الى الناقه التى كان راكبها فى مسيره الى الحرم . وكانوا يعظمون
 الكعبة ووضعوا فيها صورة السيدة مريم وسيدنا عيسى مع ما وضع فيها
 من صور الملائكة والانبياء كموسى و ابراهيم . وكانوا لا يذكرون اسم الله
 على الذبيحة يقددون فى ذلك مشركى العرب . وخالفوا تعاليم المسيحية فى
 شتمهم الفارات وطلبهم الثارات لان العربى جعل رزقه فى ظل رحمه ولذلك
 لما قدم عدى بن حاتم الطائى على رسول الله عليه السلام قال له . أو لم تكن
 تسير فى قومك بالمرباع . فقال عدى . بلى . فقال عليه السلام فان ذلك لم يكن
 يحل لك فى دينك . فقال أجل . ذلك لان الدين الذى يحرم القتال لا يحل
 غنائم الحرب . وقد بين عقيدة العرب هذه جابر بن حنى النغلبى النصرانى
 فى قوله

وقد زعمت بهراء أن رماحنا رماح نصارى لا تخوض الى دم
 وأشهر من تدين بالنصرانية من العرب ربيعة وبعض قضاة وكأنتهم
 تلقوها عن الروم فقد كانوا يكثررون التردد الى بلادهم للتجارة والفساسنة
 بالشام لمجاورتهم نصارى الروم ودان بالنصرانية كثير من بنى تغلب وتنوخ
 وحير وطبيء وشاعت النصرانية فى قبائل شتى بالحيرة يقال لهم العباد « بكسر
 العين وتخفيف الباء » منهم عدى بن زيد المبادى . وتنصر ملوك الحيرة على
 عهد امرئ القيس الاول ابن عمرو فى أوائل القرن الرابع على قول . وقيل
 ان أول من تنصر منهم النعمان بن المنذر فى آخر القرن السادس . وفى سجل
 الكنيسة الشرقية أن الحيرة كان عليها أسقف سنة ٤١٠ ميلادية وأن ملكها

حى النصرانية سنة «٤٢٠» ميلادية . وقيل أن ملوك الحيرة كانوا فى أواسط القرن السادس وثنيين وأن المنذر بن امرئ القيس بن ماء السماء كان يقدم ذبائح من بنى آدم الى العزى وكان من بين نسائه امرأة من غسان اسمها هند الكبرى ام عمرو بن هند كانت مسيحية فبثت مبادئ النصرانية فى ابنها فلما مات عاد خليفته المنذر الى الوثنية ونشأ ابنه النعمان وثنياً حتى تنصر على يد الجاثليق صبر يشوع او على يد عدى بن زيد العبادى كما يقول مؤرخو العرب . وكان نصارى العرب يقولون بالطبيعة الواحدة للمسيح كاعتقاد اتباع يعقوب البرادعى اسقف اورط سنة ٩٢٨ وهم اليعقوبيون ونسب هذا المذهب ليعقوب لانه قال به بعد ان كاد يندثر والا فقد سبقه بالقول بالطبيعة الواحدة ديوسقوروس وبرسوماس وزينياس وفلو وغيرهم من القائلين بأن طبيعتى المسيح قد اتحدتا حتى صارتا طبيعة واحدة . وكانت النصرانية شائعة فى بعض أمكنه من جزيرة العرب وذكر حاتم الطائى شيوعها بين ناب ودارة فى قوله

وانى لمزج لسطى على الوجا وما انا من خلانك ابنة عفزرا

ومازلت أسعى بين ناب ودارة بلحيان حتى خفت أن اتنصرا

والمعجب لصاحب شعراء النصرانية كيف عد حاتما من النصارى مع نقله له قوله خفت أن أتنصراى خفت الدخول فى دين النصارى وذلك منه كثير فقد عد طرفه بن العبد والمتأس نصرانيين مع نقله حلف طرفه بالنصب فى قوله

فأقسمت عند النصب انى لهالك بمتلفة ليست بغبط ولا خفض

ونقله حلف المتلمس بالانصاب فى قوله فى هجاء عمرو بن هند

اطردتنى حذر الهجاء ولا والله والانصاب لا تثل

وعد أعشى قيس فى النصارى مع نقله قوله يخاطب ناقته من قصيدة يمدح بها سيدنا رسول الله .

وآليت لا أدرى لها من كلاله ولا من حنى حتى تزور محمدا

نبي يرى ما لا ترون وذكره أغار لعمرى في البلاد وأنجدنا
متى ماتناخى عند باب ابن هاشم تراخى وتلقى من مكارمه يدا

﴿الاسلام﴾

كانت العرب في الجاهلية في شر حال من الاضطراب والفوضى سواء في ذلك نظام الحكومة أو سياسة البيت أو غيرها فكانت النفوس في كل حين عرضة للسفك والاموال في كل وقت معرضة للسلب والنهب لانهم كانوا شعوباً وقبائل تغلى صدورهم بالاحقاد وكل قبيلة اما مقاتلة أو لقتال غيرها على قدم الاستعداد أخذاً بثأر مقتول عمداً أو خطأ او لهفوة لم يتناولها الصنفح ولم يفقرها العفو وكانوا يورثون ابناءهم الاحقاد وناهيك بحرب داحض والغبراء التي لم تضع أوزارها الا بعد اربعين سنة وسببها أهون من أن يرى فيه سهم عن كبد قوس او يجرد فيه حسام من غمد وكان الصماليك المدلون بقوتهم يؤلفون عصابات للغارة على المراعى لسلب الانعام ورطائها او على الاحياء اذا علموا أن المخلفين بها من الرجال لا يقدرّون على الدفاع عن أنفسهم لنهب ما بها من الاموال وأسر النساء والولدان والرجال وكان أسر النساء يجيز الاستمتاع بهن ولو كن ذوات أزواج أما الاسرى من الرجال فكانوا يكبلون بالسلاسل والاغلال ويجزأؤهم القتل او الفداء وكم قتلوا من رجال وولدان او استذلّوهم او باعوهم أرقاء وكان الفتى المدل بقوته او بمنعة عشيرته يرى الفتاة فيصبيه حسنها فيختطفها من أبيها أو أخيها أو غيرها ولو كانت في مدينة أهلة بالسكان بلا حياء ولا خجل كأنما يفعل امراً معروفاً غير منكر ومثل هذه الحادثة كان سبباً في حاف الفضول وناهيك بقوم بالغ من اعتدائهم على المرأة انهم كانوا يكرهون فتياتهم على البغاء يبتغون عرض الحياة الدنيا ولم يكن عندهم قانون للقصاص يمنع البنّى ويقف في سبيل الظلم بل كان اولياء الدم يقيمون على الخسف ان كانوا ضعفاء انتهزاً لسنوح الفرصة للاخذ بثأرهم غدرًا وان كانوا أقوياء اسرفوا في القتل فرموا بقتلوا بظنة واحد العدد العديد والجماء الغفير قال شاعرهم .

فقتلنا سبعة بأبى لبينى وألحقنا الموالى بالصميم (١)
 حتى قال مهلهل بن ربيعة وهو يثأر لآخيه كليب لبجير بن الحارث بن
 عباد وهو يقتله وكان غلاماً بؤبشسع نعل كليب فقال له بجيران رضيت بذلك
 بنو ضبيعة بن قيس رضيت فلما باغ الحارث مقتله ولم يكن دخل في حربهم
 قال نعم الغلام غلام اصلح بين ابنى وائل وباء بكليب فأبلغوه قول مهلهل
 اذقتله فغضب وأدخل يده في الحرب وقال

قربا مربوط النعامة منى لقتحت حرب وائل عن حبال (٢)
 لا بجير أغنى قتيل ولا ره طكيب تزاوجروا عن ضلال
 قربا مربوط النعامة منى ان قتل الغلام بالشسع غالى
 لم أكن من جناتها علم الله وائى بجرها اليوم صالى
 أما سياساتهم للبيت فكانت أشد خرقاً وألم جرحاً وناهيك بقوم يدفنون
 بناتهم احياء خشية الفقر أو توهم العار ولقد بلغت القسوة بأحدهم أن ولدت
 امرأته في غيبته بنتاً فخبأتها عند احد أقاربها لئلا تفتك بها يد القسوة حتى
 اذا ترعرعت واصبح مثلها قرة عين والدها وظنت انها قد أمنت قسوة ابيها
 وعدوانه وان عاطفة الابوة تحول بينه وبين وأدأها احضرتها من مكانها وقد
 زينتها وقدمتها لايها فأسأها عنها فأخبرته خبرها فسكت منتزاً فرصة غفلة
 أمها حتى اذا سنحت أخذ الفتاة حفرة لها حفرة ودفنها فيها حية وهى تمسح
 التراب عن لحيته وتقول ما الذى تفعله بى يا أبى ذلك صنعهم بالبنيات وهن
 برد الاكباد ومسرة الفؤاد

ولم يكن صنع بعضهم بالشيوخ والمعجزة بأقل قسوة من ذلك فقد روى عنهم
 انهم كانوا اذا تبرموا بشيخ تركوه وارتحلوا ليموت أو يأكله الذئب أو حملوه
 على بعير تقور يسقطه فيموت فيستريحوا منه وجاء فى امثالهم (أهون هالك

(١) أى قتلنا ساداتهم فصار الموالى سادة (٢) النعامة اسم فرس الشاعر و (لقتحت)
 حملت و (الحبال) ان تضرب الناقة فلا تحمل وضربه مثلاً لما تولد عن الحرب
 و انتج منها من الامور التى لم تكن تحتسب بعد ذلك

شيخ يقادبه البعير) وقولهم (أهون هالك عجوز في سنة جدد) نعم لم يكن هذا العمل عاما فيهم

أما حالة العرب الدينية فما قدمناه في هذا الكتاب تعلم ان الدماء منهم قد انغمسوا في عبادة الاوثان واتخذوا آلهة شتى ووصل من انحطاطهم في احكام العقل أن اتخذوا الهأ من حيس فلما جاعوا أكلوه وصاروا يتعرفون الخير والشر من أمور دنياهم بالاستقسام بالازلام لا بما فيها من نفع وضرر وكانوا على بقية من دين ابراهيم خلطوها بالوثنية خلطا غير محاسنها وطمس معالمها فأهلوا في الحج للصنام وأشركوها في التلبية وجعلوا صلاتهم عند البيت الحرام وهي التي شرعها الله في دين ابراهيم خالصة لله وخضوعاً له مكاء وتصدية (١) ولم تكن اليهودية ولا النصرانية عندهم خيرا من اختهما الحنيفية . أما اليهودية فقد عبث بها أبدي الاحبار يحرفون فيها الكلم عن مواضعه فغيروا كثيراً من الاحكام التي شرعها الله بالحيلى التي استحلوها والاهواء التي ابتدعوها ومالوا للتشبيه وغلت فرقة منهم فيه فقالوا غزير ابن الله وتأولوا التوراة بالرأى والهوى واخبروا ان تأويلهم من عند الله ولقد نعى عليهم القرآن ذلك بقوله (فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلاً) ومنهم من وقف عند الفاظ التوراة دون أن يبين معانيها ويشرح المراد منها وعم الذين وصفهم القرآن بقوله (مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا) من مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين . أما النصرانية فقد انحطت في بلاد العرب الى درك الوثنية فكانوا يتركون ذكر اسم الله همدا على

(١) مكاء الرجل يمشى اذا جمع بين يديه وصفرفيهما (والتصدية) التصفيق قال ابن عطية والذي مر بي من اثر العرب في غير ما ديوان ان المكاء والتصدية كانا من فعل العرب قديما قبل الاسلام على جهة التقرب به وكان مخزومة بن قيس بن عبد مناف يصفر عند البيت فيسمع من حراء وكانت قريش تطوف بالبيت وهم عراة يصفقون ويصفرون

التيبيعة مجارة للمشركين واتخذوا في كنائسهم الاصنام اما لانهم لم يتجردوا من الوثنية وأما لترغيب الوثنيين في المسيحية كما اتخذوا الصنم كميماً في كنيسة القليس وكانت تعاليم المسيحية لاتناسب اخلاق العربي الطامح بطبيعته الى الفخر والخيلاء والسفك لايعرف القعود على الضيم ولا الصبر على أذى المؤذين وصنع الصافعين فخذوا أسرارها اكثرهم حتى لم يبق لهم من المسيحية الا اسمها ولا من النصرانية الا وسمها . نبذوا على اختلاف اديانهم الاو اسرار الالهية فاكلوا الربا أضعافا مضاعفة وعدوا شرب الخمر ولعب الميسر من مفاخرهم التي يفاخرون بها

هذا حال العرب أما غيرهم من الامم في ذلك العصر فلم يكونوا أحسن حالا منهم فكان من رحمة الله بالعالم ان يرسل اليه رسولا يخرج الناس من الظلمات الى النور فبعث محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه الصلاة والسلام بدين الاسلام . جاء الاسلام بفشر لواء السلام ويضع الدعائم الثابتة لنظام الاجتماع ويزيل الأثرة من النفوس ويفهم كل فرد انه جزء من جماعة لا يصلح الا بصلاحتها ولا تصالح الا بصلاحه (المسلم للمسلم كالبنيان يشد بعضه بعضا) سوى بين الناس في القصاص ووضع من الحدود ما يكفل سعادة كل انسان ويصونه من غائلة غيره وبين ما يجب على كل فرد اداؤه والقيام به من الواجبات التي فيها صلاحه وحياة المجتمع وبث في النفوس روح العطف والرفق والتسامح حتى في أحوال الخلاف في الدين والعقيدة قال تعالى (لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي) صان الاسلام حقوق المرأة ونهض بها الى أوج لم تصل اليه في أمة من الامم ولا في شريعة من الشرائع فاعاد لها حقها المسلوب وجعل لها وحدها حق التصرف في مالها ونفسها وسوى بينها وبين الرجل في التكاليف وغيرها ولم يميز الرجل عنها الا في الاحكام التي لا يقدر عليها اكثر افراد جنسها كالجهاد أو لامر اقتضى تمييزه عنها . والمتصدى لمعرفة ذلك يراه مفصلا في الكتب التي تبين اسرار التشريع . نهى الاسلام عن كراهة البنات وعد وأدهن أمرا إذا فقال (واذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت) وقال واذا بشر احدكم بالانثى

ظل وجهه مسودا وهو كظيم

كثيرا ما وصى النبي الكريم بالمرأة ودعا الرجال للرفق بها والاحسان اليها . احاط الاسلام الرق بسياج يحميه من عبث العابثين وسلب السالبين فلم يضرب الرق الا على الاسير الذى حارب المسلمين للايقاع بهم والاذلال بدينهم ثم طفق الشارع الحكيم يدعو الى عتق الارقاء بمختلف الوسائل حتي جملة قربة القرب وكفارة القتل والظهار واليمين والافطار في رمضان وندب اليه في غير المتق واجبا في كفارة القتل والظهار واليمين والافطار في رمضان وندب اليه في غير ذلك مرضاة لله تعالى فقال عليه السلام ايمان مؤمن اعتق مؤمنا في الدنيا اعتق الله تعالى بكل عضوه منه عضوا منه من النار . سوى الاسلام بين الناس في الحقوق فلم يميز جنسا من الاجناس للبشرة على آخر وضرب على أيدي الامراء والرؤساء ليرفعوا عن رؤوس العامة عصا الاستبداد وينزعوا من اعناقهم غل الاستعباد وقضى على التماثيل التي ابتدعها رؤساء الاديان من وجود الوساطة بين العبد وربّه فاجتث بذلك أصلا من أكبر أصول الوثنية . فلقد كان يتوسل لذلك الوسيط بأنواع التعظيم وبمت له بضروب التكريم مما لا يليق الا بالخالق الحكيم أمر كل واحد بالاجتهاد والعمل بما يصل اليه اجتهاده فيما لم ينزل فيه حكم بين ولا نص صريح فلم يجعل الدين بذلك بعيد التناول علي احد ومقصورا على طائفة تطاع فيما تدعيه ديننا من غير تبصر ولا تفكير * نبه العقل من نومه واحترمه وامر بالنظر والتفكر ففرق بذلك حجب الاوهام التي اسد لها رؤساء الدين علي اهله اذ زعموا ان الدين عدو العقل وما يشمره العقل الا ما كان تفسيره لكتاب منزل * جعل لاخلق مصدرا لحياة الامم والشرف بقائما قال تعالى (ان الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم) وقال (ان الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين) نهى عن الكسل والخمول والمسكنة التي زعمها رؤساء الدين من الدين فأمر بالعمل كل قادر عليه وأباح لكل انسان ان يتمتع بما شاء من الطيبات (قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق) حث على التعليم ورغب فيه ودعا لارشاد العامة

الى الصراط المستقيم والطريق القويم قال الله تعالى (فلولوا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون) . أمر الاغنياء ان يحملوا من اموالهم حقا معلوما للفقراء تطيبيا لنفوسهم وسدا لعوزهم وعطفا على ابناء جنسهم ليستأصل من نفوس الفقراء الحسد والضغينة على الاغنياء . لم يترك الاسلام فضيلة من الفضائل الا أمر بها ولاسنة من سنن الترقى والاصلاح لاقررها ولا رزيلة يمود وبالهاعلى المجتمع الا نهى عنها وقبحها . اعاد الاسلام للحنيفية شبابها وجدد عهدا وجردا من الوثنية التي أبلت محاسنها وغيّرت معاملها فالاسلام دين ابراهيم حكي ذلك القرآن في غير ما آية فقال (ان ابراهيم كان قانتا لله حنيفا ولم يك من المشركين شاكرا لانعمه اجتباؤه وهداه الى صراط مستقيم وآتيناه في الدنيا حسنة ولانه في الآخرة لمن الصالحين ثم أوحينا اليك ان اتبع ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (وقالوا كرونوا هودا أو نصارى تهتدوا قل بل ملة ابراهيم حنيفا وما كان من المشركين) وقال تعالى (وجاهدوا في الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم في الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم هو سماكم المسلمين من قبل وفي هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس) والآيات في ذلك كثيرة ولذلك قال ابن حزم (وكان الذي ينتحله الصابئون اقدم الاديان على وجه الارض الى ان أحدثوا فيه الحوادث وبدلوا شرائعه فبعث الله عز وجل اليهم ابراهيم خليفه بدين الاسلام الذي نحن عليه الآن ونصحيح ما أقسده بالحنيفية السمحة التي أتى بها محمد صلى الله عليه وسلم من عند الله تعالى) ومعنى محيى الاسلام بالحنيفية دين ابراهيم دون اليهودية أو النصرانية مع ان أصول الشرائع من حيث الآلهيات وتحريم المتحقق ضرره وتقرير أمهات مكارم الاخلاق واحدة أن الاسلام قرر الاحكام والمبادئ التي شرعت في دين ابراهيم بعد أن جرداها من الوثنية التي الصقت بها وهذا مرما تراه من موافقة الاسلام للاحكام التي كان العرب عليها وذكرناها مفصلة في هذا الكتاب . لم يقف الاسلام عندما شرع في دين ابراهيم بل زاد كثيرا من الاحكام التي

انقضاهما الزمان فانقذ الاحوال الاجتماعية من براثن الفوضى التي فتكت بها
 أيام الجاهلية وأصبح الاسلام بنظامه الدقيق المحكم صالحا لكل زمان ولكل
 أمة لا يزيده رقي العقول في المدنية إلا ثباتا ولا تنمو العلوم الاجتماعية
 والكونية الا لتضم برهاننا بعد برهان على سداده ولطيف حكمته . كيف
 لا يكون كذلك وهو الدين الخالد التالد الذي أراد الله أن يتمجد به الخلق
 الي قيام الساعة قال تعالى (ما كان محمد أباً احد من رجالكم ولكن رسول
 الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شئ عليما)

وكان الفراغ من تأليفه وتهذيبه وترتيبه صباح يوم الجمعة رابع شهر
 رمضان المعظم سنة ثلثمائة وحدى وأربعين بعد الالف من الهجرة
 الشريفة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية

﴿ فهرست الكتاب ﴾

٤	مقدمة	٨٩	الصلاة على الميت
٧	ابراهيم واسماعيل	٩٠	سرير الميت
١٣	المختلف في نبوتهم من العرب	٩١	تشيعم الجنائز
١٦	الحرم ومكانته عند العرب	٩٢	قولهم للجنائز
٢١	حلف الفضول	٩٢	مقابرهم
٢٦	بناء الكعبة وكسوتها	٩٥	حمى القبر
٣٢	تعظيم المعجم والعرب للكعبة	٩٥	نضح القبر بالحجر
٣٧	الاربعة الاشهر الحرم والبسل	٩٦	السقيا للقبر
٤٣	النسيء	٩٨	العقر على القبر ونضجه بالدماء
٤٧	الحج . احكام الاحرام به . الخمس	١٠٥	العقر للضيافة نيابة عن الميت
٥٢	التلبية . الطواف بالبيت السعى	١٠٦	اتخاذ البلية
	الوقوف بعرفة	١٠٧	قولهم للميت لا تبعد
٦١	الزول بمزدلفة ومنى وبقية اعمال	١١٠	معتقداتهم الدينية
	الحج من سوق الهدى والنحر	١١١	الانبياء والرسول
	والحلق ورعي الجمار والطواف	١١٢	البعث والحساب
٦٨	العمرة	١١٤	الايمان بالقدر
٧٠	الطهارة - الصلاة - الزكاة	١١٤	خالق افعال الانسان
	الصوم - الاعتكاف	١١٥	التناسخ
٧٥	الاستسقاء بالدعاء والنار	١١٦	المسخ
٨١	النذر	١١٧	احكامهم الدينية
٨٤	ذبح الظبي في نذر الشاة	١٢١	المحتات
٨٥	ما يفعلونه للموتى	١٢٢	الدين الفتنى
٨٥	نعى الميت	١٢٣	عبادة الحيوان
٨٧	غسل الميت	١٢٤	عبادة الانسان
٨٧	تحنيط الميت	١٢٥	عبادة الملائكة والجن
٨٨	كفن الميت	١٢٧	عبادتهم للاشجار

تابع الفهرست *

الصائبون	١٨٤	الوثنية في العرب	١٢٨
عبادتهم للكواكب واثار عبادتهم لها	١٨٦	اصنام العرب وبيوت عبادتها	١٣٢
المجوسية	١٩٠	كثرة الاصنام	١٥٥
الموحدون من العرب	١٩٣	عبادة الاصنام وما يتقرب به لها	١٥٨
اليهودية	١٩٩	الاستقسام بالازلام	١٦٨
النصرانية	٢٠٢	الاقسام	١٧٢
الاسلام	٢٠٦	التحالف	١٨٠
		الدعاء	١٨٤

صحيحة	سطر	الخطا	الصواب	صحيحة	سطر	الخطا	الصواب
١١	١٠	رقولى	وقولى	١٢٥	٢١	الجرة	الجمهرة
١٢	٦	فاقرىء	فاقرئى	١٢٩	٣	ملاؤا	ملثوا
١٣	٢٤	الانف	الانف	١٣٠	٢١	ركان	وكان
٣٠	٢٢	المثقى	المثقى	١٣١	١٧	يفقؤن	يفقئون
٣٧	٦	يأمرؤا	يؤمروا	١٣١	١٨	فقؤوا	فقئوا
٣٧	١٢	طبي	طبي	١٣٢	٤	٨١ ٢	٢٠٨١
٣٩	١١	بغناء	بغناء	١٣٦	٢٥	اسكان	واسكان
٤٧	١٧	يجمع	يجمع	١٣٩	٢٣	بصغة	بصيفة
٥٨	١	الارد	الازد	١٤١	١٤	الضيزن	الضيزن
٦١	١١	مزلفة	بمزلفة	١٤١	٢٠	عميعب	عيعب
٦٦	١٣	انقرضوا	انقرضوا	١٤٤	١٠	ولايعوق	يعوق
٦٧	٢٣	ككتف	ككتف	١٤٦	٩	حوله	حول عوض
٧٠	١٦	بن	ابن	١٥٢	٢٢	سميت	سمت
٧٩	١٠	بالقطر	بالقطر	١٥٤	١٣	هابيل	هابيل
٧٩	١٠	جناهم	جناهم	١٥٥	١٦	موتدا	موتدا
٨٩	٢٢	المختار	المختار	١٥٦	١٦	باسم	باسم
٩١	٢٢	الزوج	الزوج	١٧٦	٤	البطليوسى	البطليوسى
٩٧	١١:٧	موتة	موتة	١٧٨	١	نستحلف	نستحلف
١٠٣	٥	لاعقر	لاعقر	١٨٣	٤	تخاف	يتخاف
١٠٥	٢٤	وأخذ	وأخذ	١٨٣	٥	يحالف	تحالف
١١٣	٤	ونى	ونى	١٨٦	١٣	للعبادة	العبادة
١١٦	١٦	المسح	المسح	١٩١	١٥	ولاملاك	والاملاك
١١٩	٢٥	وحررم	وحرمة	١٩٢	٢٢	ذن	زن
١٢٢	١٩	السود	السود	١٩٧	١٣	وكيع	وكيع
١٢٤	١٢	حبيهم	حبيهم	٢٠٤	٥١	النغلي	التغلي

مؤلفات مؤلف هذا الكتاب

- (١) المرأة العربية في الجاهلية - كتاب تتبع فيه مؤلفه حال المرأة عند العرب في الجاهلية من المهد الى اللاحد لجمع عاداتها وجميع أحوالها وهو نحو ثمانمائة صفحة
- (٢) الباب في علم الانساب - كتاب جمع انساب العرب في الجاهلية بأحسن ترتيب
- (٣) كتاب يبحث عن عادات العرب في الجاهلية في الحروب وعدتهم لها
- (٤) الاحوال المدنية والاجتماعية عند العرب في الجاهلية
- (٥) رسالة في الكلام على الحديث الموضوع وبيان القواعد التي يعرف بها وضع الحديث والاسباب الداعية اليه
- (٦) كشف اللثام عن أشعار العوام - رسالة اسهب فيها الكلام على جميع الاوزان التي لم ترد عن العرب من الموشحات والزجل والدوبيت وبحر الساسة وغيرها وبيان اوزانها
- (٧) رسالة في العلوم الموضوعية لمعرفة الغيب كعلم الرمل والاحكام والزجرجة وغيرها وبيان عدم صحة دلالتها
- (٨) علوم العرب في الجاهلية - كتاب جامع لما كان عندهم من علم الاخبار وفن القصص - وعلم الريافة - وعلمى العروض والقافية - والشعر والخطب والوصايا - وعلم الالغاز - وعلم الفراسة وعلم فراسة اعضاء الانسان - وعلم الشامات - وعلم الاسارب - وعلم الاختلاج - وعلم قيافة البشر والاثر - وعلم نزول الغيث - وعلم تعبیر الرؤيا - وعلم ايجاد نسل قوى جميل في اخلاقه وتناسب اعضاءه - وعلم الكهانة - والطرق بالخصى - والعرافة - وعلم الرمل وعلم النجوم وعلم الطيرة والفعال - وعلم الطب والجراحة - وفن الولادة والتشريح - وعلم البيطرة - وعلم الرقى - وعلم السحر والطلاسم - وعلم الانواء - وعلم الفلك - وعلم الموسيقى - وعلم الحساب وعلم الانساب - وعلم تقويم البلدان - وعلم الاهتداء في لبرارى وعلم الميراث - وعلم ماوراء المادة وعلم ايام العرب - وعلم الرمي - وعلم الفلاحة وعلم الحيوان - وعلم الابل والخيول وهو نحو ثمانمائة صفحة

